رواية
شارع كلوت بك
إسلام ندا
الوطن للنشر والتوزيع
سادر الكتب

إسلام ندا

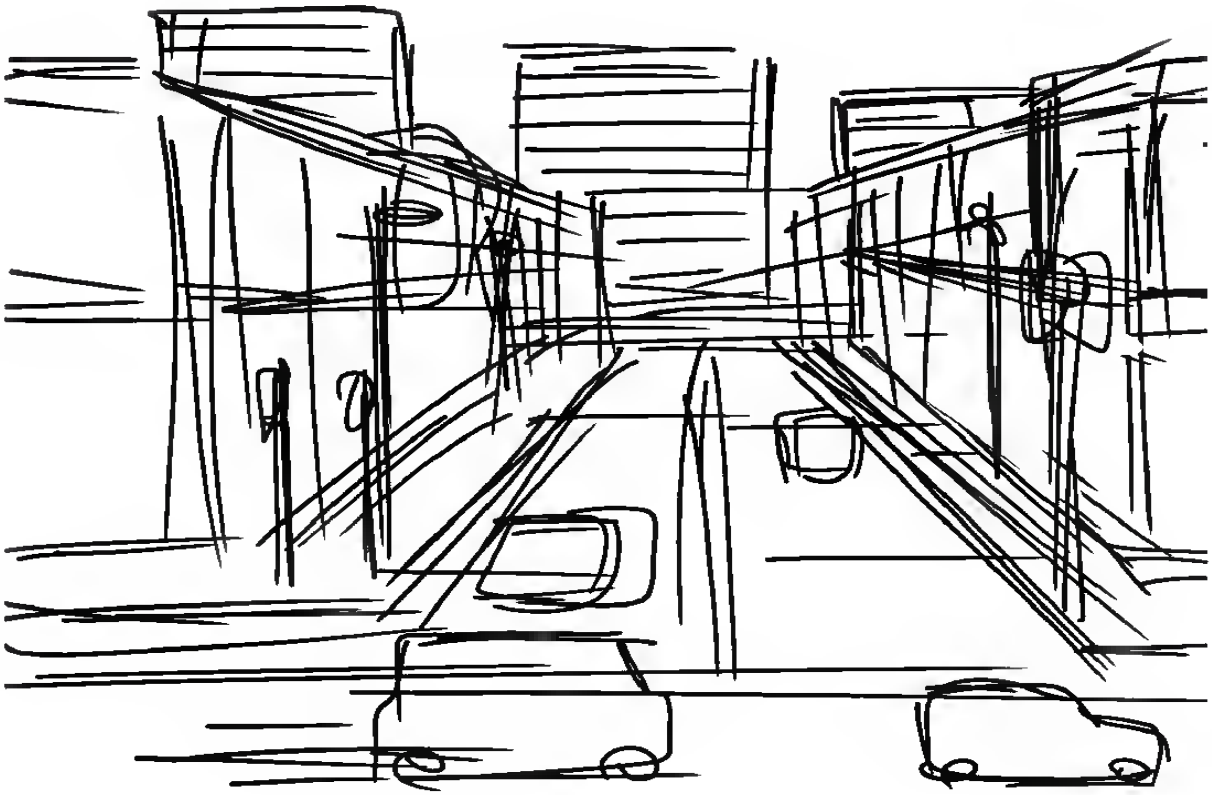

شارع كلوت بيك

الوطن
للنشر والتوزيع

اسم الكاتب	إسلام ندا
رقم الإيداع	25890/ 2019
الترقيم الدولي	977-977 -85600-9-1
الطبعة	الأولى 2020
تصميم الغلاف	أحمد الصباغ
التدقيق اللغوي	مختار مراد
الإخراج الفني	ضياء فريد
المدير العام	خالد ناصف

0100 018 8557

alwatanpublishinghouse@gmail.com

FB.com/alwatanpub

35 شارع أحمد ذكي المعادي -القاهرة

جميع حقوق الطبع والنسخ والترجمة محفوظة لدار الوطن للنشر والتوزيع، حسب قوانين الملكية الفكرية، ولا يجوز نسخ أو طبع أو اجتزاء أو إعادة نشر أية معلومات أو صور من هذا الكتاب إلا بإذن خطي من الناشر

كل الحقوق محفوظة

يعيش الإنسان مرة واحدة، يخطئ ويصيب، ولكن قليلون من يستطيعون الحصول على فرصة ثانية.

(1)

القاهرة سنة 1947 م

توارت شمس الخريف خلف سحابة داكنة، وهي تنسحب بهدوء متوارية عن الأنظار ساحبة أشعتها الدافئة ومرسلة بدلًا منها رياحًا باردة تلفح وجوه النسوة اللاتي يمتلئ بهن الشارع، وبدأت الأضواء الخافتة لأعمدة الشارع في الإضاءة لتلقي بظلالها الغائمة فوق أحجار «البازلت» الداكنة المتراصّة بانتظام في أرضية الشارع التاريخي والذي يحمل اسم أول طبيب فرنسي استقدمه «محمد على باشا» لإنشاء قاعدة طبية في مصر والذي أسس مستشفى «القصر العيني» والذي أطلق عليه (العيني) نسبة إلى صاحب القصر الأصلي (شهاب الدين أحمد العيني) والذي بناه عام 1446 م بالعصر المملوكي، ولم ينسب إلى مؤسسه الطبيب الفرنسي «أنطوان كلوت» والذي اشتهر فيما بعد بين العامة باسم: «كلوت بك».

وفي أحد البيوت العتيقة المنتصبة شامخة قي منتصف الشارع والملونة بألوان بهتت وتشققت بفعل عوامل الزمن وإن كانت الأضواء الملونة الزاهية التي تعلوها قد بدّدت بعضًا من قذارتها، وقفت «زنوبة» التي كانت ترتدي جلبابًا متوسط الطول ضيقًا يأخذ شكل جسدها مفتوحًا قليلًا عند الصدر المزركش بألوان براقة لامعة مرتكزة بكتفها الأيسر على باب المنزل الخارجي الخشبي الضخم العتيق وهي شبه مغمضة العينين تسبح بخيالها فيما كان وفيما وصل إليه حالها الآن، وتبتسم وهي تتذكر ذكريات غائمة

من طفولتها السعيدة وسط أم محبة وأب مكافح يدللها ويداعبها بحنان وهي تسير معه على الشاطئ وهو ممسك بيدها وهي تتنسم نسمات البحر المنعشة في طريقها إلى الكُتاب والذي تعلمت فيه القراءة والكتابة وهو ما أصبح يميزها الآن عن أقرانها اللاتي تعيش وسطهن، فكانت كلما احتجن إلى قراءة أو كتابة أي شيء يلجأون إليها وكانت تلك هي اللحظات القليلة الخاطفة والتي تشعر فيها بإنسانيتها، ولذلك أطلقوا عليها لقب «زنوبة المتعلمة» وفتحت عينيها بذُعر عندما أصابت قلبها مرارة الاحتقار وجرح الذل وقسوة الامتهان الذي ابتُليت به حياتها وجعلها تكره واقعها بنفس القدر الذي كانت تحب به ماضيها، وعندما شاهدت الشارع الواسع حولها والذي يمتلئ بالنسوة اللاتي شوّهت الأصباغ الفاقعة وجوههن والتصقت أزياؤهن البراقة اللامعة بأجسادهن حتى أصبحت كأنها جلودهن وكأنهن جنّيات النار وقد خرجن لتوّهن من أصل الجحيم، فقد كانت تعرف هؤلاء النسوة حق المعرفة، فتلك الواقفة أمام المنزل المقابل عبر الشارع ذات الوجه الكبير والحادة في الملامح والأخلاق والطباع والتي تملك جسدًا يميل إلى السمنة وترتدي جلبابًا طويلًا منحسرًا قليلًا عند الصدر والتي يطلقون عليها «بمبة العربجية تحت الطلب» وذلك ليس لأنها تعمل في مهنة العربجية وإن كانت تمتلك أخلاقهم وطباعهم الخشنة، ولكن لكونها لا تقيم معهم في منازل الحي لأن لديها منزلًا وأولادًا وزوجًا يعمل عربجيًا وهي لا تأتي إلى العمل إلا عندما تُطلب في أوقات معينة أو عندما تحتاج هي إلى النقود، ذلك بالطبع دون علم زوجها وأولادها بمهنتها، أما الأخرى التي تقف في مدخل الشارع عند إشارة المرور بالقرب

من عسكري الدرك ذات الملامح الجنسية الوقحة من شفاه ممتلئة وعيون لامعة تنطلق منها نظرات الشهوة والتي ترتدي تنورة قصيرة ضيقة وقميصًا نسائيًا خفيفًا يكشف عن معظم أجزاء جسدها فهي «ثريا الهايجة» فهي من القلائل اللاتي يعملن في هذه المهنة برغبة عارمة وشهوة متّقدة والتي لا تهدأ إلا عندما يعتليها أحد الرجال لتروي ظمأ شهوتها وترضي هوى في نفسها، فقد كانت دائمًا ما تقول: (مبحسش إني مرة إلا لما أشوف الراجل مولع كده قدامي ومش عارف يتلم على نفسه)، أما الأخرى والتي تجلس على الأرض بجوار قدم «زنوبة» ذات الملامح الهادئة فهي «سمية القرش» والتي رغم جهلها التام إلا أنك لا تستطيع أن تعرف أبدًا ما الذي يدور في عقلها، فهي ذات ملامح هادئة متعادلة ويظهر نفس التعبير على وجهها في جميع المواقف، وكانت نقطة ضعفها الوحيدة هي النقود، فهي على استعداد لفعل أي شيء مقابل الحصول عليها حتى السرقة، حتى إنها تجرأت في إحدى المرات وسرقت بضعة قروش من «فطومة العايقة» صاحبة المنزل الذي يعملن به مما أدى بها لقضاء عدة شهور في سجن «إبراهيم الغربي» الموجود بالحي وهو ليس سجنًا حكوميًا ولكنه سجن خاص بالحي وبالمهنة، قام «إبراهيم الغربي» أشهر قوّاد عمل في المجال الذي قام بتأسيس الحي بل بتأسيس نظام البغاء في مصر وكان يطلق عليه لقب «إمبراطور المزاج»، وقام بإنشاء السجن لتنفيذ قانونه بنفسه على أتباعه وعلى العاملين معه وكان لا يجرؤ أحد منهم على الاعتراض عليه حتى إن السجن واصل عمله حتى يومنا هذا رغم وفاة «إبراهيم الغربي» منذ أكثر من عشرين عامًا رهبة وخوفًا فقط من اسم «إبراهيم الغربي»، وأصبح

السجن الآن تحت إمرة «سعيد قرني» كبير الشارع، والذي ورث مكان «إبراهيم الغربي» وكذلك ورث تاجه الذهبي المرصّع بالجواهر، وأصبح يملك الآن خمسة عشر منزلًا وتعمل لديه مائة وخمسون سيدة، ولكنه ليس بقوة وقدرة «الغربي» في التحكم في الشارع ولا في النساء ولا في العاملين معه من قبضايات البيوت فسرت الفوضى وبخاصة بين القبضايات، وأصبح كل منهم يعمل ما يحلو له دون رابط أو خوف من عقاب، وعندما بدأ الليل في إرخاء سدوله بدأ الملل يتسرب إلى النسوة وبخاصة مع قلة الحركة في الشارع وندرة عدد الوافدين من زبائن المتعة وارتفع صوت الضجيج فالتفتت «سمية» إلى «زنوبة» وقالت بملل ويأس:

- هو إيه اليوم الأغبر ده، مفيش ولا زبون عتب الشارع لحد دلوقتي!!

نظرت إليها «زنوبة» بفتور وقالت بصوت يحمل الكثير من الرضا:

- أحسن، أنا نفسي مفيش ولا زبون يعتب الشارع خالص.

نظرت إليها «سمية» باستنكار وقالت بضيق :

- وأما مفيش ولا زبون يعتب الشارع! هتاكلي منين يا حيلتها!؟ ولا فاكرة المعلمة هتقعدك وتعلفك على حسابها! ؟

اشتعل الغضب في صدر «زنوبة» ورفعت صوتها وقالت بحدة:

- يا شيخة ينعل أبو اللقمة اللي تيجي بالذل والمهانة، أنا لو كنت أقدر أهج من هنا كنت هجيت من زمان.

نهضت «سمية» من جلستها واقتربت من «زنوبة» وقالت ساخرة:

- أهو هو ده اللي خدناه من العلام ومن الجرنان اللي بتجيبيه كل يوم وتقعدي تقري فيه.

ثم عادت «سمية» للهدوء بدون مناسبة وقالت وهي تعاود الجلوس في مكانها مرة أخرى:

- بس تعرفي يا بت أنا لو معايا فلوس كان زماني إديت المعلم «سعيد» قرشين عشان يسبنا في حالنا، وكنت خدتك ومشينا من هنا ورحنا أجرنا بيت وشغّلنا فيه كل البنات حبايبنا وبطّلنا إحنا شغل.

نظرت لها «زنوبة» بتقزز وقالت بيأس:

- وأنت فاكرة إني كده هبقى مبسوطة!! يا بت افهمي أنا عايزة أبقى ست محترمة، عايزة أسيب العالم ده كله وأبعد عنه وعن أرفه.

- إيدي على كتفك، إحنا هنا من وإحنا صغيرين ومنعرفش شغلانة غير دي، تفتكري ممكن ...

وتوقفت فجأة عن الكلام عندما التقطت أذنها صوتًا محببًا تعرف جيدًا مقداره، ومع ارتفاع صوت سنابك الخيل صمتت جميع أصوات النسوة واتجهت أنظارهن مباشرة إلى مدخل الشارع فشاهدن زوجًا من الخيل المطهمة يسحبن خلفهما عربة حنطور فخمة مزينة فأدركن أن القادم لابد وأن يكون من علية القوم ومن الزبائن الميسورين المحببين إليهن ومن تفوز به يمكن أن تحصل منه على أجر شهر كامل من العمل اليومي، وانتفضن جميعًا ودبت الحركة

في أوساطهن فبعضهن بدأن في إعادة تجميل وجوههن والبعض الآخر أخذ في جذب أكمام ملابسهن ليكشفن أكبر جزء من صدورهن وتحركت معظمهن أقرب إلى منتصف الطريق حتى يراهن راكب الحنطور بطريقة أفضل، وبدأ راكب الحنطور ينظر لهن بدهشة وذهول فعرفن بخبرتهن بأنه ضيف جديد لم يتعود على زيارة مثل تلك الأماكن فزادت جرأتهن عليه وبدأن في التلويح له بأيديهن وكذلك الإشارة إليه ببعض الإشارات والإيحاءات الجنسية الفجة، فبدأ الاستنكار والاشمئزاز يظهر على وجه راكب الحنطور وسمعن صوته وهو يقول باستنكار وغضب:

- إيه المكان اللي أنت ممشيني فيه ده يا أسطى!؟ أنت مين اللي قالك تمشي من الشارع ده؟!

فرد «الحوذي» قائلًا:

- «سيد بيه» هو اللي قالي أمشي من هنا،عشان ده أقرب طريق للمشروع.

فقال الراكب:

- طيب، حاول تمشي بسرعة، خلينا نخرج من هنا.

وعندما سمعت النسوة ما قاله الراكب، أحسسن بأن هذا الصيد الثمين سوف يفلت من أيديهن فأصابهن هياج مفاجئ وفقدن عقولهن فقفزت إحداهن إلى الحنطور وتبعتها ثانية وثالثة ورابعة وبدأن في جذب الراكب من ملابسه وانقضت خامسة على «الحوذي» وأنشبت أظافرها في عنقه فصرخ من الألم وشد لجام

الحصانين فتوقف الحنطور في منتصف الشارع تقريبًا أمام منزل «زنوبة» و«سمية» وأخذ راكب الحنطور في تكيل الصفعات لجاذبيه محاولًا التخلص منهن وأتبعها بالسباب واللعنات والتهديد بالويل والثبور وعظائم الأمور وهو يصرخ ويقول:

- ابعدي عني يا مرة منك ليها، أنتوا متعرفوش أنا مين وممكن أعمل فيكوا إيه!

ولكن النسوة لم يلقين أي بال لتهديده واستمررن في جذبه من ملابسه حتى تمزقت سترته وسقط طربوشه إلى أن استطعن إنزاله من الحنطور وأصبح الآن واقفًا وسطهن في عرض الطريق وهو يحاول بكل قوة التملص منهن والخروج من وسط الدائرة التي ضربت حوله بعد زيادة أعداد النسوة وتجمعهن من كافة البيوت المحيطة، وعندما قامت النسوة بخلع سترته انقضت «سمية» في هذه اللحظة واختطفت السترة من يد من خلعتها وحالت بين الراكب وبين النسوة وقالت بصوت عالٍ غاضب:

- يالا يا بت أنت وهي من هنا وسيبوا البيه في حاله.

ثم أشارت للحوذي بأن يركب مكانه ووضعت جسمها عند سلم الحنطور حائلًا بين الراكب والنسوة حتى استطاع الصعود إلى الحنطور مرة أخرى وقالت وهي تناوله طربوشه وسترته الممزقة:

- اتكل على الله بالسلامة يا باشا، باين عليك جيت هنا بالغلط.

ثم وجهت حديثها للحوذي قائلة:

- يالا بسرعة يا أسطى من هنا.

وبالفعل انطلق الحوذي بأقصى سرعة ممكنة مبتعدًا عن النسوة المتحلقة في منتصف الطريق، والتفتت النسوة إلى «سمية» وحاولن الفتك بها، ولكن في هذه اللحظة فقط ظهر «سمير القبضايا» وهو يحمل عصا مسلوبة طويلة وقال بحزم:

- يالا يا مرة منك ليها، كل واحدة تروح على بيتها، خلاص المولد انفض على كده.

وعندما حاولن مجادلته، رفع العصا وانهال بها ضربًا عليهن فأسرعن بالفرار من أمامه، وجرت كلا منهن في اتجاه منزلها.

وعادت «سمية» إلى حيث تقف «زنوبة» وعلى وجهها نظرة فخر وانتصار تعرفها «زنوبة» جيدًا وأشارت لها على صدرها مرتين وتبعتها بإشارة أخرى وهي متوجهة إلى داخل المنزل فهمت منها «زنوبة» بأنها تريد منها أن تلحق بها إلى غرفتهم بالمنزل، فعلت الدهشة وجه «زنوبة» ولكنها أطاعتها وصعدت خلفها مسرعة.

صعدت «زنوبة» وراء «سمية» على الدرج الرخامي القاتم وكأن الدرج أبى إلا أن يشارك «بيت الخواطي» خطاياهن فتحول لونه من الأبيض الشاهق النقي إلى الرمادي الداكن الأقرب إلى السواد، وكان حديد الدرابزين أكثر سوادًا وقتامة يعلوه غطاء خشبي متآكل ومتهالك كالح اللون مقيت، وتسارعت خطوات «زنوبة» وهي تستعين بالدرابزين المتهالك حتى تلحق بـ «سمية» التي كانت تهرول صاعدة وقالت «زنوبة» بدهشة:

- مالك يا بت بتجري ليه كده!، استني هنا وقول لي في إيه؟!

نظرت إليها «سمية» وهي تواصل الصعود بسرعة:

- مش هينفع أقول لك هنا، أما ندخل أوضتنا هقول لك كل حاجة.

وبمجرد دخولهن إلى المنزل شاهدن «فطومة العايقة» والتي تبدو آثار الزمن بوضوح على وجهها المتغضن وجسدها السمين المترهّل، وكانت تجلس بجوار باب الدخول على مقعد واسع وثير وترفع قدميها على مقعد آخر صغير موضوع أمامها وبادرتهما قائلة:

- رايحة فين يا مقطورة منك ليها؟! وإيه اللي طلعكم دلوقتي من غير زباين؟!

ارتبكت «زنوبة» ولكن «سمية» ردت بسرعة قائلة:

- مفيش حاجة يا معلمة، إحنا جيينا ناخد حاجة نحطها على كتفنا، الدنيا بردت تحت.

نظرت لهما «فطومة» بشك وقالت بحزم:

- اسكتي يا بت يا حرامية أنت، أنا عايزة «زنوبة» هي اللي ترد.

قالت «زنوبة» بعد أن تماسكت قليلًا:

- معلش يا خالة، الزباين قليلين النهارده وكان في خناقة تحت طفشت الباقي، فقلنا نطلع نريح شوية من الوقفة وهننزل تاني على طول.

لم ترد «فطومة» ولكنها نظرت إليهما بتقزز وأشاحت بيدها بمعنى

اذهبوا.

دخلت «سمية» إلى الغرفة مسرعة وطلبت من «زنوبة» أن تغلق خلفها الباب جيدًا وبمجرد أن جلستا متجاورتين على الفراش، أخرجت «سمية» حافظة كبيرة منتفخة من صدرها ووضعتها أمام «زنوبة» والتي ظهرت المفاجأة على ملامحها وقالت بدهشة بالغة:

- يا بنت الحرامية، أنا قولت برضوا إيه الشهامة اللي نزلت على البت دي فجأة كده.

ابتسمت «سمية» بزهو وقالت بفخر:

- أمال أنت فاكراني كوردية با بت، لما البنات خلعوا الجاكيت بتاع الراجل، لمحت المحفظة المنفوحة في الجيب الجواني، فجريت بسرعة ورحت خطفة الجاكيت منهم وبخفة يد نتشت المحفظة وحطتها في صدري، وكروت الراجل والعربجي عشان يجروا بسرعة والراجل ميخدش باله من المحفظة اللي ضاعت منه.

قالت «زنوبة»:

- طيب، يالا نفتح المحفظة، نشوف فيها إيه.

وعندما قامت «سمية» بفتح الحافظة ظهر الجشع الممزوج بالدهشة والفرح على وجهها وقالت وهي تنتزع النقود من الحافظة:

- يا نهار أبيض وزي الفل، كل دي فلوس.

انشغلت «سمية» بعدّ النقود فيما قامت «زنوبة» بتناول الحافظة منها وفتحتها فوجدت فيها عددًا كبيرًا من الأوراق فقامت بقراءتها،

فوجدتها جميعًا أوراقًا حكومية رسمية ومذيلة بالخاتم الملكي فتسارع نبضها وبدأ الخوف يأخذ طريقه إليها وعندما وجدت بطاقة شخصية ووجدت صورة الرجل عليها وقرأت ما فيها انهارت تمامًا وانتابها الفزع وقالت وهي تخبط على صدرها:

- يا نهار أسود، يا نهار أسود، إحنا رحنا في داهية خلاص.

انتقل الفزع إلى «سمية» وقالت:

- فال الله ولا فالك، دانا لقيت 160 جنيه في المحفظة.

واكتست ملامح «زنوبة» بالخوف والقلق وقالت بتوتر:

- المصيبة إنك مش فاهمة حاجة، أنت تعرفي المحفظة دي بتاعت مين؟! المحفظة دي بتاعت «جلال باشا فهيم» وزير التضامن، يعني الراجل اللي ممكن يهد الحي ده على اللي فيه عشان يمسك الحرامي اللي سرق منه المحفظة لأن الورق اللي فيها ده ورق مهم جدًا.

ثم أكملت بحسم أقرب إلى الرجاء:

- المحفظة دي لازم ترجع لصاحبها حالًا، لأنهم لو لقوا المحفظة دي معانا مش بعيد يموتونا.

اشتدت قبضة «سمية» على النقود وقالت بتحفز وحسم:

- رجعي المحفظة والورق ، لكن الفلوس دي مش هتخرج من هنا إلا على جثتي.

نظرت لها «زنوبة» بيأس فهي تعلم جيدًا مدي عشق «سمية»

للنقود، وتعلم كذلك بأنها لن تتراجع عن موقفها فقالت لنفسها: « الراجل ده باشا ووزير يعني ممكن لو رجعنا له الأوراق المهمة دي ميسألش على الفلوس».

ثم أكملت مخاطبة «سمية»:

- هو أنت مسمعتيش حاجة ممكن نعرف منها الوزير ده كان رايح فين؟!

أطرقت «سمية» قليلًا مفكرة ثم قالت:

- أنا بعد ما ركبته الحنطور، وبدأ يتحرك سمعته بيقول: الله يخرب بيتك يا «سيد يا جلال» وأنا سمعت اسم «سيد جلال» ده قبل كده، بس مش فاكرة فين، لكنه أكيد راجل مهم طالما الوزير كان رايح له.

وضعت «زنوبة» يدها على رأسها وكأنها تحاول تفادي المصيبة التي توشك أن تقع عليها وقالت:

- وكمان «سيد جلال»! «سيد جلال» ده أكتر واحد في القطر المصري بيكره الحي ده باللي فيه، إحنا لازم ندور من بكرة على طريقة نقدر نرجع بيها المحافظة دي لصاحبها.

(2)

في أحد المباني القديمة بحي باب الشعرية والذي جُدد حديثًا حتى إن رائحة الطلاء مازالت عالقة بجدرانه، علقت على واجهته الخارجية لافتة خشبية ضخمة سوداء مكتوب عليها باللون الأبيض وبخط عربي جميل ومنتظم: (مكتب النائب «سيد جلال»)، جلس النائب منذ الصباح الباكر بعدما جافاه النوم الليلة الماضية منذ أن أتاه الحوذي مساءً وأخبره بما حدث لـ«جلال باشا فهيم» في شارع «كلوت بك»، وبخاصة فقدانه لحافظة نقوده بما تحتويه من أوراق هامة تخص عمله بالوزارة.

كان «سيد جلال» أحد نواب البرلمان ذائعي الصيت وبخاصة في السنوات الأخيرة ومنذ أن اعتلى كرسي البرلمان وهو يقاتل من أجل إلغاء تقنين البغاء في مصر، بل ومعاقبة العاملين فيه وكان دائمًا ما يصطدم بأن هذا الموضوع غير ذي أهمية الآن وهناك الكثير من المشاكل والمهام الملقاة على عواتقهم هي الأولى بالاهتمام والبحث ومنها قضية استقلال مصر وبخاصة بعد انتصار بريطانيا في الحرب العالمية الثانية.

ونبع تصميم «سيد جلال» على هذه القضية كونه نائبًا للحي الذي يحتوي على أشهر شارع للبغاء في مصر وهو شارع «كلوت بك»، فكان كلما مر بهذا الشارع اعتصر الألم والحزن قلبه وشعر بالخزي والعار وأصبح محو هذا الشارع من الحي بل من التاريخ هو هاجسه الأساسي، لما يرى فيه من مآسٍ سلوكية وأخلاقية ليس لرواده فقط،

ولكن أيضًا للعاملين فيه وبخاصة من السيدات، وكذلك كم الجرائم التي ترتبط بالبغاء من ترويج مخدرات بأنواعها إلى خطف أطفال وهتك عروضهم وتعذيب فتيات وإحداث إصابات نفسية وجسدية جسيمة بأجسادهن وعقولهن وكذلك انتشار أطفال السفاح اللقطاء الذين يجدونهم يوميًا تقريبًا ملقين بجوار الجوامع والمستشفيات وملاجئ الأيتام والجمعيات الخيرية، وعندما يئس من الحصول على تشريع من البرلمان يقضي بإلغاء تقنين البغاء، لجأ إلى حل أخير وهو محاولة إجبار الحكومة على إصدار قرار بذلك وعندما يعرض القرار على البرلمان لن يجد صعوبة في إقناع أعضاء البرلمان بالموافقة عليه وتفتق ذهنه عن هذه الحيلة، فعندما أتى «جلال باشا فهيم» وزير التضامن إلى البرلمان دعاه لافتتاح أكبر مؤسسة خيرية بحي باب الشعرية والتي تشمل مستشفى ومدرسة ودار رعاية على الرغم من أن هذه المؤسسة كانت تعمل بالفعل منذ عامين ولكنه غيّر اللافتة الخارجية لها فقط لتحمل اسم الوزير الجديد، وفي الموعد المحدد قام بالاتفاق مع سائق العربة التي تجرها الخيول على أن يذهب للوزير في وسط المدينة وينتظره وأقنع الوزير أن يركب الحنطور بدلًا من سيارته ليتلقى تحية الجمهور الذي سوف يحشدهم «سيد جلال» لتحيته والاحتفاء به قبل أن يقوم بتوصيله إلى المشروع ونبّه على السائق ضرورة أن يعبر بالوزير من شارع «كلوت بك».

وكان على علم تام بما يمكن أن يحدث للوزير من تجاوزات داخل الشارع بل كان يرغب بشدة بالفعل بأن يحدث له ذلك حتى يشعر

بما يمكن أن يحدث لأي إنسان محترم يوقعه قدره التعس في العبور بالصدفة وسط هذه القذارة البشرية التي يمتلئ بها هذا الشارع، ولكن ما لم يتوقعه أو يتمناه هو أن تتم سرقة حافظة نقوده بما تحمله من نقود وأوراق هامة تخص عمله بالوزارة وهو ما يمكن أن يقلب الأمور رأسًا على عقب، فبدلًا من أن يتعاطف الوزير مع مطالبه يمكنه أن يغضب منه ومما فعله به أكثر من غضبه ممن أساءوا فعليًا إليه، وفكر مليًا في محاولة فعل أي شيء لاستعادة حافظة الوزير ممن سرقها مع معرفته بالصعوبة الشديدة لهذا الأمر كون هذا الشارع يحتوي على الآلاف من السيدات والقبضايات والقوادين وجميعهم سيئ السمعة ولن يتورعوا عن سرقة أي شيء ذي قيمة يقع تحت أيديهم، حتى إنه فكر أن يستدعي كبير الشارع ويحاول تهديده أو حتى رشوته ليفصح له عن اللص لكنه خشي من فتح باب التعامل مع مثل هذه الشخصيات القذرة، وبينما جلس «سيد جلال» شاردًا وغارقًا في أفكاره، سمع طرقًا خفيفًا على الباب وعندما التفت وجد الشيخ «محمد متولي الشعراوي» والحاج «أحمد أبو شقرة» واقفين أمام باب المكتب فابتسم بابتهاج وسرور ونهض بسرعة مرحّبًا بهم وبعد تبادل التحية بادره الشيخ «الشعراوي» قائلًا بقلق:

- خير يا عم «سيد»، اتصالك امبارح بالليل وطلبك بإلحاح إني آجي لك الصبح مع الحاج «أحمد» قلقني.

- خد نفسك بس يا مولانا ومتقلقش، تشربوا إيه الأول؟

قال الحاج «أحمد»:

- يا سيدي أنت كده بتقلقنا أكتر، نطمن عليك الأول وبعدين نبقى نشرب.

أخرج «سيد» صندوق لفافات تبغ من نوع موتسيان الألمانية من جيب سترته الداخلي وقال وهو يناول واحدة للشيخ «الشعراوي» وأخرى للحاج «أحمد» وقال بمرح:

- ولع يا شيخ «أمين» متقلقش مفيش حد هيدخل علينا دلوقتي، ونهض بالفعل وأشعل اللفافتين لضيفيه، وقال «الشعراوي» وهو ينفث دخان سيجارته بتلذذ كونه لا يستطيع دائمًا التدخين خارج منزله:

- أنت فاكرني مبحبش أدخن أدام الناس عشان خايف منهم لا سمح الله، أنا عارف إن في ناس كتير مبتحبش الدخان وأنا مبحبش إن حد يتأذي بسببي، ابتسم الحاج «أحمد» وقال بمرح:

- قولي صحيح يا شيخنا، هو الدخان حلال ولا حرام؟

- شوف يا حاج «أحمد»، الدخان لم يرد به نص صريح في القرآن ولا السنة، لكن ربنا خلق لنا أجهزة حسية واللي بيتحكم في جميع الأجهزة هو المخ، فمثلًا بالقياس ربنا حرم الخمر والحشيش عشان بيذهب العقل وبيأثر على نشاط المخ فبيأثر على استقامة حياة الإنسان، ولو التدخين أصبح عادة لا يستطيع الإنسان أن يستغني عنها ولا يستطيع المخ العمل بكفاءة في عدم وجودها يبقى حرام، لكن لو هو عادة وفي وجودها أو عدم وجودها يستطيع المخ العمل بنفس الكفاءة يبقى مكروه ولا يصل لدرجة التحريم.

قال «سيد»:

- الله يفتح عليك يا مولانا، لكن لو... وارتفع صوت رنين الهاتف وقام «سيد» برفع السماعة وقال:

- أيوة يا «عز»، إزيك يا حبيبي، أنا قاعد مع الشيخ «الشعراوي» وعمك «أحمد» في المكتب الجديد ومستنيك تيجي تقعد معانا عشان في موضوع مهم عايزكم فيه، بس تعالى بسرعة عشان هنروح نصلي العصر في «الحسين» وبعد كده هنروح نتغدا في مطعم عمك «أحمد» الجديد في شارع قصر النيل.

وعندما وضع السماعة، رد الحاج «أحمد أبوشقرة» قائلًا:

- يا سيدي أنتوا تشرفوني في أي وقت، وتبقى فرصة كويسة تقولوا لي رأيكم في المحل الجديد وفي الأكل بتاعنا، لكن أنت عمال تدخل في مواضيع وتخرج من مواضيع ومقلتش أنت كنت عاوزنا في إيه.

تنهد «سيد» بقلق وبدأ يقص عليهما ما فعله مع «جلال فهيم باشا» وزير التضامن.

أمام مستشفى الأمراض الجلدية والتناسلية بمنطقة الحوض المرصود بحي السيدة «زينب» احتشدت مئات السيدات وهن يحملن البطاقات الصحية الخاصة للتصريح للعاهرات بالعمل.

وقفت «زنوبة» مع «سمية» بجوار «بمبة» و«ثريا» وهن يدفعن النسوة من أمامهن لإيجاد موضع قدم أثناء محاولتهن للوصول

لمساعد التمريض الواقف أمام باب المستشفى الأبيض الحديدي من الداخل لتوصيل بطاقتهن له، كان المساعد يكيل للنسوة السباب واللعنات ويأمرهن بالابتعاد عن بوابة المستشفى وعندما اشتد ضغط النسوة على البوابة انصرف مساعد التمريض غاضبًا وتركهن واقفات فتعالت أصوات النسوة غاضبة تنادي وتسب في المستشفى وفي العاملين بها، وبعد قليل فوجئت النسوة بخروج بعض العاملين بالمستشفى من الباب الجانبي الصغير لها وانهالوا عليهن ضربًا بالعصي الرفيعة والتي تشق الهواء بصوت يشبه فحيح الأفاعي قبل أن تسقط على أجسادهن بقوة مما أدخل الرعب في نفوس من فررن والألم الحارق في أجساد من التقت العصي بأعضائهن فهرولت النساء جميعًا مسرعات بذعر من أمام باب المستشفى فتأففت «زنوبة» بنزق وقالت لرفيقاتها بغضب:

- إيه ده !؟ وهو إحنا مش بني أدمين!؟ هم بيعملوا معانا ليه كده!؟

قالت «سمية» وهي تتحرك مهرولة بعيدًا عن باب المستشفى وتجذب «زنوبة» من يدها:

- أنا معرفش يا بت أنت رافعة لنا مناخيرك في السما كده ليه! أيوة يا ستي إحنا في نظرهم مش بني أدمين، ولو طالوا يضربونا بالخرطوش كانوا ضربونا، ويالا بسرعة عشان نلحق لنا مكان جنب «بمبة» و«ثريا» في الجنينة اللي أدام المستشفى بدل ما نفضل واقفين على رجلينا لحد أما يدخلونا.

جلسن في شبه دائرة على الأرض الخضراء في أقرب مكان لباب

المستشفى وقالت «ثريا» بوقاحة:

- يا سلام لو الزنقة دي كانت وسط الرجالة، كان زمنا اتروقنا.

نظرن لها جميعًا بدهشة بالغة وقالت «بمبة»:

- هو أنت ما بتشبعيش يا بت!! ما أنت بتتروقي كل يوم مرتين ثلاثة على الأقل.

- اتلهي أنت بس، أنت أصلًا مبتفهميش في الجنس، هو إحنا اللي بنعمله ده اسمه ترويق، ده شغل يا حبيبتي، أنا كل فين وفين أما بأخد مزاجي مع واحد من اللي بييجوا عندنا البيت.

قالت «زنوبة»:

- لكن بصراحة أنا أول مرة أشوف واحدة زيك كده يا «ثريا» بتستمع بالأرف اللي إحنا فيه ده.

- أصلي أنت متعرفيش أنا شغالة الشغلانة دي من امتى، أنا... ورفعت «ثريا» عينها تجاه بوابة المستشفى واتسعت ابتسامتها ثم أكملت وهي تنهض مسرعة من جلستها:

- هاتي يا بت منك ليها الدفاتر بتاعتكوا، أنا هدخلكوا أول ناس.

واختطفت البطاقات من أيديهن وهي تخطو مسرعة في اتجاه باب المستشفى.

علت الدهشة وجه «زنوبة» وقالت:

- هي البت دي رايحة فين؟!

ردت «سمية» وهي تشير جهة باب المستشفى:

- أنت شايفة الدكتور الحليوة ده اللي رايح على باب المستشفى، هو ده اللي «ثريا» حاطة عنيها عليه من زمان وكل مرة تيجي هنا تقعد تعاكس فيه وتغريه وهو ولا هو هنا، لكن عشان يخلص منها بيعملها كل اللي هي عايزاه عشان تبعد عنه وتسيبه في حاله.

وعندما عادت «ثريا» سألتها «سمية»:

- عملتي إيه يا «ثريا»؟

- قولت له هات بوسة والمنيل اتكسف.

ضحكت «سمية» ضحكة رقيعة بصوت عالٍ وقالت «زنوبة»:

- يا بت إحنا بنسألك على الدفاتر.

- لأ، خلاص خدهم مني، وهيدخلنا أول ناس.

ثم أكملت قائلة:

- أنا كنت بقول إيه! أه، أفتكرت، شوفي بقى يا ست «زنوبة»، أنا كنت أصلا يتيمة، أمي ماتت وأنا عندي سبع سنين، وكنت عايشة مع أبويا في طنطا في حوش كبير في الدور الأرضي لبيت قديم، وكان الحوش فيه خمس أوض، وكنا أربع عيلات عايشين فيهم، في كل أوضة عيلة، الأوضة الخامسة كانت دايمًا ضلمة ومقفولة وكنا دايمًا نسمع عنها حكايات تشيّب، عشان اللي كانت ساكنة في الأوضة ست عجوزة، وكانت بتشتغل في السحر والأعمال، وفي يوم لقوها مدبوحة في الأوضة، ومن يومها محدش قدر يسكن في الأوضة

عشان كانوا بيقولوا إن فيها عفاريت، وعمي كان ساكن في الأوضة اللي جنبنا، وكان متجوز وعنده ولدين (عزت وعلاء) والاثنين كانوا أكبر مني، واحد بسنتين والتاني بأربعة، وكان هو ووالدي بيشتغلوا في مصنع قماش، أبويا كان عامل على ماكينة، وعمي كان بيشتغل سواق بينقل البضائع للبلاد البعيدة وساعات كان بيسافر بره مصر، وأنا عندي تسع سنين أو عشرة كده ، كان عمي مسافر وأنا كنت بلعب مع ولاد عمي في الحوش بالليل، وفجأة سمعنا صوت حركة في أوضة العفاريت زي ما كنا بنسميها، إحنا طبعًا خفنا في الأول، لكن ابن عمي الكبير راح براحة وبص من تحت عقب الباب فشاف نور ضعيف منور جوه، فقال لنا لازم في حد جوه، وحاولنا ندور على مكان ممكن نشوف منه مين اللي جوه وخرجنا برا الحوش في الشارع اللي ورا البيت، وبصينا من بين فتحات المشربية بتاعت شباك الأوضة اللي في الشارع، وشفنا إيه بقى، لقينا الولية مرات عمي نايمة مع أبويا، ووقفنا نتفرج شوية، وبعدين ولاد عمي اتغاظوا أوي وغاروا على أمهم، وعشان كنا صغيرين وخافوا من أبويا صمموا إنهم يعملوا معايا زي اللي أبويا بيعمله مع أمهم وشالوني بالعافية ودخلوني أوضتهم وناموا معايا هما اللي الاثنين، وبعد كده كان كل أما عمي يسافر كنا نروح نتفرج على أبويا وأمهم في أوضة العفاريت وبعد كده نروح أوضتهم ويناموا هما معايا، في الأول كنت بتضايق، بس بعد كده بقيت اتبسط وحسيت إني كبرت وبقيت ست والرجالة بتحب تنام معايا، وساعات كنت أنا اللي بطلب منهم ييجوا يناموا معايا، لحد أما جه يوم ولقيت ابن عمي جايب صحابه وعايزني أنام معاهم، وأنا وقتها كنت كبرت وبدأت أحس بمتعة كبيرة في كده

فوافقت، وفي مرة بعد ما واحد صاحبه خلص معايا لقيت ابن عمي واقف معاه وبياخد منه فلوس، فعرفت إنه كان بيأجرني ليهم، فقلت له يديني الفلوس اللي أخذها منه فضربني وشتمني وقال لي لو مسكتيش هروح أقول لأبوك على اللي أنت بتعمليه، فخفت منه، بس بقيت أتصرف أنا بنفسي، فبقيت أخرج أصطاد الشبان وأنام معاهم وأخذ منهم فلوس، لحد ما الموضوع اتشم، ووصل لأبويا، فمسكني ورزعني علقة موت وربطني في السرير وحرج على أي حد يفكني، لحد أما جالي ابن عمي في يوم عشان يجبلي أكل فسخنته لحد ما فكني عشان ينام معايا، فضربته وهربت، رحت لواحد من اللي كان لي علاقة بيهم قبل كده وهو اللي شار علي إنه يأخذني ونسافر مصر وجبني على شارع «كلوت بك» ومن ساعتها وأن في الشارع ومخرجتش منه،

ردت «بمبة» بأسىً وقالت:

- طيب أنت ظروفك كانت كويسة وكان عندك أهل وكانوا خايفين عليكي، أنا بقى كان عندي أهلي برضوا لكن من ضيق الحال مكنوش طايقين ولادهم، إحنا كنا عشرة وأبويا كان فلاح، ومكنش فالح غير أنه ينط على أمي ويجيب منها عيال، لكن يأكلهم منين ميعرفش، من وأنا عندي ست سنين وأنا بشتغل في البيوت، وأما كبرت شوية وجالي شغل في بيت موظف في مصر حصل فرح في بيتنا، جيت مصر واشتغلت عند مدرس في مدرسة وكان راجل محترم وعنده عيال في سني وكان بيعاملني كويس هو ومراته وعياله، لحد أما جسمي فار وتعرفت على الواد المكوجي اللي كنت بكوي عنده هدوم

الأفندي بتاعنا، والله يخرب بيته غواني لحد أما نام معايا وحصلت المصيبة وحبلني النتن وبقينا مش عارفين نعمل إيه لأننا كنا لسه عيال صغيرين وهو كان كحيان ومش لاقي ياكل ومكنش يقدر يتجوزني، أنا مكنتش أقدر أتجوز من غير ما أهلي يعرفوا ولو كانوا عرفوا مكنوش هيرضوا يجوزوني واحد زيه، ولو كانوا عرفوا إن أنا حبلى كانوا قتلوني من قبل ما أتحرك من مكاني، ومكنش قدامنا إلا أني أسقط، لكن إزاي وفين ومنين، لحد أما واحد صاحبه قال له على الداية اللي بتسقط النسوان اللي موجودة في شارع «كلوت بك»، وهو اتصرف في قرشين، أنا اتصرفت في قرشين وجينا للداية، وإحنا في العملية هبطت وأغمي عليا وكنت هموت، والواطي أول ما شاف كده هرب وسابني وأنا تعبت جدًا بعد العملية وجتلي حمى وقعدت أسبوع بحالة مش دريانة بالدنيا، وعرفت بعد ما فقت أن اللي شلتني الأسبوع ده المعلمة «ثناء» اللي أنا شغالة في بيتها لحد النهارده، وطبعًا بعد ما غبت أسبوع وصاحب البيت اللي أنا كنت شغالة فيه ميعرفش أنا فين، كان مش ممكن يرجعني أشتغل عندهم تاني، فالمعلمة «ثناء» قالت لي خليك واشتغلي معانا، بس أنا خفت من أهلي وقلت لها لأ مقدرش أنا حتى معرفش أعمل الحركات اللي أنتوا بتعملوها دي، فضحكت وقالت لي أنت مش كنت بتخدمي في بيت واحد أفندي، خلاص خليك عندنا واعملي اللي كنت بتعمليه عندهم، فوافقت وواحدة واحدة رجلي جات في الخية وبقيت بعمل زي كل النسوان الموجودين في البيت.

قالت «زنوبة» بدهشة:

- يعني أنت في الشارع عندنا من وأنت صغيرة، أمال امتى وإزاي اتجوزتي وبقى عندك عيال!؟

- لأ، دي حكاية كبيرة أوي، هبقى أحكيها لكم بعدين، ثم نظرت إلى «ثريا» وقالت:

- ما تقومي يا بت يا «ثريا»، تشوفي هيدخلونا امتى، وعندما همت «ثريا» بالوقوف جاء أحد العاملين بالمستشفى وقام بالنداء على أسمائهن فذهبن مسرعات إلى المستشفى، وبعد أن انتهين من الكشف وختم البطاقات خرجن من المستشفى يتسكعن حتى وصلن إلى محطة الترام وعندما وقف الترام أمامهن قالت «زنوبة»:

- أنا عندي مشوار مع «سمية» ، فنظرت لها «سمية» باندهاش وتساؤل فغمزت لها «زنوبة» بعينها فقالت «سمية»:

- أيوة، أيوة، اركبي يا «ثريا» مع «بمبة» وإحنا نص ساعة وراجعين على طول.

وعندما ركبت «ثريا» و«بمبة» الترام قالت «سمية» لـ«زنوبة»:

- مشوار إيه يا بت اللي إحنا رايحينه!؟

- رايحين لـ«سيد جلال»، أنت نسيتي المحفظة اللي أنت نتشتيها امبارح، أنا جبتها معايا وهنروح نوديها له عشان يرجعها لصاحبها.

- وأنت عرفتي «سيد جلال» ده يطلع مين وساكن فين!؟

- «سيد جلال» ده نايب في البرلمان وعرفت أنه فتح مكتب جديد في باب الشعرية، هنروح ونسأل عليه!؟ وأكيد الناس كلها هناك

عرفاه.

وعندما وصلنا إلى الشارع الموجود به مكتب «سيد جلال» بباب الشعرية وقفتا تنظران حولهما بارتباك وحيرة وشاهدت «زنوبة» شابًا خمري اللون، ذا عينين جذابتين ويصفف شعره الأسود بعناية ولا يرتدي طربوشًا فوق رأسه على غير عادة الرجال وكأنه يحب التمرد على العادات السائدة أو يحب أن يصنع لنفسه حياة وشخصية مستقلة عن الجميع، وكان طويلًا يميل قليلًا إلى النحافة، ويرتدي بذلة بنية أنيقة تجعله يشبه الأبطال الأرستقراطيين الذين طالما قرأت عنهم في القصص والروايات التي تعشقها والتي كانت تعينها على تحمل حياتها، فشعرت بأن قلبها يهفو لأن تذهب للتحدث معه رغبةً في استنشاق رائحة هواء نظيف وتدريب لسانها على التحدث بمفردات راقية تنظفه من قاذورات الأحاديث القذرة والتي علقت به رغمًا عنها، وكانت المفاجأة سعيدة عندما عبر الشاب الشارع ورأته يقترب منهما ويقول برقي واحترام:

- الهوانم بيدوروا على حاجة؟

ابتسمت «سمية» وقالت بصوت منخفض: (هوانم!! ربنا يسترك) ثم أكملت بعد رفع صوتها قليلًا:

- أيوة يا خويا، متعرفش فين مكتب النايب «سيد جلال»؟ الناس قالوا لنا إنه في الشارع هنا؟

نظر الشاب في عينيي «زنوبة» بإعجاب وبادلته هي بنظرات حالمة هائمة في دنيا الخيال التي صنعتها شخصيته التي انبثقت لها من

أحد الأفلام الرومانسية الناعمة إلى أن قال:

- أيوة يا فندم، أنا رايح هناك وممكن تيجوا معايا، وعندما اقتربوا من المكتب خاطب الشاب «زنوبة» قائلًا:

- والهانم تعرف «سيد جلال» من زمان؟

ظهر الخجل على وجه «زنوبة» فاختفت منه أيام الفجور والمجون، الخلاعة والمهانة، العري والابتذال وارتدت طفلة وكأن أعوامها السابقة لم تمضِ وشعرت بالاحترام لأول مرة منذ أن وطأت قدماها شارع «كلوت بك» فقالت بخوف وارتباك واضح:

- أنا... أنا معرفوش، أنا بس معايا حاجة، وعايزة أديها له.

وصعدوا الدرج وكان الشاب يختلس نظرات إعجاب جانبية لـ«زنوبة» وبادلته هي بنظرات مراهقة صغيرة تتفتح أعينها على الدنيا لأول مرة، وظلت «سمية» تنظر لهما بتعجب وهي تقول في نفسها: (لو كان عرف إحنا مين مكنش عبرنا).

ودخل الشاب مكتب «سيد جلال» فقوبل بترحاب كبير، وسلم على الجميع بحرارة بينما ظلت «زنوبة» و«سمية» واقفات خارج المكتب أمام الباب تنتظران الإذن بالدخول إلى أن قال «سيد جلال»:

- مش كنت تقول لنا إنك جاي ومعاك ضيوف، اتفضلوا يا هوانم استريحوا.

فدخلتا بخجل ووجل وجلستا على الكرسيين الموجودين بجوار باب المكتب مباشرة، وقال «عز»:

- لأ والله يا والدي، دول مش ضيوفي، دول ضيوف حضرتك، أنا قابلتهم في الشارع وكانوا بيسألوا عليك.

فبادرت «سمية» بالكلام وقالت:

- يا باشا إحنا... فضغطت «زنوبة» على يدها بعنف كي تصمت وأسرعت بإخراج المحفظة من صدرها وقالت:

- إحنا لقينا المحفظة دي في الترام، وقلنا نجيبها لحضرتك.

فظهرت الدهشة على وجوههم جميعًا حتى «سمية» التي تفاجأت بما قالته «زنوبة» وقال «سيد» بعد أن نظر إلى المحفظة ولم يتعرف عليها:

- ما ظنش إن المحفظة دي بتاعتي، وبعدين أنا بقى لي سنين مركبتش الترام.

- لا يا فندم، أنا عارفة إنها مش بتاعتك، إحنا فتحناها ولقينا فيها بطاقة شخصية باسم «جلال باشا فهيم» وزير التضامن.

هول المفاجأة السعيدة جعل «سيد جلال» ينتفض من جلسته ويتحرك إلى «زنوبة» ويلتقط الحافظة من يدها ويفتحها ليجد الأوراق الرسمية، فانفرجت أساريره وعاد ليجلس بارتياح وقال بامتنان:

- أنا بصراحة يا هوانم مش عارف أشكركم إزاي على المعروف اللي أنتوا عملتوه معايا، أنتوا متعرفوش أنا كان ممكن أعمل إيه عشان ألاقي المحفظة دي والأوراق اللي فيها.

نظر الشيخ «الشعراوي» لـ«زنوبة» و«سمية» بارتياب وقال بشك:

- الطبيعي يا هوانم إن أي حد يلاقي حاجة وخصوصًا لو عرفوا إنها بتاعت وزير إنه يوديها النقطة، إيه اللي خلاكم تيجيبوا المحفظة دي لـ«سيد» بيه!؟

تملك الخوف من قلب «سمية» وبخاصة عندما سمعت كلمة النقطة فحاولت التكلم ولكن «زنوبة» أوقفتها مرة أخرى بضغطة أشد على يدها وقالت بحزم:

- زي ما أنت شايف إحنا اثنين ستات ومينفعش ندخل النقطة لوحدنا ولما عرفنا إن المحفظة بتاعت وزير وإحنا ساكنين في باب الشعرية جنبكم، ونسمع عن سيادة النايب سمع خير، وعشان عارفين علاقته بكل الوزراء في الحكومة، قلنا نجبها له وهو أكيد هيعرف يرجعها لمعالي الوزير.

نظر إليها «عز» بإعجاب متزايد وقال بهدوء:

- من الواضح أن الهانم متعلمة تعليم راقي وبتعرف تتكلم كويس.

تسرعت «سمية» وقالت بحماس:

- أيوة يا بيه طبعًا إحنا حتى مسمينها زن.. وقاطعتها «زنوبة» بحدة وقالت بشموخ مصطنع: «زينب» أنا اسمي «زينب» وأصحابي بيقولوا علي: «زينب المتعلمة».

واستأذنت «زينب» في الانصراف فقال «سيد»:

- لا، مينفعش تمشوا لوحدكم، روح يا «عز» وصل الهوانم.

فردت «زينب» بقلق:

- معلش يا «سيد» بيه، إحنا قريبين من هنا ومفيش داعي، وخرجتا من باب المكتب وتبعهما «عز» بسرعة واقترب من «زينب» قبل أن تنزل الدرج وهمس برفق:

- ممكن تسمح لي أشوفك تاني؟

- خليها للنصيب، لو فيه نصيب نتقابل تاني هنتقابل.

فأخرج «عز» بطاقة صغيرة من جيبه وأعطاها لـ«زينب» وقال:

- طيب الكارت ده في كل تليفوناتي في البيت وفي الشغل، لو احتاجتي لأي حاجة، أرجوكي تتصلي بي في أي وقت بدون تردد.

تناولت «زينب» البطاقة من يد «عز» بيأس وحسرة، وعندما خرجتا من مدخل العقار نظرت في البطاقة الصغيرة وتساقطت دموعها بغزارة.

(3)

جلس «جلال فهيم باشا» في مكتبه بالوزارة وإحساس المهانة يملأ قلبه حسرة وحتى ما فعله بالأمس في اجتماع مجلس الوزراء لم يشفِ قلبه أو يمحو الإهانة التي لحقت به في شارع «كلوت بك»، وزاد حنقه وغضبه على «سيد جلال» بعد ما علم بأن كل ما حدث كان من تدبيره وكان المقصود به وضع الوزير في هذا الموقف المهين، ورغم درايته بحسن نية «سيد جلال» إلا ما فعله معه لابد إلا أن يمر مرور الكرام، وكانت الأوراق الموجودة بالحافظة الضائعة هي التي قضّت مضجعه ، فقد كان يحمل بعض القرارات الخاصة ببعض المشاريع المشتركة بين الوزارات والتي تحمل توقيع عدد من الوزراء، وكذلك توقيع رئيس الحكومة والتي ائتمنه عليها مجلس الوزراء لتوصيلها لأعضاء البرلمان لأخذ موافقتهم عليها في الجلسة القادمة، ولا يدري حتى الآن ما يمكن أن يفعله أو يقوله لرئيس الحكومة عن فقده لهذه الأوراق الهامة والتي من الممكن أن تطيح بثقة رئيس الحكومة فيه، ولربما تطيح به من الوزارة، وظل يرغي ويزبد ويردد « الله يخرب بيتك يا سيد يا جلال» إلى أن دخل مدير مكتبه وأخبره بأن النائب «سيد جلال» بالخارج ويطلب مقابلته، اشتعل الغضب في قلب الوزير وقال بحماس: « خليه يدخل فورًا».

دخل «سيد جلال» على الوزير وهو يبتسم ابتسامة وقورة وهادئة محاولًا تهدئة غضب الوزير المتوقع وقال بهدوء:

- أنا عارف إن معاليك زعلان مني، وبصراحة ليك حق تزعل، لكن

أنتوا اللي دفعتوني أن أعمل كده.

رد الوزير بغضب وقال منفعلًا:

- دفعناك لإيه يا «سيد بيه»، دفعناك إنك تهنّي وتبهدلني وسط الخواطي!

- اهدأ بس يا معالي الوزير، ما عاش ولا كان اللي يهينك ويبهدلك، أنا طبعًا مكنش قصدي إن ده كله يحصل، كل اللي فكرت فيه إن سيادتك تشوف القذارة اللي في الشارع وتحس باللي الناس بتعانيه من وجود مثل تلك المناطق وسط ولادهم.

بدأ الهدوء يزحف ببطء على الوزير فقال:

- أنا عارف إنها مشكلة اجتماعية كبيرة، لكن في مشكلة أكبر أنت مش واخذ بالك منها، أنت فاكر إن البيوت دي مش موجودة غير في شارع «كلوت بك»، ده في بيوت في الأزبكية ودرب طياب وعرب المحمدي والعزبة السودانية، ده غير البيوت الموجودة بره القاهرة في إسكندرية ودمياط وغيرها، أنت عارف في كام ست بتشتغل في البغاء في مصر، دول يزيدوا عن عشرة آلاف ست ومعظمهم جهلة وميعرفوش غير الشغلانة دي وكمان ملهمش مأوى غير البيوت اللي بيشتغلوا فيها، ده غير القوّادين والقبضايات اللي معظمهم مسجلين، يعني المشكلة دي مش سهل تتحل في يوم وليلة.

- أنا عارف إنها مشكلة مش سهلة، وأنا ممكن أساعد في حلها، أنا عندي بيوت رعاية وفيها ورش ممكن نعلم فيها البنات دول مِهَن يقدروا يشتغلوا بيها، ونوفر لهم كمان مكان يعيشوا فيه.

- أنا عارف إنك عندك مكتب كمان في إسكندرية، ممكن تعمل بيت رعاية هناك كمان؟

- أنا تحت أمر البلد وأمر معاليك في أي شيء تطلبه مني عشان نخلص من العار ده، ولو قرار إلغاء تقنين البغاء ده صدر في عهد معاليك هيبقى قرار هيخلد اسم «جلال فهيم باشا» في التاريخ.

- ماشي يا سيادة النائب، أنا عندي لك هدية كنت شايلها لغضبي منك ومستني لحد أما آخذ منك وعد بإنك تشارك في حل المشكلة، أنت عارف إن كان فيه مجلس وزراء يوم الوقعة المهببة بتاعتك، وأنا في المجلس وبكمية المهانة اللي كانت جوايا صممت إن إحنا نناقش الموضوع ده، وفعلًا لم ينفض مجلس الوزراء إلا بعد أن حصلت منهم على قرار بإلغاء تقنين البغاء في مصر.

ظهر الابتهاج وملأ إحساس الزهو أعين «سيد» ببريق السعادة حتى إن عينيه اغرورقت ببعض دموع الفرحة وقال:

- وأنا عند وعدي يا سيادة الوزير، ولو طلبت مني أي شيء تاني للمساعدة أنا عمري ما أتأخر.

- لكن متخليش الحماسة تاخذك أوي يا «سيد بيه»، القرار ده عشان يتنفذ كاملًا هيستغرق سنتين أو ثلاثة على الأقل.

- مش مهم، المهم إن إحنا أخذنا القرار، وأنا كمان عندي لمعاليك هدية، ثم أخرج حافظة الوزير من جيب سترته الداخلي وأعطاها للوزير والذي فتحها على عجل وعندما وجد كافة الأوراق كاملة

بداخلها فابتسم بسعادة، ثم تجهم وجهه فجأة ونظر إلى «سيد» نظرة اتهام وقال بارتياب:

- أوعى تكون أنت اللي... فقاطعه «سيد» بحدة لنفي الاتهام وقال:

- لأ، لأ ،لأ يا سيادة الوزير، مش ممكن تظن بي الظن السيء ده، الواضح إن النوايا الطيبة هي اللي خلت ربنا وفقنا جميعًا، أنا المحفظة دي جابتها لي واحدة بنت حلال امبارح لقيتها في الترام، وعلى ما أظن إن اللي سرق المحفظة من سعادتك أخذ الفلوس اللي فيها ورماها في الترام، وكل ده حصل أدام الشيخ «الشعراوي» وأنت عارفه كويس وعارف إنه عمره ما هيكدب وممكن حضرتك تسأله.

عاد الهدوء مرة أخرى للوزير وقال:

- وعشان هديتك القيمة دي يا سيادة النائب إحنا هنبدأ تنفيذ القرار من شارع «كلوت بك»، يعني أسبوع بالكتير وهنبعت لهم إنذار بمهلة محددة لغلق كل بيوت البغاء الموجودة بالشارع.

***

وقف «عز» يتنهد بألم وهو ينظر من خلف زجاج نافذة مكتبه إلى الحديقة الرحبة الواسعة ورفع عينيه إلى الشمس الغاربة والتي تنسحب منغمسة في الأفق البعيد وهي تسحب معها ببطء ماء الحياة من قلبه والذي انكفأ منزويًا في جانب صدره وهو يسأله بوجل «هل سأراها مرة أخرى؟»، فقد كان ينتظر لحظة مغادرة العاملين معه على أحر من الجمر ليجلس وحيدًا متمتعًا بالتفكير فيها، وعلى الرغم من بقائه بجوار الهاتف طوال النهار لا يتحرك

منتظرًا رنينه والذي كان يجعل شمس قلبه تشرق فتضيء له الحياة للحظات خاطفة ثم يرد خائبًا منطفئا عندما لا يجد صوتها على الطرف الآخر، لقد كان طوال حياته لا يعتقد في الحب من أول نظرة، بل لم يكن يعتقد في الحب عامة، إلا أن ما حدث له منذ رآها تخطى حدود اعتقاده وجعله مؤمنًا بأن سلطان القلب قادر على أن يغزو سلطان العقل، ويستولي على مملكته ويجعله أسيرًا له، فهو لا يدري كيف استطاعت «زينب» وفي مثل تلك اللحظات القليلة في أن تنقش تفاصيلها داخل قلبه وكان تفسيره الوحيد ،هو أنه قد رآها بقلبه قبل أن تراها عينيه.

فعاد وجلس على مقعده مكدودًا وهو يتذكر ابتسامتها المتألقة وأسنانها البيضاء التي تلمع كالنجوم التي تضيء سماء شفتيها المكتنزتين وتلقي بشعاع فضي يوضح بجلاء أنفها الشامخ، وتساعد بحرارتها على توهّج بشرتها البيضاء النقية في أن تشوبها حمرة الخجل فتجعلها أبهى وأنقى، والألق الذي يلمع في عينيها قويًا آسرًا محطمًا آخر قلاع مقاومته، رغم لمحة من انكسار تطوف فيهما لا يدري أسبابها، إلا أن واتته أحد الأفكار الجنونية فنهض مسرعًا وقام بجمع متعلقاته ونزل من مكتبه وركب سيارته وقرر أن يذهب ويتجول بها في المنطقة المحيطة بمكتب والده في باب الشعرية، والتي قالت إنها تسكن بالقرب منه، معتقدًا بأن نداء قلبه سوف يصل إليها وستكون في انتظاره عندما يصل هناك، وظل يتجول ما يقارب الساعتين وهو ينظر حوله في الشوارع، بل وينظر في الشرفات والنوافذ المحيطة عله يلمح طَيفها، وكان يسأل نفسه دائمًا

ماذا سيفعل عندما يراها فهل يذهب إليها مباشرة؟ أم ينتظر حتى تراه ويراقب ردة فعلها عندما تراه؟، ليعرف مقداره في قلبها، وهل هي أيضًا تفكر فيها وتتمنى لقياه كما يفعل هو، أم كان هو شخصًا عابرًا في حياتها تجاوزته ولم يترك أي أثر فيها، وعندما يئس من لقياها، عاد إلى بيته مبتئسًا وكان أول ما سأله للخادمة عندما دخل إلى المنزل هل هناك من اتصل بي وأنا بالخارج وعندما أتاه الجواب بالنفي، تجهّم وجهه وحمل الهاتف ودخل به إلى غرفته ووضعه بجوار فراشه على أمل أن يرق قلبها له وتقرر الاتصال به، وقبل أن يبدل ملابسه، ذهب إلى الفونغراف وقام بإخراج الأسطوانة الجديدة التي ابتاعها للآنسة «أم كلثوم» والتي كان عنوانها مناسبًا تمامًا لحالته الآن، فقد كانت تحمل اسم «يا طول عذابي واشتياقي» وانطلقت «أم كلثوم» تشدو بعذوبة بكلمات «أحمد رامي» قائلة:

ياما غَلبت الشوق وشكيت من طول غيابك عن عيني

أقول لقلبي وليه الشوق مادام هيعطف ويجيني

أصبر مع الأيام تتحقق الأحلام وأشوف حبيب الروح تاني

وكان آخر ما تذكره قبل نومه كلمات «زينب» المنمقة المرتبة والتي أوحت إليه بمقدار ثقافتها ورقي علمها والذي لم يجده في أنثى من قبل.

***

ما زالت «زينب» تبكي بين الحين والآخر منذ أن غادرت مكتب «سيد جلال»، فكانت تُخرج البطاقة الخاصة بـ «عز» وتنظر إليها

وتتخيل صورته مرتسمة على البطاقة أمامها وهو يفيض عليها بكلماته العذبة الرقيقة التي حركت مشاعرها وأزالت أدرانها التي تراكمت عبر سنين الخطيئة والتي تعاظمت مدمرة حاضرها وربما مستقبلها، دخل «عز» قلبها التي كانت تظن أنه مات، أنعشه ليس فقط بكلماته ولكن باحترامه وشخصيته الودودة وشعوره الجارف التي أحست به يلهب بشرتها، فقد تعودت على من ينهش جسدها ولكن «عز» نهش مشاعرها وأيقظها من سباتها، أحبت نظرته التي غيرت نظرتها للحياة، أحبت كلماته التي سلختها من «زنوبة» ربيبة شارع «كلوت بك» وعادت بها إلى «زينب» الطفلة النجيبة التي تلهو في شوارع الإسكندرية، فبعد لقائها بـ «عز» لم تكن ترغب في العودة إلى الشارع مرة أخرى وفكرت في الذهاب إلى الإسكندرية للبحث عن والديها لعلها تجدهما بعد كل هذه السنين، ولكن «سمية» منعتها وأصرت أن تعود معها إلى «كلوت بك» وأخبرتها أن تبتعد عن تلك الأفكار الجنونية وأن ما يحدث في الأفلام والروايات التي تقرأها لا ينطبق على الواقع، فلو تركت البيت الذي تسكن فيه الآن فأين تذهب ولمن تلجأ، وإذا ذهبت إلى الإسكندرية فعن من تبحث وأين تبحث، فهي لا تعرف سوى اسم والدها الأول ولا تعرف أي شيء غير ذلك، والإسكندرية مدينة كبيرة ولن ينفعها ما تعرفه في الوصول لأي شيء، وستجد نفسها مرة أخرى في الشارع، وكان شرطها للعودة مع «سمية» هو أنها ستتوقف تمامًا عن العمل، فلن يلمسها رجل مرة أخرى، وهاودتها «سمية» حتى تعود معها، أخبرتها بأن تدعي المرض عندما تعود إلى أن يستطيعوا التصرف وإيجاد طريقة يستطيعون بها تحقيق ما تطلبه، وعندما أوشكت «زينب» على البكاء مرة أخرى

دخلت عليها «سمية» في حجرتها وقالت وهي تخرج العلبة الورقية من أسفل ملابسها:

- خذي يا ستي، الحلاوة بالشطة بتاعت كل يوم، بس متكليش منها كتير، خليها لبليل بس، عشان أما «فطومة» تيجي تشوفك تكوني سخنة وتصدق إنك عيانة، ولو أني مش عارفة هنقدر نعمل كده لحد امتى، وخدي بالك هما مش هيصبروا عليكي كتير.

- يصبروا ولا ميصبروش، لو حكم الأمر أنا ههرب من هنا واللي يحصل يحصل، المهم أنا عايزة أخرج دلوقتي.

- تخرجي تروحي فين يا مرة!! إحنا ضاحكين عليهم وبنقول لهم إنك تعبانة ومش قادرة تتحركي من مكانك.

- أنا لازم أخرج، عايزة أروح لـ«عم محفوظ» عشان أقرأ «غادة الكاميليا».

غمزت «سمية» بعينها وقالت بسخرية:

- هتخرجي عشان «كاميليا» برضوا، ولا عايزة تتصلي بالبيه اللي اداكي الكارت بتاعه.

وقبل أن ترد «زينب» دخلت «ثريا» إلى الحجرة فقالت لها «سمية»:

- تعالي يا أختي شوفي البت اللي عايزة تخرج!

قالت «ثريا» لـ «زينب»:

- ولا يهمك يا بت، لو عايزة تخرجي أنا هخليكي تخرجي، وخرجت «ثريا» وجلست بجوار «فطومة العايقة» عدة دقائق ثم عادت إليهم وقالت لـ«زينب» بثقة:

- يالا، البسي، هنخرج.

فنظرت لها «سمية» بدهشة وإعجاب وقالت:

- أنا هلبس وأجي معاكوا.

فقالت «ثريا»:

- لا، العايقة مرضيتش، قالت لي، خدي «زنوبة» بس.

وخرجت «ثريا» بصحبة «زينب» وعندما وصلوا إلى «ميدان رمسيس» قالت «زينب» لـ«ثريا»:

- أنت قلتي للعايقة إيه عشان توافق على إني أخرج بسهولة كده!؟

- ولا حاجة، قلت لها إن وإحنا في المستشفى الدكتور إدانا حبوب، وقلنا لو واحدة فيكوا تعبت أو جالها سخنية، يبقى ممكن يكون عندها مرض معدي، فلازم تيجي لي على طول، فقلقت على البنات اللي موجودين في البيت عندها، وقالت لي طيب خديها بسرعة ووديها للدكتور.

ثم أكملت «ثريا»:

- أنا عندي مشوار خفافي كده، هسيبك هنا وأما ترجعي ابقى قولي «للعايقة» إني وصلتك ورجعت على البيت بتاعي.

واصلت «زينب» السير وهي تفكر في ظن «سمية» بأنها تريد أن تخرج لتتصل بـ «عز»، فهي لا تعرف بأنها تفضل أن تموت على أن يعرف «عز» حقيقتها، فهي تريد أن يحتقظ قلبها بنظرت الإعجاب التي رأتها في عينيه، وتحتفظ ذاكرتها بكلمات الإطراء والاحترام التي سمعتها منه، وعندما وصلت إلى منتصف شارع «سليمان باشا» بجوار سينما مترو حيث توجد فرشة «عم محفوظ» فلم تجده ووجدت الصبي الصغير الذي يعمل معه والذي رحب بها فهو يعرفها جيدًا لكثرة ترددها عليهما فأحضر لها كرسيًا ووضعه بجوار الفرشة وقال لها إن «عم محفوظ» ذهب إلى المخزن وسيعود سريعًا، وجلست «زينب» تنظرحولها بإعجاب إلى هذه السيدة التي ترتدي الفستان الواسع الطويل ذي الأكمام الطويلة وصف الأزرار الأمامية الطولية في منطقة الصدر والتي تعطي لها الحشمة والوقار والذي يصل إلى ما تحت ركبتيها بعدة سنتيمترات ويحتوي على أطراف واسعة تتطاير أثناء سيرها معطية إحساسًا بالبهجة والسعادة وتتأبط بفخر ذراع رفيقها الذي يرتدي بدلة كاملة ورابطة عنق مزركشة رفيعة، وطربوشًا أحمر قاني نظيفًا ومنفوخًا يُصبغ عليه لمحة من الزهو والمهابة وهما في طريقهما إلى شباك تذاكر سينما مترو للحجز لحضور الحفلة الصباحية، وتلك الخادمة السمراء ذات الملامح النوبية الهادئة في الجهة الأخرى من الشارع والتي تحمل أمتعة سيدها لتضعها بانتظام في الحقيبة الخلفية لسيارته، وعندما تأخر «محفوظ» قليلًا تململت في جلستها وعادت تنظر إلى الكتب والمجلات والجرائد وهي تتذكر ما حدث منذ عشر سنوات، عندما كانت في الثانية عشر من عمرها، فقد كانت تمر كل يوم على هذه

الفرشة لتشتري جريدة الأهرام والتي كانت تعشق قراءتها وكانت تنظر إلى الكتب والروايات بنهم ولاحظ «عم محفوظ» الرجل الخمسيني صاحب الفرشة نظراتها النهمة ونظرًا لرقة حالها كان يظنها خادمة تشتري الجريدة لمخدومها وعندما علم بإجادتها القراءة عاملها كأب، وبخاصة بعد علمه بأنها لا تمتلك ما تستطيع به شراء تلك الكتب وأخبرها بأنها تستطيع أن تأتي له كل يوم وتقرأ ما تشاء من الكتب والروايات، ووجدت فيه شخصية واعية ومثقفة ساعدها كثيرًا على التعلم وأرشدها على بعض الكتب التي تستطيع البدء في قراءتها وكان يناقشها فيما تقرأ ويوضح لها ما التبس عليها، وحتى عندما علم أنها تعمل في شارع «كلوت بك» لم تتغير معاملته أو حتى نظرته لها، بل حاول التقليل من إحساسها بالمهانة والخزي، بأن قال لها بأنه كان طالبًا في مدرسة المعلمين العليا وقبل أن يعمل على هذه الفرشة تم اتهامه بالسرقة والشروع في قتل شريك والده في العمل، وحُكم عليه بالفعل بالسجن والذي قضى فيه خمس سنوات أضاعوا عليه أجمل سنوات عمره وكانت ظروف حياته القاسية والتي تغيرت فجأة عندما توفي والده وترك لهم تجارة استولى عليها شريكه، هي التي دفعته لارتكاب هذه الجريمة، وتم فصله من المدرسة وانهارت حياته ولكنه استطاع بعد ذلك التفكير والعمل بجد على تغيير ظروف حياته إلى أن واتته الفرصة ليجد عملًا محترمًا يستطيع منه الإنفاق على نفسه وعلى أسرته، ونصحها أن تنتهز أقرب فرصة تتاح لها لتغيير مسار حياتها، ولذلك فقد أتت إليه اليوم لتستشيره فيما حدث لها عندما قابلت «عز» وتعرف منه رأيه في الطريقة التي يجب أن تتعامل بها معه، وكذلك لتقرأ رواية «غادة الكاميليا» والتي رشحها

لها «عم محفوظ» من قبل ولكن عندما كان يخبرها بأنها تتحدث عن قصة عاهرة وقع في حبها شاب رغم علمه بحقيقتها ولكنها هي من كانت تحاول البعد عنه، فكان يتملكها الجزع وينقبض قلبها وترفض قراءتها، ولكنها تجد نفسها الآن في أشد الحاجة لقراءتها.

وعندما أتى «عم محفوظ» جذب مقعدًا وجلس بجوار «زينب» وأمر مساعده الصغير بأن يعبر الشارع إلى مقهى البن البرازيلي ويأتي لهما بفنجانين من القهوة، والتي كان «محفوظ» لا يشربها إلا بهذه الإضافات والنكهة التي يصنعها هذا المقهى، وعندما قصت عليه «زينب» ما حدث، شرد «محفوظ» قليلًا ثم ارتشف رشفة من فنجان القهوة الموجود أمامه وقال بهدوء:

- شوفي يا «زينب»، مفيش في الدنيا علم صحيح تمامًا، كل العلوم فيها نسبة خطأ، وبالنسبة للمشاعر والأحاسيس فنسبة الخطأ بتزيد، وممكن تتغير من إنسان لإنسان ومن موقف لموقف بالنسبة للإنسان نفسه، لو كان علم الدنيا صحيحًا كنت لازم أقولك إنك لو قابلتي «عز» تاني لازم تقولي له على حقيقتك وهو يقرر إنه يكمل معاكي ولا لأ، لكن في الموضوع بتاعك ده بالذات وعشان أنا نفسي تلاقي فرصة تقدري تهربي فيها من حياتك فأنصحك إنك متعمليش كده، أنا عايزك تقابليه تاني ومتقوليش له أي حاجة عن حياتك قبل كده، خليه يتعرف عليك الأول، يعرف «زينب» من جواها، يعرف أحاسيسك الجميلة وقلبك الطيب وروحك الحلوة، وثقافتك العالية، لحد لما قلبه وعقله يتعلق بك وميقدرش يستغنى عنك، لكن خدي بالك خلال الرحلة دي إنه لازم ميعرفش أي حاجة

عن حقيقة ماضيك، لازم أنت اللي تصارحيه بالحقيقة، متسبهوش يعرفها من بره، عشان ميحسش إنك ضحكتي عليه وخدعتيه، لازم أنت اللي تقولي له الحقيقة، وبرضوا متفتكريش إنه بسهولة كده هيسامحك وينسى ماضيك، لأنه في الغالب برضوا مش هيقدر يكمل معاكي، لكن اللي أنت هتعمليه ده هيخلي نسبة أنه يكمل معاكي أكبر بكتيرمن لو كنتي صارحتيه من البداية.

- يعني أنت رأيك إني أكلمه في التليفون دلوقتي؟

- لأ طبعًا، أوعي تعملي كده، لو كلمتيه يبقى بترخصي نفسك وأما يعرف حقيقتك بعد كده هيظن إنك كنتي بتخططي إنك توقعيه من الأول، بس لابد تتقابلوا، لكن برضوا لازم الموضوع ييجي بالصدفة، أو هو يظن إنه جه بالصدفة، وبعدين أنا مش عايزك تقابليه قبل أسبوعين أو ثلاثة، لأنه لو اتعلق بك فعلًا، هيحاول يشوفك ويدور عليكي خلال الأسبوعين تلاتة دول، وده هيخليه مشتاق جدًا ليكي وعايز يشوفك بأي طريقة، ولما تظهري أدامه هيتمسك بك أكثر وصعب جدًا يفرط فيكي بعد كده.

***

وقفت «ثريا» أمام محل الخواجة «ولسن» الشهير بجميع أنواع المشروبات والعصائر والذي كان يرتاده معظم طلاب المدارس العليا والأهالي من علية القوم القاطنين حوله بميدان العتبة وشوارع وسط المدينة وكانت تحتسي من كوب العصير بتململ وهي تسأل العامل الجالس خلف مكتب صغير مرتفع موجود بجوارها بين الحين

والآخر عن التوقيت وهي تنظر حولها باستمرار استطلاعا للقادمين من كافة أنحاء الشوارع المحيطة بالميدان، وتلاعبت الأفكار برأسها حتى ظنت أنها ربما قد أوقعت نفسها في كمين قد نصب لها، فقد كانت تسمع عن مثل تلك الكمائن التي نصبت لبعض أربابها من قبل والتي أودت بحياتهن، ثم عادت وفكرت لو أنه كان كمينًا، كانوا من الطبيعي أن يكونوا في انتظارها بمجرد وصولها ولا يتركونها منتظرة، فلربما أصابها الملل فترحل قبل أن يأتوا، وعندما همت فعلًا بالرحيل أتاها صوت من خلفها تعرفه جيدًا قائلًا:

- بنت عمي، «ثريا» اللذيذة.

انتفضت «ثريا» منزعجة من المفاجأة ونظرت خلفها بقلق وتوتر وقالت:

- الله ينيلك يا موكوس، إيه اللي أخرك كل ده، وجاي في الآخر تخضني، أنت كده طول عمرك مباخذش منك غير الأذية.

- أذية إيه بس يا قمر، دانا جاي لك يا جميل بالخير كله، وبعدين بصراحة أنا قولت أنك ممكن تخافي ومتجيش بعد ما اتقابلنا في شارع «كلوت بك».

- وأنا أخاف من إيه يا حيلتها، هو حد علمني أبيع نفسي غيرك!؟

- وادِيني جاي يا ستي عشان أعوضك عن كل اللي فات، بس تعالي نمشي من هنا دلوقتي وبعدين هقول لك على كل حاجة.

أشار إلى أقرب عربة حنطور وركب فيها مع «ثريا» واتجها إلى

حديقة الأزبكية، وعندما استقرا متجاوريين على أحد مقاعد الحديقة بادرها قائلًا:

- شوفي يا ستي أنا بشتغل دلوقتي في الكامب الإنجليزي اللي موجود في العباسية، وصاحبك بقى مندوب المزاج في الكامب من حشيش لويسكي لنسوان، والأمر ميسلمش من عربية خضار أو نقلة فاكهة وبشتغل مع الكولونيل «أدامز» قائد الكامب نفسه، هو راجل لطيف وحبوب وداخل على خمسين سنة وغاوي نسوان وده مشكلته الكبيرة لأنه بياخد ياما على ما تقوم له قومة، فمفيش واحدة من اللي جبتهم له نفعت معاه، تعب معاهم وتعبهم معاه، كان دايمًا يقول عليهم باردين وجايين يقلبوه في قرشين وخلاص، هو عايز واحدة جاية عشان الجنس مش عشان الفلوس، وأنا عارفك يا جميل سيد من يقوم بكده.

- بس أنت عارف النظام في الشارع، أنا مقدرش أسيبهم وأمشي بمزاجي، لازم حد يشتريني منهم.

- ما أنا عارف، لكن أنا مينفعش أشتري سمك فيماية، يعني تروحي لـ «أدامز» يدوقك مرة ولو عرفتي تأكليه وتشبعيه، هيشتريكي أنت وأهلكي، وهناكل من وراه الشهد.

- يعني أنت جاي لي بعد السنين دي كلها عشان تبعني تاني وتاكل من ورايا الشهد! ومين اللي قالك بقى إن أنا كمان مش ممكن أبيعك بعد ما الراجل يتبسط مني!؟

- لأ، متقدريش، أوعي تكوني فاكراني لسه الواد الصغير اللي

ضربتيه وهربتي منه قبل كده، لأ اصحي وشوفي أنا بقت إيه دلوقتي، أنا زي ما دخلتك الكامب ممكن أخرجك منه تاني ومش على البيت لأ على السجن، وبعدين الموضوع مش جنس وبس، ده في حاجات كتير تانية مش هتقدري تعمليها من غيري، ولو غلبت فيكي خالص، هو مشوار صغير لحد البلد، أجيب لك أبوكي وعمك في أيدي وأنا جاي وهما يتصرفوا معاكي.

(4)

انتهى «عز» من جولته اليومية حول مكتب والده وعندما اقترب من قسم باب الشعرية تذكر أخاه «عبد الرزاق» الذي يعمل ضابط شرطة بالقسم، فقرر أن يدخل يستشيره عله يستطيع إيجاد طريقة يستطيع بها العثور على «زينب».

وعندما دخل «عز» إلى القسم وجد «عبد الرزاق» يجلس في مكان الاستقبال بالقسم وسط مجموعة من زملائه، فطلب منه أن يتحدث معه في أمر هام فنهض «عبد الرزاق» وعلى وجهه علامات القلق والدهشة من الزيارة ومن جهله بماهية هذا الأمر الهام، وأخذ «عز» وذهبا إلى مكتب صغير مغلق وجلسا متجاوريين وبادره «عز» قائلًا بسخرية مداعبًا لأخيه:

- يعني كل يوم نقول حضرة الضابط راح وحضرتك الضابط جاي، وفي الآخر آجي ألاقيك قاعد في مدخل القسم كده زي المخبرين.

رد «عبد الرزاق» بسخرية مماثلة قائلًا:

- هو أنت كنت فاكرني لواء!؟ دانا لسه متخرج السنة اللي فاتت ولسه متعين في القسم جديد، احمد ربنا إنك جيت لقتني أساسًا، ومكنتش في مأمورية بره القسم، وبعدين أنت جاي عشان تتريق علي، لولا أنك أخويا الكبير كنت زماني دخلتك الحجز دلوقتي.

ابتسم «عز» بحب وقال:

- عقبال ما نشوفك لواء إن شاء الله، لكن أنا كنت عايزك تقولي، لو

في حد تايه ممكن نلاقيه إزاي!؟

- مفيش مشاكل، اديني اسمه وسنه والمكان اللي تاه فيه، ولو معاك صورة له يبقى كويس.

- لأ يا «عبد الرزاق» أنت مش فاهمني، أنا مش بدور على عيل صغير، أنا بصراحة بدور على واحدة.

اتسعت ابتسامة «عبد الرزاق» وقال بدهشة ممزوجة بالفرح:

- أيوة بقى يا أبو العز يا جامد، أنا من زمان بدور لك على علاقة زي دي ومش لاقي، لكن أنا مش هعمل لك أي حاجة، إلا لما تحكي لي الحكاية كلها من البداية.

- والله مفيش أي حكاية، هي بنت شفتها مرة واحدة وبالصدفة وفي مكتب والدك، حتى والدك نفسه ميعرفهاش، لكن هي عملت فيه معروف كبير وجبت له محفظة الوزير اللي ضاعت منه، وخطفتني من ساعاتها ومش قادر أبطل تفكير فيها.

- ماشي يا سيدي ربنا يسهل لك، لكن هي تاهت منك إزاي يعني!؟

- إحنا اتكلمنا شوية وطلبت أقابلها تاني لكنها رفضت، واديتها أرقام تليفوناتي، وباقي لي خمس أيام مستنيها تتصل ومتصليتش.

- طبيعي يعني، أي واحدة محترمة، مش هترضى تقابل رجل متعرفوش، وبالتأكيد طبعًا مش هتتصل، قول لي اسمها وأنا هشوف كده ممكن أعمل لك إيه.

- هي اسمها «زينب».

- أيوة يعني «زينب» إيه، اسم والدها أو عائلتها إيه!؟

- لا معرفش، بس هي ساكنة جنب مكتب والدك في باب الشعرية.

قال «عبد الرزاق» بمزاح ساخر:

- متعرفش! قوم روح يا «عز»، أنت عايزني أدور على إبرة في كوم قش، بص، من الآخر كده أنت حلك الوحيد أنها تتصل بيك، أو أنك تعمل تمام كل يوم في مكتب والدك يمكن تيجي عنده مرة تانية.

***

هل أحبت «زينب» «عز» بالفعل، وما معنى الحب في وسط ملأته الرغبة وتخللت ثناياه، هل الحب تعوّد، رغبة، تملّك، احتياج، أم هو كل هذه الأشياء مجتمعة، فـ«زينب» لم تشعر في حياتها بأكثر من الاحتياج ، الاحتياج لمن يحتويها، لمن يحنو عليها، لمن يعطيها، اهتمامًا افتقدته منذ أن ضلت طريقها بعيدًا عن والديها، فقد ورثت النفس المحبة عن والدتها ولكنها سُحقت منها فوق قضبان قسوة الحياة، فقد امتلأت نفسها بالبغض والمرارة حتى إنها كرهت نفسها، كرهت خلقها، حتى كادت أن تكره خالقها، إلى أن رأت الحب في عينيي «عز» فهو ما رد إليها بعضًا من نفسها الضائعة، ولذلك كانت الآن تحاول الفرار، الفرار من عالمها إلى عالم الدنيا النقية، الفطرة الأولية التي خلقت عليها، وكانت أكثر ما تخشاه الآن هو أن تجد أحد الزبائن يدخل إلى غرفتها، فهي لا تدري كيف تستطع التعامل معه أو الهروب منه ، فنفسها لن تطيق أن يمسها رجل مرة أخرى حتى وإن اضطرت لقتله، أو قتل نفسها، وعندما وصلت تلك الأفكار إلى رأسها

ظهر الخوف في ملامحها وقامت بذعر تلملم حاجتها الضرورية فإذا كان الموت هو النهاية فعلى الأقل عليها أن تموت خارج هذا البيت ولذلك قررت الفرار من البيت والحي كله، مهما كانت العواقب، وسمعت وهي تحاول الوصول إلى غطاء رأسها في رف الدولاب العلوي، صوت أبواق سيارات الشرطة المميزة وأعقبها صوت جلبة شديدة وصخب مزعج، ولأنها اعتادت على مثل تلك الأصوات فقد اعتقدت وقوع أحد الجرائم العنيفة والتي تحدث دومًا في الشارع، وحدثت نفسها بأن خالقها ربما رضي عنها أخيرًا وقرر أن يساعدها في مسعاها ، فانشغال الناس في الشارع بمثل تلك الحوادث سيساعدها على الهرب دون أن يشعر بها أحد، توجهت «زينب» إلى النافذة وعندما نظرت إلى الشارع شاهدت صراخ وانهيار بعض العاهرات، بينما القبضايات متجمعين حول الضابط يناقشونه بتوتر وتحفز فشعرت بأن هناك أمرًا جللًا يستدعي كل هذه الفوضى، إلى أن استمعت إلى صرخة «فطومة العايقة»، فتركت النافذة بقلق وخرجت لتعرف ما حدث، فوجدت «سمية» تقف مكتئبة غاضبة بجوار «فطومة» التي أخذت ترغي وتزبد وتنطلق اللعنات البذيئة من فمها إلى أن انهارت جالسة على أقرب مقعد وهي تبكي قائلة بأسى:» يا خراب بيتك يا فطومة».

ظهرت الدهشة الشديدة على وجه «زينب» ونظرت مستفسرة إلى «سمية» والتي قالت وهي تجذبها وتتجه بها إلى غرفتهم:

- قريت يا بنت القرارة، أهو مش أنت اللي هتمشي من هنا بس كلنا هنمشي.

ظهرت الفرحة الممزوجة بالدهشة والتساؤل على وجه «زينب» وقالت بلهفة:

- في إيه!؟ إيه اللي حصل؟ وعربيات البوليس اللي تحت دي كانت جاية ليه!؟

- حصل اللي أنت كنتي عايزه يحصل يا ختي، البوليس جه عشان يقفل البيوت ويسرح البنات، وإدى مهلة شهر لأصحاب البيوت، واللي مش هيقفل ويسرح البنات هيتحبس، ووقف عساكر على النواصي عشان يطفشوا الزباين.

ظهر التأثر الشديد على وجه «زينب»، وطفرت دموع الفرحة من عينيها، ورفعت يديها للسماء وقالت:

- ربنا ولك الحمد، والله أنا كنت عارفة إنك موجود ومش هتسبني، أنت حنين أوي يا رب إنك استجبت لدعاء واحدة خاطية زيي، والله أنا اتبهدلت أوي يا رب ومكنتش استاهل كل ده، الحمد لله، الحمد لله.

ظهرت البلاهة على وجه «سمية» وقالت:

- أنت اتهبلتي يا بت، أنت بتكلمي مين!؟ وبعدين أنت فرحانة أوي ليه كده، دا إحنا هنترمي في الشارع، أنا كنت وخداكي على قد عقلك، وكنت فاكراكي شوية وترجعي لعقلك.

قالت «زينب» وهي تمسح بقايا دموعها التي تساقطت على خديها وتجلس على فراشها بأريحية لم تعهدها من قبل:

- وأنت فاكرة يا «سمية» إن اللي بيشتغل الشغلانة دي يبقى عنده ريحة العقل، أنا عقلت خلاص وقررت إني متجننش تاني خالص، لكن أنا معرفش البنات اللي في الشارع هيروحوا فين!؟ و«ثريا» و«بمبة» ممكن يعملو إيه بعد كده!؟

حلت «سمية» قطعة القماش الأسود التي تلفها حول جسدها، ورفعت البرقع ذا القصبة النحاسية من فوق وجهها، وجلست بجوار «زينب» وهي تقول:

- متقلقيش على «ثريا»، دي جت لها شغلانة لوز بره الشارع، ومكنتش عارفة تمشي إزاي، تلاقيها دلوقتي مبسوطة على الآخر من اللي حصل، «بمبة» هي اللي صعبانة عليا، جوزها بقالوا شهرين مبيشتغلش ومعرفش هتعرف تأكل ولادها منين.

- يا ستي ربنا يرزقها من مكان تاني، يعني هي فرحانة أوي أما تأكل ولادها من بيع جسمها، المهم متعرفيش باقي البنات هيعملوا إيه!؟

- الظابط قال للبنات، اللي متلقيش مكان تروح فيه تبقى تروح دار الرعاية بتاع «سيد جلال»، الموجود في باب الشعرية وهو هيعلمهم شغلانة وهيجهز لهم أماكن يعيشوا فيها.

عندما استمعت «زينب» لاسم «سيد جلال» انقبض قلبها وقالت بانزعاج:

- لأ، دار رعاية إيه!! أنا مش ممكن أروح هناك.

ابتسمت «سمية» بخبث وقالت:

- وليه لأ يا بت، دا أنت حتى ممكن تقابلي حبيب القلب هناك.

- وأنت عايزاني أروح و«عز» يشوفني هناك ويعرف إني كنت بشتغل في «كلوت بك»!! أنا عندي أموت وميشفنيش «عز» في الموقف ده.

- خلاص براحتك، أنا بفكر أروح.

قاطعتها «زينب» عندما تذكرت أن «عز» يعرفها ولو رآها هناك سيعرف أيضًا أن «زينب» كانت تعمل معها فقالت بحدة وغضب:

- لأ، مش هتروحي، وأنت تروحي ليه يا مهفوفة أنت! أنت معاكي 160 جنيه بحالهم ده أنت لو كنتي اشتغلتي هنا عشر سنين مكنتيش جمعتيهم.

- أمال يعني إحنا ممكن نعمل إيه!؟ ولا نروح فين!؟

- أنا معايا بتاع عشرة جنيه هروح أدور على أي مكان أقعد فيه، وأهم يكفوني لحد أما ألاقي أي شغلانة محترمة.

- تصدقي يا بت أنت عندك حق، أنا إيه اللي هيخليني أروح أبهدل نفسي في الملجأ بتاع «سيد جلال» ده!؟ أنا أعرف بنت بتشتغل في شارع «محمد على» هروح لها وهي تشوف لي شغل معاها، لحد أما أشوف سكة أشغل فيها الفلوس اللي معايا، متيجي معايا يا بت.

- لا يا ستي أنا عايزة أشوف شغلانة بعيدة عن هنا خالص، لكن ممكن نشوف أي شقة صغيرة ونقعد فيها سوا.

- أحسن برضوا، أهو نوفر، بدل ما كل واحدة فينا تقعد في مكان لوحدها.

***

حملت «بمبة» الهمَّ وسارت به بخطى وئيدة حزينة مترددة خجلة، كنملة صغيرة تحمل فوق ظهرها أضعاف وزنها ولكنها لا تجد لحملها مستقرًا ولا لألمها نهاية، فقد كانت قد اتفقت مع المعلمة «ثناء» على أن تأخذ منها سلفة بسيطة لشراء ملابس لأولادها بدلًا من أثمالهم المهترئة ولكن بعد ما حدث اليوم، لم تسطع الحصول على هذه القروش القليلة، ويا ليت الأمر توقف على ذلك ولكنها لن تستطيع حتى توفير طعامهم في الأيام القليلة القادمة والتي لا تدري حتى مدتها، فإلى متى تستطيع الاحتمال؟ احتمال رؤية أولادها وهم يتضوّرن جوعًا أمامها، لقد فقدت الأمل في زوجها، فمنذ إصابته في قدمه وهو يجلس بدون عمل، حتى بعد أن شفيت إصابته بحث قليلًا عن عمل ثم استكان عندما وجدها هي من تقوم بالإنفاق عليه وعلى أولادهما.

وعندما اقتربت «بمبة» من منزلها رأت أولادها يقفون أمام المنزل في انتظارها، وبمجرد رؤيتهم لها جروا للقائها وأمسكت ابنتها الأصغر ذات الثلاث أعوام بأسفل جلبابها ولكن ولداها الأكبر سنًا توقفوا بغتة أمامها وظهرت مشاعر الصدمة والدهشة والحزن في أعينهما عندما لم يجدا شيئًا في يديها، وقال أصغرهما بقلق:

- الهدوم فين يا أما!!؟

فردت «بمبة» بحزن وهي تقترب منه لتحتضنه:

- بكرة يا حبيبي، بكرة هجيب لك كل اللي أنت عايزه.

فهم أكبرهم الأمر وقال بحزن وهو على وشك البكاء:

- هو كل يوم بكرة!؟ أنا يا أما ببرد من الهدوم المقطعة اللي أنا لابسها دي.

طفرت الدموع من عينيي «بمبة» وأبعدت وجهها عنه حتى لا يرى دموعها وهرولت أمامهم ودخلت المنزل مسرعة وهي تنوي إخراج كل ما بها من همٍّ وكبت بالصراخ في وجه زوجها عله يفيق قليلًا من غفوته، وبمجرد دخولها إلى الغرفة التي يعيشون بها جميعًا وجدته متكئًا على الأريكة القديمة البالية وبادرها قائلًا بتهكم:

- شايفك يعني جاية فاضية!! أمال فين يا ولية الهدوم اللي قلتي إنك هتجبيهم للعيال!؟

نظرت إليه نظرة ازدراء وقالت بغضب:

- أنت يا بعيد معندكش ريحة الدم، عايز الولية هي اللي تجري عليك وتأكلك وتكسيك أنت وولادك، ده بدل ما تتحرك وتقوم تشوف لك شغلة تكفينا منها.

استدار زوجها وأعطى لها ظهره وهو راقد فوق الأريكة وقال باستياء:

- إحنا مش هنخلص من الموال ده أبدًا، ما أنا ياما دورت على شغل ومفيش حد عايز يشغلني،

وبعدين أنت ناسية أنا عملت إيه عشان أخرجك من البكابورت اللي أنت كنت عايشة فيه!؟

- حوش حوش على السرايات اللي أنت معيشني فيها، يا رتني كنت فضلت في البكابورت، ومكنتش أبقى عندي عيال متعلقين في رقبتي دلوقتي.

انفعل بغضب واستدار لها وقال بعنف:

- وأنا مستني إيه من واحدة خاطية زيك!! غير إنها جاحدة وهتنكر كل اللي عملته عشانها.

- وطالما أنت عارف إني خاطية كنت ليه هتموت وتتجوزني، هو أنا اللي قولت لك روح بيع الحمار اللي كنت بتشتغل عليه واشتريني من شارع «كلوت بك»، مع إني ردت لك ثمن ميت حمار في القتة المحلولة اللي أنت عايش فيها أنت وولادك.

وعندما انتابه القلق من تصاعد غضبها، أراد تهدئة الأمور فقال بهدوء:

- يا ستي أنا غلطان لك، لكن قولي لي هي الولية اللي أنت شغالة عندها قلت بأصلها معاكي، ومرضيتش تديكي السلفة ولا إيه!؟

هدأت «بمبة» قليلًا وبدأت في طرح الكذبة التي ظلت تفكر فيها طوال طريق عودتها فقالت:

- لأ يا فالح، كل اللي حصل إن الأفندي بتاعنا استعفى من شغله، وعشان كده ما جاليش وش أطلب منها السلفة.

ظهرت الدهشة على وجهه وقال بشك:

- استعفى إزاي يعني! هو في مستوظف حكومة بيستعفى من شغله فجأة كده!؟

ظهر الارتباك على وجه «بمبة» فقالت :

- وأنا إيش عرفني؟ أهو هو ده اللي حصل، ولو مش عاجبك ابق روح اسأله.

- وأنا أسأله ليه يعني!؟ وبعدين هو أنا أعرف له طريق جرة، المهم، هتعملي إيه دلوقتي؟

- وأنا في إيدي إيه أعمله!؟ الست حتى قالت لي متجيش تاني إلا لما نبعتلك.

اعتدل زوجها في جلسته وقال بغضب:

- نهارك أسود! أمال إحنا هنعيش منين يا مرة!؟

زاد انفعال «بمبة» فقالت باستنكار:

- أديك قولت أهو، أنا مرة، اتصرف أنت بقى يا راجل البيت وروح شوف لك شغلانة تصرف علينا منها.

- وعلى ما ألاقي شغلانة، هناكل منين!؟ أنت عارفة إننا عايشين يوم بيوم.

جلست «بمبة» بيأس وإحباط على أقرب مقعد للباب والتفتت بوجهها بعيدًا عنه وقالت بصوت خفيض يائس وهي على وشك

البكاء:

- والعيال اللي بره دول بس، هأكلهم منين!!؟

بينما نهض زوجها بغضب وانفعال شديد واقترب منها والشرر يتطاير من عينيه وأشبعها صفعًا وركلًا وهو يصيح قائلًا:

- ما هو كان نهار أغبر يوم ما اتهفيت في عقلي واتجوزت واحدة مومس زيك، ما هو اللي يدخل النجاسة بيته لازم يبتليه ربنا بالهم والفقر، جتك داهية تأخذك أنت وولادك، وركلها بقدمه بعنف ثم خرج وصفع الباب خلفه بقوة.

(5)

وقفت «ثريا» على ضفاف النيل أمام قصر «المناسترلي» هذه التحفة المعمارية المقامة على مساحة ألف متر مربع في نهاية جزيرة منيل الروضة وهي تنظر إلى النهر الذي يتدفق أمامها، فقد كانت تشعر بأن ظهرها الآن قد أصبح للحائط، فعندما كانت تفكر فيما عرضه عليها «عزت» ابن عمها من قبل كانت تعتقد بأنها فرصة عمل مؤقتة يمكنها أن تحصد منها القليل من الأموال الإضافية وحتى إذا فشلت فيها فعملها الدائم بشارع «كلوت بك» موجود ويمكنها أن تعود إليه في أي وقت تشاء، أما الآن وبعد ما حدث في الشارع فقد أصبحت هذه هي فرصتها الوحيدة للحياة، فهي حتى لا تعرف أين ستذهب وكيف ستعيش، ولكنها بالطبع لن تخبر «عزت» بما حدث حتى لا يستغل ضعف موقفها ويساومها عليه بندالته المعهودة والتي تعرفها عنه منذ أن كانت طفلة، وعندما التفتت إلى الشارع شاهدت ثلاثة من الشباب حديثي السن يقتربون منها إلى أن توقف اثنان منهم بعيدًا عنها واقترب أوسمهم وأكبرهم سنًا منها وقال بجراءة:

- الجو لطيف أوي النهارده.

تجاهلته «ثريا» ونظرت يمنة ويسرة تبحث عن «عزت» بقلق.

فأكمل الشاب:

- أنا شايف الهانم واقفة من فترة طويلة.

فقاطعته «ثريا» وقالت بانفعال:

- وأنت كنت قاعد بتراقبني بقى يا روح أمك.

باغتته لهجة «ثريا» الفجة البذيئة ولكنها حاول استعادة رباطة جأشه فقال:

- لا سمح الله يا هانم، إحنا كنا قاعدين في الكافيتريا اللي جنب حضرتك، وكنا بنستسمحك لو ممكن تيجي تشربي معانا حاجة لأني أظن إنك تعبتي من الوقفة.

نظرت «ثريا» أمامها فوجدت «عزت» يعبر الطريق متجهًا إليها فقالت:

- مكانش يتعز يا حبيبي، اللي أنا كنت مستنياه جه خلاص أهو.

فنظر الشاب لـ«عزت» وهو مقبل نحوهما فانزعج بشدة وقال بسرعة: « طيب عن إذنك يا هانم» وانصرف مسرعًا من أمامها قبل وصول «عزت» والذي قال لـ«ثريا» بغضب:

- مين الراجل اللي أنت كنتي واقفة معاه ده يا بت!؟

ابتسمت «ثريا» ابتسامة خفيفة وقالت بسخرية:

- لأ مفيش، ده واحد كان بيسأل على طريق شارع «كلوت بك».

- يعني أنت كنتي تعرفيه قبل كده!!؟

- أبدًا يا أخويا وأنا أعرفه منين، ده يا دوب عمره ما حس إنه راجل إلا في المنام، وبعدين أنت هتخدني بالصوت ولا إيه يا سي

«عزت»!؟، أنت كل مرة هتسبني واقفة استناك كده!؟

- وأنا أقدر يا قمر، أنا كنت بس بظبط لك القاعدة مع الكولونيل قبل ما آجي.

- يعني إحنا هنروح له دلوقتي؟

- أيوة طبعًا، العوامة بتاعته، خطوتين من هنا.

- طيب يعني الكولونيل ده، طبعه إزاي؟ كشر يعني؟ ولا عادي كده زينا؟ وهتكلم معاه إزاي، أنت عارف أن معرفش أرطن بكلامهم ده.

- لأ لأ لأ، متقلقيش خالص من الناحية دي، «أدامز» ده حبوب ويموت في الضحك والمسخرة، وبعدين ده بقى له خمس سنين في مصر، وبيتكلم عربي أحسن مني ومنك.

سارت «ثريا» خلف «عزت» بتوجّس وحذر فهي كانت تحسب خطواتها القادمة بكل دقة، فخبرتها الكبيرة في الرجال كانت تجعلها تفكر في الطريقة الأفضل للتعامل مع شخصية مثل الكولونيل «أدامز»، فمنذ أن أخبرها «عزت» بأنه يريد امرأة ترغب في الجنس وقد أيقنت بأن ما ينقص «أدامز» فعلًا هو إحساسه بأنه مرغوب لشخصه وليس لنقوده أو مركزه، وبخاصة وهي تعلم جيدًا بأن الإنجليز على وجه العموم غير مرغوب فيهم في مصر، وهي كانت تعرف كيف تتعامل مع هذه النوعية من الرجال جيدًا ولكن ما كان يقلقها هو عدم معرفتها بطبيعة «أدامز» نفسه أو بطبيعة الإنجليز بشكل عام، فهل رجالهم يختلفون عن المصريين أم أن الرجال في جميع أنحاء العالم ذوي طبيعة متقاربة في التعامل مع المرأة

وبخاصة في العلاقات الحميمية الخاصة.

وعندما وصلا إلى باب العوامة وقفت «ثريا» خلف «عزت» والذي قام بطرق الباب بهدوء وعندما فُتِح الباب وشاهدت «أدامز» ذا البشرة الفاتحة والتي لفحتها شمس مصر الحارقة قليلًا فخالط سمارها بعض الاحمرار الجذاب ورأت فيه «ثريا» فتى أحلامها ذا القامة الطويلة والصدر البارز والمنكبين العريضين، فتمنت وقتها أن يحتويها بين ذراعيه.

وبدأ «عزت» بالكلام قائلًا بمرح:

- هي دي بقى المفاجأة اللي أنا وعدت.. ولم تنتظر «ثريا» لحين إتمام «عزت» لكلامه ولكنها قاطعته وأبعدته من أمامها بحدة وقالت:

- ابعد بس أنت كده يا «عزت» أما أشوف أنا القمر اللي واقف أدامي ده، واقتربت من «أدامز» وهي تقول بشغف:

- أنا كنت بكره الإنجليز، لكن بعد ما شفتك حبيتهم كلهم.

ابتسم «أدامز» بمرح وسعادة وقال:

- باين عليكي شقية أوي يا...

اقتربت «ثريا» أكثر حتى كادت أن تلتصق به وقالت بدلال:

- خدامتك «ثريا»، ولو عايز تسميني أي اسم تاني، أنا تحت أمرك برضوا.

اتسعت ابتسامة «أدامز» وهم بوضع يده عليها وقال بشهوة:

- دا أنت نمرة يا «ثريا»، أول مرة تجيب حاجة كويسة يا «عزت».

ظهرت المفاجأة الشديدة على وجه «عزت» من طريقة تعامل «ثريا» مع «أدامز» ولكنه تماسك وقام بسحب «ثريا» بسرعة من أمام «أدامز» قبل أن يضع يده عليها وقال بخبث:

- اهدأ بس شوية يا كولونيل، واستنى أما نقعد نشرب حاجة الأول.

خلصت «ثريا» يدها من يد «عزت» وتقمطت ذراع «أدامز» وقالت وهي تقوده لداخل العوامة:

- أنا هروح مع الكولونيل عشان يفرجني على العوامة الأول.

جذبها «عزت» من يدها مرة أخرى وقال بحدة:

- استني بس يا «ثريا»، الوقت قدامكوا لسه طويل، ابقوا اتفرجوا بعد كده براحتكم.

نظر إليه «أدامز» بغضب وقال بانفعال:

- أنت إزاي يا «عزت» تمسك إيد «ثريا» هانم بالطريقة دي!؟

ارتبك» «عزت» وترك يد «ثريا» بسرعة وقال:

- أنا آسف يا كولونيل، لكن أنا كنت عايزك في كلمتين قبل ما أسيبك أنت و«ثريا» هانم براحتكوا.

اصطحبهم «أدامز» وجلسوا في منتصف صالة الدخول وقال:

- قول يا «عزت»، أنت عاوز تكلمني في إيه!؟

تصنع «عزت» الحرج والارتباك وقال:

- يعني، كنت عايز أسأل جنابك على الوعد اللي وعدتني بيه !؟

ظهرت الدهشة الممزوجة بالغضب على وجه «أدامز» وقال بانفعال مستنكرا:

- هو ده وقت نتكلم فيه في الحاجات دي يا «عزت»!؟ وبعدين إحنا اتفاقنا إني لو اتبسطت هعمل لك اللي أنت عايزه.

- ما أنا شايف إن في وفاق والدنيا ماشية زي الفل.

نهضت «ثريا» من جلستها بسرعة وقالت لـ«أدامز» بلهفة:

- بصراحة أنا من أول ما شفتك وأنا مش قادرة أتلم على جنتي، ثم التفتت لـ«عزت» وقالت بثقة:

- اتكل على الله أنت دلوقتي يا «عزت»، وكل حاجة هتبقى تمام، ومتقلقش.

***

طافت «زينب» و«سمية» في جميع المناطق المحيطة بوسط البلد وانتقلا من رمسيس لباب اللوق لباب الشعرية وحتى شبرا وهما يبحثان عن سكن لهما، شاهدا عددًا كبيرًا من الشقق الصغيرة، كذلك بعض الغرف فوق أسطح العمارات ولكنهما للأسف اصطدما دومًا برفض أصحاب البيوت تسكين فتاتين بدون أهل ولا أهلية فهما لم تكونا تمتلكان حتى إثبات شخصية، وحتى الشقة الوحيدة التي وجداها في السيدة زينب ووافق صاحب البيت على تأجيرها لهما،

رفضت «زينب» السكن فيها بعدما أحست بنظرات صاحب البيت الجائعة لهما، وكانت «زينب» تتجول والسعادة والبِشْر يملأن وجهها بحياتها الجديدة والتي تضع قدمها على أول درجاتها وتخطو فيها بإرادتها الحرة ودون إجبار أو إذلال أو خضوع لأي شخص أو قوة غاشمة تدفعها بعيدًا عن الطريق الذي ترضاه وترغبه.

وكانت «سمية» على العكس من ذلك تمامًا، متجهمة الوجه غاضبة وغير راضية عما يحدث، فقد كانت كالشجرة الضخمة والذي تحاول معاول الزمن اقتلاعها من جذورها، ولذلك وبعد أن قضيا النهار كاملًا في البحث، أخبرت «زينب» بأنها أُجهدت كثيرًا وملّت من عملية البحث المضنية وقالت بأن الأهم الآن لها هو محاولة البحث عن عمل، ولذلك فعندما وصلا إلى ميدان رمسيس تركت «زينب» تكمل عملية البحث وقالت إنها ستذهب إلى شارع محمد على لمقابلة صديقتها والتي وعدتها بالبحث لها عن عمل.

وسارت «سمية» في اتجاه شارع محمد على وهي تشعر بالاختناق كسمكة خرجت لتوِّها من الماء، فرغم صعوبة حياتها في شارع «كلوت بك» وتطلعها دومًا للتخلص منها وبخاصة بعد أن أقامت الثروة التي حصلت عليها مؤخرًا جدار الأمان والذي دعم روحها في مواجهة قسوة الحياة، ولكن الحنين لما تفتحت عليه عيناها هو ما يجذبها ويُشعرها بأن الحياة بالنسبة لها هو شارع «كلوت بك» أما خارج هذا الشارع فهي الحلم الذي كانت تحلم به ولكن لا تتمنى تحقيقه، فكانت «سمية» من القلائل اللاتي ولدن وترعرعن في هذا الشارع، ففي العادة كانت أي سيدة تحمل على سبيل الخطأ

ولم تستطيع التخلص من الجنين قبل أن يولد لسبب أو لآخر، كانت تقوم ببيعه بعد ولادته مباشرة لعائلة ثرية حرمها الله من نعمة الإنجاب وإن لم تجد تلك العائلة كانت تلقي به أمام أي مسجد أو ملجأ للأيتام، ولكنها لا تدري لماذا أصرت والداتها على الاحتفاظ بها، وكيف استطاعت إقناع «فطومة العايقة» ببقائها معها داخل المنزل، وقد عاشت «سمية» بالطبع طفولة بائسة حزينة غَلب عليها الشتات، فقد كان تشعر بالشتات وهي في بيتها وبجوار والدتها، فقد كانت دائمة التنقل بين المنازل بل أتى عليها بعض الأيام كانت تضطر فيها للمبيت بعيدًا عن امها وبيتها، وكانت أقسى مشاهد طفولتها هي عندما تشاهد أحد الرجال وهو يصطحب والدتها إلى داخل حجرتهما ويتم طردها من الحجرة أو منعها من دخولها إذا كانت خارجها، او عندما ترى آخر يعتدي على أمها بالضرب والإهانة والألفاظ القذرة البذيئة في حين تقف أمها مكتوفة الأيدي صامتة مستسلمة، وعندما كانت تسألها عن سبب صمتها وعدم رد إهانتها، كانت دائمًا تتعلل بأنها تفعل ذلك من أجلها لكي تجد نقودًا تستطيع بها تدبير حياتها ومعيشتها، وعندما وصلت إلى العاشرة من عمرها مرضت والدتها مرضًا أقعدها عن العمل وجعلها لا تقوى حتى على الوقوف على قدميها، فانعدمت حتى القروش القليلة التي كانت تكسبها وأصبحا يعيشان على الفتات والتوسل والتسول من «فطومة» ومن صديقات والدتها، وبدأت هي في العمل كخادمة عند الجميع حتى يحنّ بعضهم عليها ويعطيها بعض الطعام أوالقليل من النقود حتى تشتري بها وصفات العلاح لوالدتها، ولحسن حظها توفت الأم بعد شهرين فقط من مرضها، ماتت لأنها لم تكن تملك ما تستطيع به أن تذهب لطبيب

أو حتى تحضر الخامات اللازمة لصنع الوصفات الشعبية والتي كان حلاقو الصحة يصفونها لها كي تستطيع رفْع رأسها عن الوسادة، ماتت قبل أن تقوم «فطومة» بطردهما من منزلها لعدم حاجتها لها، فكانت تجلس بجوار سرير أمها تبكي على بكاء والدتها وهي تسمع القبضايات والقوادين وهم يتحدثون مع «فطومة» عن ضرورة طردهما وإفساح المكان لسيدة أخرى تستطيع العمل وجلْب النقود.

وبعد موت أمها، أتت «زينب» إلى البيت فاتخذتها رفيقة لها واعتبرتها عقلها الذي يفكر ويخطط لها حياتها رغم أنها تصغرها سنًا ولكنها انبهرت بإجادتها للقراءة والكتابة وهو ما جعلها ترتقي في نظرها لأعلى المراتب، وعندما اضطرت الصغيرات للعمل كخادمات لدى «فطومة» والعاهرات العاملات معها فكان عليهما تنظيف الحجرات وغسيل الملابس وتنظيف قذارتهن بعد ممارسة عملهن، كانت تقوم هي بعملها وأغلب عمل «زينب» عن طيب خاطر، ولكن كان مصير أمها ماثلًا أمام نظرها دائمًا، فأصبح شغلها الشاغل وهمها الوحيد هو جمع كل ما تستطيع من أموال في كل وقت وبأية طريقة، حتى لا تعاني معاناتها ومعاناة والدتها في أيامها الأخيرة، وبدأت العمل في الدعارة بمجرد ملامستها لمرحلة الأنوثة كي يزداد دخلها، وتستطيع تجميع أكبر قدر من النقود التي كانت تعتقد بأن كل قرش تضيفه إلى رصيدها يعتبر أحد الجذور العميقة والتي تثبت به دعائم مستقبلها.

أما «زينب» فسارت في شارع رمسيس ثم انحرفت يمينًا في اتجاه ميدان التوفيقية وهي تفكر في مشكلة السكن التي لم تخطر

لها على بال من قبل، وبخاصة وأنها لم تكن تعتقد أنها تستطيع الخروج من شارع «كلوت بك» وهي على قيد الحياة، وكانت تعتقد أن وجود «سمية» معها سوف يقلل من حدة المشكلة ولكن حتى الآن يبدو أن الأمر يسير عكس ما فكرت فيه، حيث أصبح تعامل «سمية» بفطرتها ولهجتها وحركاتها المبتذلة الرخيصة والتي اعتادت على التعامل بها في عملها هي السبب الرئيسي في نفور الملاك المحترمين منهما، ومع غضبها مما تفعله «سمية» إلا أنها لا ترغب في التخلي عنها في هذه المرحلة من حياتها، فـ«سمية» هي من احتضنها منذ أن وطأت قدمها شارع «كلوت بك» ولولا وجودها لما كانت تستطيع تحمل الحياة هناك، فهي من أطلعها على كل ما يحدث في الشارع وعلمها الطريقة الصحيحة في التعامل مع الجميع وحمل عنها عبئًا كبيرًا في العمل التي كانت لن تستطيع هي تحمله بمفردها وحماها من أذى الكارهين والغيورين، وفي المقابل كانت «زينب» هي منارة «سمية» في الحياة، فكانت هي تمثل المخ بينما تمثل «سمية» العضلات، فمنذ أن ضلت طريقها عن والدها في محطة قطار النزهة بالإسكندرية وهي لم تجد من يحنو عليها أو يحتضنها سوى «سمية»، ومع ذلك لم تستطع «سمية» حتى الآن فهمها أو حتى الإحساس بمدي قرفها ونفورها من حياة البغاء وبيع الفروج التي لطخت قلبها، فهي لم تعش من قبل مع أب غيور ذي دم حر لا يسمح لأحد بالاقتراب أو حتى الحديث بسوء عن ابنته وزوجته، فالحادثة الوحيدة التي لا تزال تتذكرها منذ أيام طفولتها هي عندما تعلق والدها بعربة حنطور تسير مسرعة للتشاجر مع قائدها وذلك لمجرد أنه قد ألقى وهو يسير مسرعًا كلمة بذيئة على والدتها والتي كانت

تسير بجوارهما، ولم يكن والدها ليترك السائق لولا تدخل بعض من شاهدوا الواقعة وقاموا بتهدئة ثائرة والدها وتعنيف السائق على تطاوله.

وعندما وصلت «زينب» إلى بداية شارع «سليمان باشا» أدركت أنها قد وجدت طوق النجاة التي كانت تبحث عنه.

***

انتبهت «ثريا» من غفوتها وعندما فتحت عينيها امتلأت نفسها دهشة وهلع، ولم تكن الدهشة ناتجة عن أنها عارية لأنها ربما اعتادت على ذلك، ولكن دهشتها أتت من الفراش والغرفة التي لم تعتد عيناها على رؤيتها من قبل، ولكن عندما استيقظت حواسها اعتدلت جالسة وتذكرت مع حدث، فابتسمت بدلال وتمطت وتثاءبت بكسل وهي تتذكر ما فعلته مع «أدامز» وما فعله «أدامز» بها، ووضعت يديها بسرعة أسفل الوسادة وأخرجت رزمة مالية وعندما تأكدت أن ما حدث منذ عدة ساعات قليلة كان حقيقيًا وليس من وحي خيالها، أخذت تنظر للنقود بفرحة وهي تفكر في هل من الممكن أن تتغير الحياة من حال إلى حال في بضع لحظات هكذا!؟ وأصبح شغلاها الشاغل الآن هو إرضاء «أدامز» والحفاظ على علاقتها الخاصة به، فلم يكن «أدامز» لديه أي شيء من البرود كما ادعى «عزت»، أو ربما رغبة «ثريا» الشديدة والتي أظهرتها وهي تمارس الجنس معه هي ما ضاعفت من رغبته وجعلته ممتلئًا بالحيوية والحماسة والرغبة، وهبطت «ثريا» من فوق الفراش وقد امتلأت نفسها بالحبور والسعادة وهي تتذكر كلمات «أدامز» الأخيرة لها والتي ألقاها عليها

وهو يرتدي ملابسه مستعدًا للمغادرة والتي كانت بمثابة حل سحري لمشكلتها المستعصية، واتجهت إلى خزنة الملابس فوجدت الكثير من الملابس النسائية الأنيقة التي لم تر مثلها من قبل فأخرجت أجمل قميص للنوم ووضعته على الفراش واتجهت إلى الحمام وأزالت مع زخات الماء القوية أثار حياتها السابقة ورائحة الرجال المتعددة والتي لامست جسدها وتركت بصماتهم فيه، ثم ارتدت الملابس وتعطرت بأطيب العطور الموجودة فوق طاولة الزينة، كانت تتحرك بلهفة وفرحة وهي تستمتع بحياتها الجديدة، وعندما خرجت من الغرفة إلى صالة الاستقبال وشاهدت الصندوق الخشبي الصغير المزين فتحته وتناولت منه واحدة من السجائر البنية الضخمة والتي شاهدت «أدامز» يتناولها بالأمس، فأمسكتها بين أصابعها كما رأت «أدامز» يمسكها وإن كانت لا تعرف حتى كيف تشعلها ولكنها وضعتها في فمها وأخذت تنفخ الهواء الخالي من الدخان وكأنها تدخنها، إلى أن سمعت دقات على الباب الخارجي للعوامة وعندما سألت عن ماهية الموجود خلف الباب وسمعت صوت «عزت»، ذهبت بسرعة وفتحت له الباب، فنظر لها «عزت» باندهاش وقال مازحًا:

- إش، إش، إيه الجمال والروقان ده كله!؟

تحركت «ثريا» بعظمة مصطنعة أمامه واسترخت فوق الأريكة رافعة قدميها فوقها وقالت بغرور:

- أمال لو عرفت اللي حصل !؟ هتقول إيه؟

ظهرت الفرحة الشديدة على وجه «عزت» واقترب منها بلهفة وقال

وهو يجلس على المقعد المجاور للأريكة بجوار قدميها وقال:

- بركاتك يا شيخة «ثريا»!! فرحيني بقى وقوليلي إيه اللي حصل؟

- أنا مش هقول لك أي حاجة، غير لما تقولي الأول «أدامز» كان وعدك بإيه!؟

- يا ستي دي حاجة بسيطة، كل الموضوع إن المورّد بتاع الكامب كان مقصرًا معهم في الفاكهة شوية، وكنت طلبت من «أدامز» أنه يديني حصة من التوريدات بتاعت الكامب بداله.

- وأنت تعرف تجيب الحاجات اللي هم محتاجينها؟

- أمال يا بت، أنا أفوت في الحديد، ده أنا ممكن أجيب لهم حاجات أحسن ميت مرة من اللي المورّد بيجبها لهم.

- طيب ولو خليته يديك اللي أنت عاوزه، هتديني كام!؟

- دي لقمة ناشفة يا «ثريا»، يدوب جايبه همها، وكفاية عليكي اللي أنت هتخديه من «أدامز»،

قامت «ثريا» بسحب قدمها من أمام وجه «عزت» واعتدلت جالسة وقالت بغضب:

- بقى كده يا سي «عزت»!! طب أنا هخلي «أدامز» يلغي اللي اتفقت معاه عليه.

ظهرت الفرحة المشوبة بالقلق على وجه «عزت» فقال بلهفة:

- وأنت اتفقتي معاه على إيه!؟

عادت «ثريا» لاسترخائها ورفع قدمها فوق الأريكة مرة أخرى وقالت بفخر:

- اتفقت معاه إن يدينا توريد الفاكهة والخضار للكامب كله لمدة سنة بحالها.

- يا بنت الجنية! يعني الساعتين ثلاثة اللي سبتكم فيهم لوحدكم قدرتي تعملي فيهم ده كله!

- عشان تعرف بس «ثريا» تقدر تعمل إيه! لكن يكون في معلومك، إذن التوريد هيطلع باسمي أنا، يعني هنبقى أنت اللي بتشتغل معايا، وعشان تعرف إني أجدع منك، أنا يا سيدي هخليك شريكي، يعني أنا أخذ النص وأنت ليك النص.

أصابت الصدمة «عزت» بالارتباك فنهض من جلسته وهو يقول لنفسه: (يعني آخرتها هشتغل عندك أنت يا «ثريا»)، ولكنه حاول التماسك وقال بتردد:

- لكن أنا كده مش هعرف أتعامل مع المزارعين ولا حتى مع الناس في الكامب!

- على العموم، براحتك، لو مش عايز تشتغل معايا، أنا ممكن أشوف أي حد تاني.

عاد «عزت» بسرعة وجلس عند قدمي «ثريا» وقال بجزع:

- لأ، لا مين اللي قال إني مش عايز! الحكاية بس محتاجة شوية تظبيط.

- ظبط اللي على كيفك، بس رد علي بسرعة.

- يا ستي أنا معاكي، يالا قومي غيري هدومك عشان أوصلك «كلوت بك» في طريقي.

- هو أنا مقولتلكش، مش أنا مش هروح «كلوت بك» تاني، «أدامز» قالي إني أفضل قاعدة في العوامة هنا على طول.

قال «عزت» بدهشة وتعجب:

- أنا عايز أعرف بس، أنت عملتي للرجل ده إيه عشان يعمل معاكي ده كله!؟

- ولا عملت له حاجة، «أدامز» مكانش عايز واحدة ينام معاها، «أدامز» كان عايز وحدة تحسسه إنها هي اللي عايزة تنام معاه.

(6)

استيقظت «زينب» عندما أُضيء وجهها بنور الشمس والتي ولدت من رحم الظلام مرسلة أشعة الحرية على قلب «زينب» وروحها، فرغم نومها على فرشة رقيقة على أرضية الغرفة الصلبة، إلا أنها نامت لأول مرة ملء جفونها وامتلأ نومها بالأحلام السعيدة المبهجة، لقد نامت وتركت نافذة الغرفة مشرعة لكي تتنفس الهواء والذي يدخل رئتيها بدون استئذان، فلقد عانت منذ وجودها في شارع «كلوت بك» من انتهاك خصوصيتها فلم يكن هناك من يستئذن للدخول عليها، فيما عدا الهواء والذي كانت تتعمد في الكثير من الأوقات أن تكتم أنفسها ولا تسمح له بالتسلل إلى داخلها، حتى تغلبها أعضاؤها والتي تجاهد للحصول على الهواء فتأذن له بالتسلل لتلبية احتياج جسدها على غير رغبة منها، فكل ما كانت ترغبه وقتها هو صمت أعضاء جسدها، الصمت الأبدي والذي لا حياة بعده.

أفاقت «زينب» قليلًا فاعتدلت جالسة مسندة ظهرها للجدار خلفها وهو تنظر حوله مستمتعة بحياتها الجديدة، فقد كانت بالأمس فقط حائرة قلقة تبحث عبثًا عن مكان يأويها، ولكنها بمجرد أن وصلت إلى شارع «سليمان باشا» أيقنت بأن «عم محفوظ» هو الوحيد في العالم الآن الذي يستطيع مساعدتها، وبالفعل عندما لجأت له وجدت عنده الحل، فقد اصطحبها إلى البيت الذي يسكن فيه وقام بإقناع صاحب البيت أن يعطي لها الشقة الصغيرة المقابلة لشقته.

وعندما دخلت «زينب» إلى شقتها الصغيرة وكونها كانت هي أول

شيء تشعر بأنه خاص بها في الحياة، فلم ترغب في الخروج منها، حتى وهي خالية ولا يوجد بها أي شيء تستطيع حتى الجلوس عليه، ورأت الدهشة في أعين «محفوظ» وهي تخبره بأنها ستبيت هذه الليلة داخل الشقة وحاول إثناءها عن ذلك، وعرض عليها أن تبيت عنده في شقته إذا كانت لا ترغب في العودة لشارع «كلوت بك» وعندما رفضت بشدة ، لم يجد أمامه سوى أن يحضر لها هذه الفرشة الرقيقة التي نامت عليها حتى لا تنام على الأرض، وعندما سمعت الطرْق على باب شقتها انزعجت قليلًا ولكنها هدأت عندما تذكرت أنها طلبت أمس من الفتى الصغير الذي يعمل مع «عم محفوظ» أن يذهب صباحًا إلى شارع «كلوت بك» ويأتي بـ«سمية» معه، وعندما فتحت الباب أخذت «سمية» بين أحضانها بفرحة شديدة وقالت بسعادة وفخر:

- ادخلي يا «سمية»، تعالي شوفي شقتنا اللي هنعيش فيها.

دخلت «سمية» وهي تنظر حولها إلى الشقة الخالية بحسرة وضيق وقالت وهي تحاول مجاملة «زينب»:

- أيوة، هي حلوة، بس إحنا هنعيش فيها إزاي وهي على البلاط كده!؟

- يا ستي ولا يهمك، بكرة نملاها عفش ومنبقاش عارفين نتحرك فيها.

- وعلى ما ييجي بكرة، هنام على البلاط يعني!

ظهر الانزعاج والخجل على وجه «زينب» ولكنها حاولت مداراة

الموقف فقالت:

- تعالي بس ندخل جوه وأنا هوريكي الأوضة اللي هنام فيها، واصطحبتها إلى الغرفة التي نامت فيها بالأمس وقالت:

- تعالي نقعد على الفرشة دي واحكيلي، عملتي إيه امبارح، ولقيتي شغل ولا لسه!؟

جلست «سمية» بتردد وقالت:

- أيوة اشتغلت في تياترو النيل اللي في محمد على، صاحبته أول ما شافتني وعرفت إني كنت بشتغل في «كلوت بك»، ما صدقت وشغلتني على طول.

- تبقى نية الست دي مش كويسة يا «سمية»، وعايزة ترجعك للشغل بتاع «كلوت بك»، ما تشوفي لك شغلانة تانية أحسن.

- شغلانة تانية إيه بس يا ست «زينب»! هو أنا أعرف غير الشغل ده، وبعدين أنت كنتي عايزة واحدة زيي تشتغل في الديوان يعني! ما أنا عارفة إني هلف وارجع لكده برضوا.

ظهر الضيق على وجه «زينب»، فقد كانت كل ما تتمناه أن تبتعد عن هذه الحياة وتنسى ماضيها تمامًا، ولكن بوجود «سمية» في حياتها بل وإقامتها معها في نفس الشقة وتقاسمها الحياة معًا، ستظل مرتبطة بهذه الحياة العفنة، ولكنها أجبرت نفسها على الابتسام وقالت:

- طيب، طمنيني على البنات في الشارع، عاملين إيه دلوقتي؟

- بنات إيه يا بنتي!!؟ هو بقى في بنات في الشارع، ده حتى «ثريا» مرجعتش الشارع امبارح ومعرفش راحت فين المرة دي.

- هتكون راحت فين يعني!! أنت مش قلتي إن جاي لها شغلانة بره الشارع.

- أيوة، بس مش معقول هتشبك فيه من أول يوم كده، سيبك من «ثريا» دلوقتي ، وقول لي أنت ناوية تعملي إيه!؟

- أنا ناوية ...

ومنعتها طرقات الباب من تكملة حديثها وعندما فتحت الباب وجدت «عم محفوظ» والذي استأذن في الدخول وهو يقوم بفتح الجزء الثابت من باب الشقة الخارجي ويدعو القادمين معه للدخول، وعندما رأت «زينب» ما يحمله القادمون اختلطت دهشتها بفرحة حذرة وقالت بخجل:

- إيه ده كله بس يا «عم محفوظ»! مش معقول كل اللي بتعمله معايا.

- يعني أنت يا بنتي كنت عايزاني أسيبك قاعدة في الشقة على البلاط كده، وبعدين دول شوية حاجات بسيطة، ما أنت عارفة إن «ثابت» ابني بيشتغل نجار وهو اللي اشترى لك الحاجات دي من سوق الكانتو، والباقي كانت شوية حاجات قديمة مركونة عندنا في الشقة ومكناش عارفين نوديها فين.

- لكن أنا لازم أدفع ثمن الحاجات دي يا «عم محفوظ»، وإلا مش

هاخدها.

- خديها بس دلوقتي يا «زينب»، ولما تشتغلي وربنا يكرمك ابقى ادفعي ثمنها.

ثم انتبه فجأة لوجود «سمية»، فسأل «زينب» عنها وعندما أخبرته بأنها زميلتها والتي ستقيم معها، تغير وجه «محفوظ» وظهر القلق على ملامحه وأخبرها بأنه قد توسط لها لدى صاحب البيت لأنه يعرفها جيدًا ويعرف أنها لن تخذله، ولكنه لا يعرف «سمية» أو سلوكها وهو لا يريد أن يرتبط اسمه بأي فعل غير أخلاقي قد ترتكبه «سمية» وبخاصة في بيته وشارعه الذي يعيش فيه، ولكن «زينب» طمأنته رغم عدم ثقتها هي نفسها في سلوك «سمية»، ولكنها دعت الله أن لا ترتكب «سمية» أي فعل يوصمهما معًا، فبالتأكيد ما تفعله «سمية» سوف ينسحب عليها أيضًا، ولن تستطيع التبرأ منه.

وخرج «ثابت» من الغرفة التي كانت ترقد فيها «زينب» وقال لوالده:

- كله تمام كده يا حاج، السرير والدولاب ركبناهم في الأوضة اللي قالت عليها أبلة «زينب»، وحاجات المطبخ علقناها في مكانها.

- الله يكرمك يا «ثابت»، بص بقى أنا عايزك تعتبر «زينب» ...

ثم تردد قليلًا وأكمل وهو يشير لـ«سمية» بقلق» وصاحبتها زي أخواتك، وأي حاجة يطلبوها منك تعمل لهم على طول».

***

الستر نعمة من نعم الله على البشر ولا يخشى غدر الدنيا إلا من يغتصب نعم الله، فمن يغتصب النعم ورغم ما يحاول دائمًا إقناع نفسه به بأنه على حق وأن الدنيا هي الظالمة وهي التي لم تترك له غير هذا الطريق ليسير فيه، إلا أنه وفي قرارة نفسه يعلم بأن النعم هي منة مؤقتة من الدنيا التي ما تلبث أن تدير له وجهها وسيعود كما أتى صفر اليدين، فليس الستر في الغنى ولكن الستر في القدرة على الاستغناء، الاستغناء عن الناس والرضا بالمقسوم، هذا هو ما كانت تسمعه «بمبة» دائمًا من «رضا أفندي» والتي كانت تعمل في بيته قبل أن تذهب إلى شارع «كلوت بك»، ولم تفهم معنى هذه الكلمات إلا الآن، فرغم ضآلة دخلها السابق ولكنها كانت تستطيع به شراء ما يسد به رَمَقها وإخماد صرخات الجوع في بطون أطفالها، ولكنها الآن وبعد أن فقدت هذا الدخل الضئيل وهجرها زوجها والذي لم يعد إلى البيت منذ أسبوعين، أنفقت فيهما كل ما تجمع تحت يديها من قروش قليلة وأصبحت الآن على فيض الكريم، جلست شاردة بجوار موقد الكيروسين المشتعل على قِدر به ماء يغلي لإلهاء أولادها حتى يناموا ظنًا منهم أن هناك طعامًا في القِدر ولكنه لم ينضج بعد، وبعد أن خلد أولادها للنوم أطفأت الموقد، وقررت أن تتخذ خطوته الأخيرة والتي أجلتها كثيرًا، ولكنها الآن لا تجد بديلًا عنها، فإما أن تعود بطعام لأطفالها، أو لا تعود لهم مطلقًا.

دخلت «بمبة» إلى شارع «كلوت بك» والذي أصبح خاليًا تقريبًا إلا من بعض نفر قليل من المارة، حتى أضواء المنازل التي كانت تتلألأ كل ليلة لتحول الشارع إلى ساحة للنشاط والحركة أصبحت الآن

مطفأة لتمنح الشارع إحساسًا بالخمول والنعاس، حتى ظنت «بمبة» أنها قد أخطأت ودخلت شارعًا مختلفًا ولكن عندما لمحت بيتها الذي تربت فيه أيقنت بصحة وجهتها، وصعدت وهي تعد بعض كلمات الاستعطاف وتحاول رسم ملامح الوداعة والهدوء على وجهها والتي لا تتناسب مطلقًا مع ملامحها، وعندما شاهدتها المعلمة «ثناء» بهذا الوجه، أشاحت بوجهها عنها وظهر الغضب على ملامحها وقالت بضجر:

- أيوة يا ست «بمبة» عايزه إيه أنت كمان!؟

حاولت «بمبة» خفض صوتها والتحدث بألطف طريقة تستطيعها وقالت:

- يا معلمة، أنا طول عمري خدامتك، وعدّاكي زي أمي، وأنت عارفة إني مش لوحدي وعندي عيال صغيرة، وأنا مش عايزة منك كتير، أنا عايزة قرشين أعرف أجيب بيهم أكل للعيال اللي بقالهم يومين محطوش لقمة في بطنهم.

- وأنا مالي يا روح خالتك، أنت مش اتجوزتي راجل نطع وسبتي البيت ورحتي قعدتيه معاه، خليه يشيلك ويشيل ولادك، ولا أنت فكراني شؤون اجتماعية هصرف عليك أنت وعيالك.

- الراجل طفش يا معلمة، ومش معقول بعد ما خدمتك طول السنين دي ترميني في الشارع كده!!

- ما الحال من بعضه يا بت، ما كلنا اترمينا في الشارع وأنا لولا البيت اللي متاويني ده، كان زماني مش لاقية أكل أنا كمان.

نظرت «بمبة» بحقد إلى المصوغات التي تملأ يديي وصدر «ثناء» وعادت إلى طبيعتها الشرسة واقتربت من «ثناء» المسترخية على الأريكة وقالت بتحفز:

- بقى كل الدهب ده ومش لاقية تاكلي يا مرة يا مفترية، أنا مش هخرج من هنا إلا وأنا واخدة منك أكلي وأكل عيالي.

انزعجت «ثناء» بشدة ودب الذعر في نفسها من اقتراب «بمبة» منها ومن لهجتها الشرسة المتحدية وعندما همت بالنهوض من جلستها للنداء على أحد القبضايات، بادرتها «بمبة» ووضعت يدها على فمها لمنعها من الصراخ، وضغطت على فمها بشدة ودفعتها للخلف، فشعرت «ثناء» بدوار وغثيان مفاجئ جعلها تسقط على الأريكة وهي في شبه إغماءة خفيفة، فاستغلت «بمبة» الفرصة وقامت بنزع أسورتين ذهبيتين من يد «ثناء» بسرعة ولفتهما في ملاءتها وغادرت مسرعة، ولكن بمجرد وصولها إلى الشارع وبعد أن خطت خطوتين بعيدًا عن البيت سمعت صوت «ثناء» والتي وقفت في نافذة البيت وهي تشير إليها وتقول للقبضايات الموجودين في الشارع صارخة:

- أمسكوا البت الحرامية دي، سرقت دهبي وكانت عايزة تموتني.

والتف جميع من بالشارع حول «بمبة» وأمسكوا بها وأخرجوا الأساور الذهبية من ملاءتها، وأصرت «ثناء» على أن يصطحبوها إلى قسم الشرطة لتنال جزاء تجرؤها عليها.

سار الجميع في شبه مظاهرة تقودها المعلمة «ثناء» وخلفها

اثنان من القبضايات يمسكون بذراعي «بمبة» بشدة وهي تمسك بالمسروقات بين يديها وحولهما العديد من سكان الشارع وبعض المارة، وعندما وصلت المظاهرة إلى بوابة القسم الخارجية، لم يسمح بالدخول إلا لـ«ثناء» و«بمبة» والقبضايات ودخلوا وهم يكيلون اللعنات والصفعات لـ«بمبة» مما جعل ضابط القسم ينهض مسرعًا ويجذب «بمبة» من بين أيديهم وهو يقول بحدة:

- لموا نفسكم يا حوش، أنتوا فاكرين نفسكم في زريبة، اللي هيتكلم منكم من غير ما أمره، أنا هحطه في الحجز.

مما جعل القبضايات يتراجعون خطوة للخلف بقلق ولكن «ثناء» قالت بانفعال:

- يا بيه، دي سرقتني وكانت عايزة تقتلني.

نظر الضابط إلى وجه «بمبة» الغليظ ولكن نظرات الفزع والذلة والهوان التي بدت على وجهها جعلته يتعاطف معها فقال لها بهدوء:

- الكلام ده حصل صحيح يا ست!؟

ردت «بمبة» بانكسار:

- والله يا باشا، ما حصل، أنا أه خدت حتتين الصيغة من دراعها، لكن مكنتش عايزة أقتلها ولا حاجة.

قالت «ثناء» بانفعال وهي تحاول الاقتراب من «بمبة» والإمساك بها فيما حال الضابط بينهم:

- يا حرامية يا بنت الكدابين أنت مش كنت عايزة تكتمي نفسي.

قاطعها الضابط بانفعال واضح:

- خلاص يا زبالة منك ليها، أنت هتتخنقوا أدامي ولا إيه، وأمر العساكر بالتحفظ على «بمبة» في حجرة النبطشية، وقال لـ«ثناء»:

- اقعدي مع الشاويش اعملي محضر، وقولي فيه اللي أنت عايزاه.

ودخل الضابط إلى «بمبة» في حجرة النبطشية ووجدها جالسة في ركن الحجرة البعيد بجوار الحائط تبكي بانكسار فاقترب منها وقال:

- أنت ليه رحتي سرقتي الدهب منها!؟

ردت «بمبة» بأسى وغضب قائلة:

- يا باشا، أنا عيالي بقا لهم يومين مكلوش وجوزي طفش مني ولا لي شغلة ولا مشغلة، تقدر تقولي سعاتك ممكن أأكلهم منين!؟

- يعني أنت شايفة إن السرقة هي الحل!؟ أديك أهو هتترمي في السجن وعيالك مش هيلاقوا

يكلوا برضه، وحتى مش هيلاقوا حد يقعد معاهم ولا يربيهم.

ظهرت نظرات الذعر في عينيي «بمبة» عندما تذكرت أولادها فازداد بكاؤها وبدأت في قص حكايتها على الضابط وبعد أن انتهت قال لها:

- طب أنت ليه مرجعتيش تشتغلي في البيوت تاني بعد ما قفلوا شارع «كلوت بك»!؟

- يا باشا أنا كنت بشتغل في البيوت وأنا عيلة، دلوقتي كبرت، وبعدين أنا معرفش حد من الأكابر دلوقتي عشان أشتغل عنده.

أطرق الضابط برأسه مفكرًا، ثم قال لـ«بمبة» بعطف:

- أنت عارفة إن المسروقات هي اللي مخلياني مصدقك!! فبعد ما شفت كمية الدهب اللي «ثناء» لبساها، وشفت إنك خدتي أسورتين بس وسبتي الباقي، اتأكدت إنك أصلًا مكنش قصدك تسرقيها وإلا كنت خدتي الدهب كله، لكن شدة احتياجك للفلوس هو اللي خلاكي تاخدي اللي أنت محتجاه بس، شوفي يا «بمبة» أنا ممكن أحل لك مشكلة الشغل دي، لكن المهم دلوقتي إني أخلصك من موضوع السرقة عشان متتحبسيش، وتعرفي ترجعي لولادك بدل ما يضيعوا هم كمان، وخرج الضابط وأخذ المعلمة «ثناء» إلى مكتبه وأعطاها المسروقات وسألها على حكاية «بمبة»، وعندما أخبرته «ثناء» بنفس التفاصيل التي قصتها عليه «بمبة»، اطمأن أكثر لصدق «بمبة»، فأقنع «ثناء» بأن تأخذ مصوغاتها وترحل بدون اتخاذ الإجراءات الرسمية تجاه «بمبة»، وعاد إلى «بمبة» وبشّرها بأنها يمكن أن تخرج الآن وتعود لأولادها وأعطاها بعض النقود لتشتري بها طعامًا لأولادها وقال:

- أنت هتوعديني يا «بمبة» إنك متحاوليش تعملي اللي أنت عملتيها النهارده ده تاني، وابقي تعالي لي القسم كمان يومين وأنا أكون اتصرفت لك في موضوع الشغل ده، ادخلي على طول واسألي على الملازم «عبد الرزاق سيد جلال».

***

وسط الكثير من الأضواء البراقة الملونة الزاهية ورائحة الكحول العطنة التي يتنفس بها المكان ودخان السجائر التي تتصاعد من فوق مناضد التياترو والذي لم يكن يعمل كتياترو بالمعنى المفهوم فقد كانت تقدم فيه بعض الرقصات والأغاني والمنولوجات بين حين وآخر ولكنه كان يعمل كـ(كرخانة) في المقام الأول، ولذلك فقد كانت تلك الكرخانة تجمع أصنافًا مختلفة من البشر بجنسيات مختلفة نصفهم على الأقل من جنود الاحتلال الإنجليز بزيّ الجندية المميز لهم، ولخبرة «سمية» الكبيرة في تقديم الخدمات الجنسية فقد وجدت مبتغاها في هذا المكان، فكانت تتحرك بملابسها الشبه عارية وسط كل هذا الصخب بسرعة وجدية فقد كانت تعمل بإخلاص شديد ليس للمكان الذي تعمل فيه ولكن إخلاصًا للنقود التي تتحصل عليها عن طريق الأكل على كافة الموائد أو حتى الأكل من بقايا كل الموائد فكانت لا تتورع عن عمل أي شيء في سبيل الحصول على النقود، فإذا سئمت إحداهن من رجل قبلته «سمية» راضية، إذا اشمئزت إحداهن من الممارسات الجنسية الشاذة التي يطلبها أحدهم قبلت «سمية» به بل وفعلت له كل ما يريد وأكثر، حتى إذا غاب أحدهم عن العمل وإن كان يعمل في حمل وتقديم الطعام والشراب تطوعت «سمية» للعمل مكانه في أوقات فراغها، ولذلك فقد جمعت في أسابيع قليلة قدرًا لا بأس به من المال، ولكنها فقدت أمامه الكثير من راحتها وحياتها، فبعد أن كانت تجلس في بيتها ويأتي إليها زبائنها، أصبحت هي من تطوف بين الحواري والبيوت لتمنح

الزبائن جزءًا منها ومن روحها، وظلت تدور في هذه الدائرة القذرة إلى أن أتت إليها في أحد الأيام واحدة من زميلاتها وأخبرتها بأنها تذهب صباح كل يوم إلى استوديو الأهرام وتجلس مع المجاميع وتقوم بالتمثيل في بعض المشاهد المتفرقة لعدد من أفلام السينما وتتحصل في نهاية اليوم على مقابل يساوي تقريبًا ما تتحصل عليه يوميًا من العمل في هذا التياترو.

والتمعت عينا «سمية» بالطبع على هذا الدخل المفاجئ وتحفزت نفسيتها الجشعة وذهبت مع زميلتها وبدأت العمل كـ(كومبارس) صامت في بعض المشاهد ثم تطور عملها لقول بعض الجمل والحوارات وعندما وجدت أنها كلما زاد دورها زاد دخلها قامت باستغلال مهنتها الأساسية أفضل استغلال وقدمت الكثير من الخدمات الجنسية بنفسها أو حتى تقديم بعض زميلاتها لمن يطلب حتى استطاعت في خلال عدة أسابيع فقط وعن طريق هذ الخدمات في الحصول على أدوار ثانوية في بعض الأفلام وأخذ اسمها يتردد بين مخرجي ومنتجي الأفلام بالاستوديو وبدأ بعض الناس العاديون من رواد السينما في التعرف عليها والحديث معها أثناء سيرها في الشارع، وزاد دخلها كثيرًا، ومع ذلك ظلت تذهب إلى التياترو مساء كل يوم.

(7)

عادت «زينب» من عملها الذي وجدته بعد طول عناء والذي كان يستنزف كامل طاقتها يوميًا ولا تتحصل منه إلا على بعض القروش القليلة والتي تمكنها بالكاد من دفع نصيبها في تكلفة معيشتها مع «سمية» في بيتهم الصغير، ووقفت كالعادة أمام باب شقتها وهي تحاول فتح قفل الباب الصدأ والذي طالما ألح عليها «محفوظ» في تغييره بدل وقوفها كل يوم لعدة دقائق محاولة فتحه، ولم تستطع فتح القفل إلى أن فتح «محفوظ» باب شقته المقابل وأخذ منها المفتاح وفتح لها القفل وقال بلهجة جادة وغير معتادة :

- أنا كنت منتظرك يا «زينب» من بدري، وكنت عايزك في كلمتين.

أصاب القلق قلب «زينب» من اللهجة الجافة الخشنة التي يحدثها بها «محفوظ» ومن نظرات الغضب التي تظهر على وجهه فقالت بوداعة وهدوء:

- طيب تعال ادخل الأول يا «عم محفوظ»، وبعدين قول اللي أنت عايزه.

جلس «محفوظ» أمام «زينب» على أحد الكراسي الموضوعة أمام المائدة وهو ينظر إليها بتوتر وقال:

- مبسوطة في شغلك في المكتبة يا «زينب»؟

نظرت له «زينب» بشك وقالت بترقب:

- الحمد الله يا «عم محفوظ»، أنا عارفك مبتعرفش تخبي حاجة،

ووشك باين إن في حاجة مهمة عايز تقولها لي.

- بصي يا «زينب»، أنا بصراحة كنت عايز أكلمك في الموضوع ده من زمان، لكن لما أهل الشارع ابتدوا هم كمان يتكلموا، مقدرتش أأجل الموضوع أكثر من كده.

- ادخل في الموضوع يا «عم محفوظ»، أكيد أنت عايز تتكلم على اللي بتعمله «سمية».

انشرح وجه «محفوظ» وكأنه وجد ضالته فيما قالته «زينب» وقال بسرعة:

- أيوة يا بنتي بالظبط، إحنا ساكنين وسط أهالي وعائلات محترمة، هما غلابة لكن محترمين ومش بتوع الكلام ده، يعني مش معقول صحبتك كل يوم ترجع وش الصبح وهي لابسة اللبس العريان ده، ده غير إن في ناس شفوها في عربيات مع رجالة وحاجات تانية كتير، أنا مش عايز أقولها لك.

كانت «زينب» تنظر إلى شفتي «محفوظ» وهو يتكلم وكأن هذا الكلمات تخرج من داخلها ورغم أنها كانت على يقين بأن هذا هو ما سيحدث إن آجلًا أو عاجلًا، إلا أنها كانت تخشاه، تخشى أن تخسر شريكتها الوحيدة في الحياة، رغم اختلافها عن «سمية» في كل شيء تقريبًا إلا أن «سمية» كانت تمثل لها الشيء الوحيد الذي خرجت به من الدنيا، فهي كل أهلها، صديقتها الوحيدة التي تعرف عنها كل شيء، الوحيدة التي يمكنها أن تظهر أمامها عارية تمامًا، الوحيدة التي يمكنها أن تطلب منها أي شيء في أي وقت دون خجل

أو مواربة، ولن تستطيع أن تفقدها وبخاصة في مثل هذا الوقت الذي تشعر فيه بالضياع ولا تستطيع أن تجد أسفلها أرضًا صلبة تستطيع أن تضع قدمها عليها، ولذلك ظهر الإحراج الممزوج بالقلق على وجهها وكلما تدفق الكلام من فم «محفوظ» كلما زادت مخاوفها وقلقها وردت باستكانة وتوتر بعد أن ترقرقت الدموع في مقلتيها:

- والله أنا آسفة يا «عم محفوظ»، أنا مش قادرة أعمل معاها حاجة، وأنت عارف إني مش هقدر أعيش لوحدي، لكن أوعدك، إني هحاول أغيرها، أبعدها عن الطريق اللي هي ماشية فيه، بس سيب لي شوية وقت، مش كتير والله، لكن أوعدك إن مفيش حد هيشتكي منها بعد كده.

- يا بنتي أنت بتعيطي ليه بس دلوقتي، أنا عارف إن أنت حاجة وهي حاجة تانية خالص، وعشان متزعليش أنا هستحمل كلام الناس شوية كمان لحد أما تلاقي لك حل معاها.

- أنا عارفة يا «عم محفوظ» إن قلبك كبير وعارف ظروفي كويس، وهو أنا لي غيرك في الدنيا.

- في حاجة تانية كمان عايز أكلمك فيها.

تزايد القلق في قلب «زينب» وقالت بخوف:

- خير إن شاء الله.

ابتسم «محفوظ» بحنان وقال:

- أنت نسيتي موضوع «عز» ابن «سيد جلال» ولا إيه!؟

احمر وجه «زينب» ورفرف قلبها فرحة بمجرد سماع اسم «عز» وقالت بلهفة:

- أنساه إزاي بس!؟ أنا عايشة على أمل إني أشوفه تاني في يوم من الأيام، أنا خايفة يكون هو اللي نسيني.

- طيب بصي بقى يا بنتي، أنت عارفة إني بشتغل مع ناس كتير في الشارع منهم المثقفين والكتاب والأرزقية والعمال، وعشان كده منطقة وسط البلد وشبرا وباب الشعرية وباب اللوق كل دول أصحابي وحبايبي، و«سيد جلال» عارف كده كويس، وفي الانتخابات دايمًا بيجيلي عشان أشتغل معاه وببقى واحد من رجالته اللي بيعتمد عليهم عشان ينجح، وطبعًا الود بينا بيبقى موصول على طول، وهو اتصل بي النهارده عشان عايز شوية كتب، وبصراحة الكتب دي موجودة عندي، لكن أنا قولت له إنها متوفرة في المكتبة اللي أنت بتشتغلي فيها، وعديت على صاحب المكتبة وقلت له إنه يبعتك أنت بالكتب دي لـ«سيد جلال».

اتسعت ابتسامة «زينب» فرحًا وقالت:

- أنت تعرف يا «عم محفوظ» أنا كنت بتعمد أعدي من أدام مكتب «سيد جلال» وببص للبيت كده بكل حب وكان أول حاجة بتيجي في دماغي بيت الشعر بتاع قيس:

أَمُرُّ عَلى الدِيارِ دِيارِ لَيلى

أُقَبِّلَ ذا الجدارَ وَذا الجدارا

وَما حُبُّ الدِيارِ شَغَفنَ قَلبي

وَلَكِن حُبُّ مَن سَكَنَ الدِيارا

وانتهت النشوة وعاد الاضطراب والتوتر مرة أخرى لنفس «زينب» فأكملت:

- لكن أنا هروح له أقول له إيه!؟ ما أنا يمكن ملاقيش «عز» هناك!؟

- ما أنت مش هتلاقي «عز» هناك، أنت هتروحي تديله الكتب وتفكريه بنفسك لو هو مش فاكرك، وتقوليله على اسم وعنوان المكتبة وياريت لو عرفتي تقوليله كمان إنك ساكنة في البيت هنا معانا، وهو ممكن جدًا يقول لـ«عز» على إنه قابلك تاني ولو أنت لسه جوه قلب «عز» ومنسكيش هيستفسر من أبوه على مكانك، وهييجي هو عشان يشوفك.

عادت «سمية» في هذه الليلة مبكرًا على غير العادة والسعادة تقفز من عينيها وكأنها سقطت على كنز، وكانت المفاجأة الأكبر هو المجلد الكبير الضخم التي كانت تحمله في يدها، ويبدو من الخارج وكأنه كتاب مطبوع طباعة راقية، مما جعل «زينب» تنظر لها بتعجب وتساؤل وتقول باندهاش:

- يعني راجعة بدري وقلنا ممكن! لكن إيه اللي أنت شيلاه في إيدك ده يا بت!؟

تلاشى بريق السعادة من عين «سمية» تدريجيًا وجلست بملل على المقعد بجوار «زينب» وقالت:

- ما هو ده الحاجة الوحيدة اللي أنا قلقانة منها.

ثم وضعت المجلد في يد «زينب» وهي تكمل:

- أمسكي يا ستي كله دي كتابة مسودين بها الورق، وقال إيه عايزيني أقرأها! ومش أقرأها وبس لأ، دول عايزني كمان أحفظ دوري في الفيلم.

ابتسمت «زينب» بفرحة وقالت بحماس:

- مبروك، يا «سمية»، يعني أخدتي المرة دي دور كبير، وكمان أخدتي السيناريو عشان تقريه وتحفظي دورك.

- أيوووووه، هو اسمه السيناريو هي دي الكلمة اللي المخرج قال لي عليها وهو بيديني الورق ده، وأداني دور واحدة اسمها «سميحة»، لكن أنت عارفة إني مبعرفش لا أقرأ ولا أكتب، ومش عارفة هاعمل إيه، والتصوير بكرة.

- يا ستي ولا يهمك، ما أنا معاكي، أنا هقرأ السيناريو، على ما أنت تدخلي تعملي لنا لقمة، وبعدين نقعد مع بعض أحكي لك القصة وأقرأ لك دورك، ونرجعه مع بعض، وعندما انتهت «سمية» من إعداد الطعام، عادت فوجدت «زينب» تبكي وهي تقرأ، فجلست بجوارها بهدوء ووضعت يدها على كتفها برفق وقالت بدهشة:

- في إيه يا بت!! مالك، بتعيطي ليه!؟

مسحت «زينب» دموعها بكفها وقالت:

- مفيش حاجة يا حبيبتي، في مشهدين صعبين للبطلة فمقدرتش

أمسك دموعي، لكن أنت دورك، جميل وفيه مشاهد كتير، هو شرير شوية، لكن ممكن يخليكي نجمة، أوعي يضحكوا عليكي في الفلوس.

- يضحكوا على مين يا بنتي! أنت عارفة إني في الفلوس مبعرفش أمي، لكن المشكلة إني مش عارفة إيه المشاهد اللي هنصورها الأول، أنت لازم تاخذي أجازة بكرة وتيجي معايا الاستوديو.

- أنا عندي مشوار مهم أوي الصبح، هخلص وأعدي عليك في الاستوديو.

خرجت «زينب» من عند «سيد جلال» وهي تطير من الفرحة فلأول مرة منذ شهور تشعر بأنها قريبة من «عز» إلى هذه الدرجة، فكانت تنظر إلى المكتب وإلى الدَرج حتى إلى «سيد جلال» وهي تتخيل صورة «عز» وكلماته التي أذابت فؤادها وتشعر بكل همزاته وحركاته، وكأن ما حدث كان بالأمس، وما زاد من فرحتها هو أن «سيد جلال» قد تذكرها على الفور وعاملها معاملة رقيقة حانية ونفذت هي كل ما دلها عليه «عم محفوظ» فعرف منها «سيد جلال» أين تعمل وأين تسكن، وعندما خرجت من عند «سيد جلال» توجهت «زينب» مباشرة إلى استوديو الأهرام ووجدت «سمية» تقف تنتظرها بجوار باب الدخول وهي في حالة ترقب وقلق وحيرة بالغة وجذبتها من يدها بمجرد اقترابها منها وقالت بلهفة:

- اتأخرتي ليه كده يا «زينب»!؟ المخرج قال لي نصف ساعة وتكوني جاهزة، وأنا مش عارفة أعمل إيه!؟

- متقلقيش كده، ولا يهمك، المهم عرفتي إيه المشهد اللي هتصوريه الأول!؟

- أيوة، عرفت، تعالي نقعد هناك ورا الكاميرا، واقري لي المشهد.

دخلت «زينب» إلى اللوكيشن وهي في حالة انبهار ودهشة وجذبتها «سمية» وجلستا على مقعدين متجاورين خلف المخرج، أخذت «زينب» تقرأ المشهد لـ«سمية» وتشرح لها معناه وإحساسه كونها قد قرأت السيناريو كاملًا من قبل، وأخذت تطلب منها ترديد كلمات المشهد بطريقة معينة وانفعالات مناسبة، وعندما انتهت «سمية» من تصوير المشهد، اقترب منها المخرج وقال لها بسعادة:

- برافو عليك، يا «سمية»، أنا أول مرة أشوفك بتمثلي بالجمال ده، من الواضح إن صاحبتك اللي جاية معاكي دي ليها تأثير كبير أوي عليك.

جرت «سمية» وهي في حالة انشراح وسعادة بالغة إلى حيث تجلس «زينب» وقالت لها بحماس كبير:

- بصي بقى يا «زينب»، أنت لازم تيجي معايا كل يوم في التصوير.

- طيب وشغلي يا «سمية»، هعمل فيه إيه!؟

- يا ستي ولا يهمك، أنا هديكي الفلوس اللي أنت كنت بتخديها من الشغل، لكن لازم تفضلي معايا على طول.

وانتهزت «زينب» الفرصة فقالت لـ«سمية»:

- أنت إن شاء الله يا «سمية» بعد الفيلم ده هتبقي نجمة في

السينما وهيجيلك أدوار تانية كتير هتجبلك فلوس أكتر بكتير من شغلك في التياترو، يبقى توعديني إنك تسيبي شغلك في التياترو بعد الفيلم ده، وأنا أوعدك إني أفضل معاكي على طول ومش هسيبك، لكن سيبي لي أسبوع واحد هروح فيه المكتبة، لأني مستنية حاجة مهمة جدًا ممكن تغير حياتي خالص.

***

عاد «عز» من عمله مرهقًا ومكدودًا من ضغوط العمل الكثيرة ولفقده بصيص الأمل الذي كان يراه في بحثه عن «زينب» حتى كاد أن يفقد الأمل في العثور عليها، ودخل المنزل فوجد والده ووالدته وأخاه «عبد الرزاق» يجلسون إلى مائدة الطعام وبادره والده قائلًا:

- تعال يا «عز»، اقعد جنب أخوك، أنت اتأخرت ليه كده!؟ أنا اتصلت بيك من ساعتين قبل ما أنزل من المكتب وقالوا لي إنك نزلت، وتوقعت إني أجي البيت ألاقيك موجود.

جلس «عز» بجوار «عبد الرزاق» بتراخٍ وكسل وقال:

- معلش يا حاج، كان عندي مشوار صغير.

ووكزه «عبد الرزاق» بمرفقه برفق واقترب منه وقال بصوت خفيض مازحًا:

- هو أنت لسه بتدور عليها!!؟ يا طولت بالك يا أخي!

نظرت إليهم والدتهم بتساؤل وقالت لـ«عبد الرزاق»:

- سيب يا ابني أخوك يأكله لقمة، ده من صبحية ربنا شقيان في

الشغل.

قال «عبد الرزاق» متهكمًا:

- ماشي يا أم «عز»، أهو حبيب قلبك جالك أهو، بس أنا لي عندك طلب ومش عايزك تكسفيني.

قالت الأم وهي تمضغ الطعام الموجود في فمها:

- يا حبيبي كلكم حبايب قلبي، وبعدين أنا من امتى أخرت لك أي طلب!؟

- بصي بقى يا حاجة، أنا شايف إنك محتاجة واحدة تانية تشتغل معاكي في البيت مع «أم إبراهيم»، لأنها بصراحة كبرت ومبقتش ملاحقة على شغل البيت.

قالت والدته باستنكار:

- عيب عليك يا «عبده»، دي «أم أبراهيم» دي هي اللي مربياكم.

- وأنا قلت حاجة، والله أنا بعتبرها أمي التانية، لكن أنا عايز نجيب حد معاها يريحك ويريحها هي كمان.

قال «عز» بنفاذ صبر:

- يا بني من غير لف ولا دوران ، قول إنت عايز إيه بالضبط.

ترك «عبد الرزاق» الشوكة التي كان يلتقط بها قطعة اللحم وقال:

- بصراحة كده في ست غلبانة بتربي أيتام، وهي بتجيلي القسم كل فترة وبديها اللي فيه النصيب، وعرفت منها إنها كانت بتشتغل

في البيوت قبل كده، وقلت بدل ما تذل نفسها لي أو لغيري عشان تأكل ولدها، أجيبها تشتغل عندنا في البيت، ومنها تريحك ونكسب فيها ثواب.

قالت الأم:

- وأنت تعرفها يعني يا «عبده» وواثق فيها؟

وقبل أن يرد «عبد الرزاق» قال «سيد جلال»:

- ولا يهمك يا ابني، طالما بتربي أيتام، حتى لو أمك مش عايزاها، ابعتها لي المكتب وأنا أشغلها في أي مكان.

قالت الأم:

- وأنا مش عايزاها ليه!؟ هاتها يا ابني، هو فعلًا شغل البيت بقى كتير على «أم أبراهيم»، وأهو أشارك معاكوا في الثواب.

فقال «سيد جلال» وهو يمسح يده من بقايا الطعام:

- ربنا يديك على قد نيتك يا حاجة.

ثم خاطب «عز» قائلًا:

- كملت شحنة الجلد اللي رايح أوروبا ولا لسه!؟

- كله تمام يا حج، الشحنة مسافرة بكرة، إن شاء الله.

- وأنا عندي ليك هدية، جبت ليك الكتب اللي كنت بتدور عليها.

ظهرت الفرحة على وجه «عز» وقال:

- ربنا ما يحرمنا منك يا حج، ولقيتهم فين دول، أنا دورت عليهم في كل حتة.

- لقيتهم يا سيدي عند مكتبة تبع عمك «محفوظ» بتاع «سليمان باشا»، وتعرف مين اللي جبهم لي كمان؟

فاكر البنت اللي لقت لي محفظة «جلال باشا فهيم» وزير التضامن، هي اللي جبتهم لي.

ظهر هول المفاجأة على «عبد الرزاق» والذي بصق بعضًا من المياه التي كان يتناولها، أما «عز» فقد تصاعدت الدماء إلى رأسه فرحًا مما جعله يقفز واقفًا وقال بذهول:

- «زينب»! «زينب» هي اللي جابت لحضرتك الكتب!؟

قالت والدته بقلق:

- بسم الله الرحمن الرحيم، ما لكم يا ولاد في إيه!؟

ظهرت الدهشة الممزوجة بالحيرة على وجه «سيد جلال» من رد فعل ابنيه الاثنين ولكنه رد بهدوء قائلًا:

- أيوة يا سيدي، «زينب»، كويس إن أنت لسه فاكرها.

وتعثرت الكلمات على شفتي «عز» ولكنه قال بتلعثم:

- وعرفت يا حج هي ساكنة فين ولا المكتبة دي اسمها إيه!؟

ازدادت دهشة «سيد جلال» من رد فعل «عز» وعدم اهتمامه بالكتب التي ظل يبحث عنها طويلًا فقال:

- أنت قصدك على «زينب» يعني!؟ أيوة هي بتشتغل في مكتبة الوطن في شارع فؤاد، وساكنة في بيت عمك «محفوظ».

هبط عنوان «زينب» بردًا وسلامًا على قلب «عز» فجلس بنشوة واسترخاء على مقعده بجوار «عبد الرزاق» فاقترب منه الأخير وقال بنفس الصوت المازح الخفيض:

- يا ابن المحظوظة يا «عز»!

عندما كانت «زينب» تبحث بداخلها عن أسمى أمانيها كانت تجد أنها الخروج من شارع «كلوت بك»، أو الخروج من حياة شارع «كلوت بك» بكل مظاهرها القذرة، وعندما وضعت قدمها خارج تلك الحياة وجدت أمنية أخرى وهو العيش كإنسانة وليس دمية يتحكم فيها الجميع، أن تعيش حرة بدون ذلة وامتهان دون أن تباع يوميًا وعلنًا في سوق الرقيق، وعندما استقرت في حياتها الجديدة أصبحت أمنيتها هو إرضاء قلبها والحصول على حبها الضائع، وهكذا هي الدنيا لا يوجد ما يسمى بأمنية حياتي ولكن يمكن أن نطلق عليها أمنية مرحلة من مراحل حياتي، فالحياة هي البحث الدائم عن أماني مطلوب تحقيقها وأهداف مطلوب الوصول إليها، وبدون تلك الأهداف أو الأمنيات لن تكون هناك حياة، فعندما تتحقق لك أحد الأمنيات لا تترك السعادة تأخذك وتتوهم بأنك حصلت من الحياة على كل ما تريد بل ترقب وانتظر وخطط جيدًا لهدفك وأمنيتك القادمة لتكون مستعدًا لها عندما تتمناها، وكانت أمنية «زينب» الصغيرة الآن هي أن تقنع «سمية» بترك التياترو والاكتفاء بالتمثيل في السينما، ومن أجل ذلك قررت مساعدتها وسوف تضطر لترك

العمل في المكتبة للذهاب معها بانتظام إلى الاستوديو، وكانت شاردة تعد الكلمات المناسبة التي سوف ترضي بها صاحب المكتبة والذي أصبح يعتمد عليها في كل شيء تقريبًا، وذلك كي تستطيع ترك العمل في أقرب فرصة.

ذهبت «زينب» مبكرا إلى المكتبة لإنهاء بعض أعمالها الصباحية قبل قدوم صاحب المكتبة وبينما هي تقف أمام باب المكتبة وتضع المفتاح في المزلاج إذا بها تسمع صوتًا يأتي من خلفها ويقول بهدوء:

- الهانم محتاجة مساعدة في حاجة!؟

اعتادت «زينب» على مثل هذه التفاهات منذ عملها بالشارع وإن كان الصوت مألوفًا لها بعض الشيء ولكنها ردت بتأفف واضح ودون أن تلتفت خلفها:

- لأ يا سيدي متشكرة، الهانم مش محتاجة حاجة من حد.

- ولو قلت لك إني بقالي شهور بدور عليكي وكل اللي محتاجه إني أشوف عنيكي واتأكد إنك فعلًا وقفة قدامي دلوقتي.

عرفت «زينب» الآن لماذا يبدو الصوت مألوفًا بالنسبة لها، وتمنت أن يكون ما تعتقده حقيقيًا، فقد كانت تتمنى أن يحدث ذلك ولكنه حدث أسرع كثيرًا مما توقعت، فالتفتت ببطء وحذر، وعندما رأت «عز» أمامها ارتبكت وسقط مفتاح المكتبة من يدها واختنقت الكلمات في حلقها وترقرقت الدموع في عينيها وكان أكثر ما تتمناه الآن هو أن تلقي بنفسها في أحضانه ولكنها تماسكت وقالت بعاطفة جارفة:

- أنت تعرف إني معشتش ولا هعيش لحظة أجمل من اللحظة اللي شفتك فيها دلوقتي.

انشرح قلب «عز» وأحس بسعادة غامرة بعد أن أيقن بمكانته في قلبها فقال وهو ينظر في عينيها بحب وحنان:

- لأ، لازم تعرفي إننا طول ما إحنا مع بعض هتعيشي لحظات أجمل من كده بكتير،لأني مش ممكن أفرط فيكي ولا أسيبك تبعدي عني مرة تانية.

التقط «عز» المفتاح من على الأرض وقام بفتح باب المكتبة أمام «زينب» وابتعد حتى يسمح لها بالدخول أولًا، وبينما «زينب» تعبر من أمامه كانت تنظر له مسحورة مبهورة ذاهلة وكأنها تدخل إلى عالمه الجديد، عالم «عز سيد جلال».

وعندما دخلت «زينب» إلى داخل المكتبة أعادتها فوضى الكتب المنتشرة في كل مكان إلى أرض الواقع فأخذت تعيدها إلى أرففها وتزيل عنها بعض الأتربة، وأخبرت «عز» بأن هذا اليوم هو آخر يوم عمل لها بالمكتبة وأنها سوف تنتقل من الغد إلى عمل جديد، ووافقها «عز» بإيماءة من رأسه وقال بيقين:

- ما أنا عارف إن ده آخر يوم ليكي في المكتبة، عشان أنت من بكره هتيجي تشتغلي معايا في الشركة.

نظرت له «زينب» بفرحة ودهشة ولكنها أعادت التفكير في الوعد الذي قطعته مع «سمية» ورغبتها في أن تبعدها عن التياترو وتهدأت

ثورة «عم محفوظ» حتى يستقر لها الوضع في مسكنها فقالت بأسى:

- لكن أنا عندي حاجات مهمة لازم أعملها في الأسبوعين تلاتة الجايين.

رد «عز» بحسم:

- مفيش نقاش في الموضوع ده، أنا مش هسمح لك إنك تضيعي مني تاني، أنت تيجي بكرة تعملي إجراءات تعيينك في الشركة، وبعد كده ممكن تعملي أي حاجة تانية.

(8)

الابتزاز النفسي أسوأ سلوك بشري يتم ممارسته ضد الإنسان وبخاصة إذا كانت نواياه سليمة وأهدافه نبيلة، ويتم نقده بل والتطاول عليه والخوض في سمعته بالسوء وذلك فقط لعرقلته عن المضي في مسيرته الإصلاحية لمجرد أن لبعضهم أهدافًا ومصالح أو حتى آراء تتعارض مع ما ينادي به من إصلاح، فالابتزاز في حد ذاته عمل عنيف ومرفوض حتى لو كان يهدف إلى الإصلاح.

شعر «سيد جلال» بغصة في حلقه وإحساس عارم بالاستياء والغضب مما تعرض له من بعض نواب المجلس اليوم، فقد كان يتكلم بلسان جميع المصريين وبكتلة الغضب المستعرة في صدورهم من العصابات الصهيونية التي تهاجم الأراضي الفلسطينية لاغتصابها، وأخذ يتوعدهم بالويل والثبور وعظائم الأمور، ويناشد الملك في ضرورة التدخل وتجهيز الجيش المصري وكذلك الجيوش العربية المحيطة لإنقاذ الأراضي العربية من الاحتلال الصهيوني، إلا أن بعض النواب أصحاب الرأي المخالف أو ربما المصالح المتعارضة مع تدخل الجيش، بدلا من إبداء آرائهم بصراحة بدأوا في إلقاء التهم جزافًا عليه، واتهموه علنا بأنه يريد إيقاد نار الحرب وذلك لأنه هو من يقوم وعبر شركاته المتعددة بتوريد الطعام والملابس وحتى الأحذية لقوات الجيش المصري وبعض الجيوش العربية ولذلك فهو المستفيد الأكبر من تجنيد العدد الأكبر من الشباب وإلقائهم في نيران الحرب، وبطبيعة «سيد جلال» الجريئة الهجومية، لم يهتز أو يتراجع عن رأيه نتيجة الابتزاز والهجوم الذي تعرض له بل على العكس فقد بادل

المهاجم هجوما بهجوم وسخر منه عندما أفشى سره أمام جميع النواب وقال له كونك تعمل سرًا مع عدد من الشركات التي كانت تطمع في الحصول على توريد مستلزمات الجيش ودخلت أمامي في جميع المناقصات وربحتها منكم لجودة منتجاتي وانخفاض أسعارها مقارنة مع ما قدمته تلك الشركات الفاشلة التي تعمل معها، فذلك لا يستدعي هجومك علي الآن لدفاعي عن الأرض العربية.

وعلى الرغم من وضعه مهاجمه في ركن المدافع حتى إنه لم يستطع الاسترسال معه في تبادل الاتهامات، إلا أنه كان حزينًا لتحول خلافه في الرأي داخل مجلس النواب إلى خلاف شخصي ومادي خرج بهم وشتتهم عن الموضوع الأصلي والأهم للنقاش، وكذلك شعوره بأن بعض النواب يهتمون بمصلحتهم الشخصية وأموالهم وأعمالهم أكثر من اهتمامهم بالأمة العربية وبمستقبلها ومصيرها.

عاد «سيد جلال» إلى منزله والحزن وخيبة الأمل يسيطران على نفسه، ولكنه عندما شاهد ولديه «عز» و«عبد الرزاق» يجلسان يتحدثان بمرح، حاول الابتسام وذهب للجلوس وسطهم على الأريكة الكبيرة والتفت إلى «عبد الرزاق» وقال:

- أنا عايزك يا «عبد الرزاق» تخف شوية من معارضتك لرؤوسائك وبلاش تنتقد آراءهم السياسية أدام الناس عشان متحطهمش وتحط نفسك في مواقف سخيفة.

ابتسم «عز» وقال مازحًا:

- من شابه أباه ما ظلم، أنت عايزه يطلع لمين يعني!!؟

نظر له الوالد باستنكار وقال:

- يا ابني أنتوا متعرفوش أنا تعبت أد إيه!؟ ولسه بتعب أد إيه!؟ لحد دلوقتي عشان طبيعتي دي، ومش عايزكم تتعبوا في حياتكم زي ما أنت تعبت، وبعدين يا سي «عز» أنا عارف إن بالك مشغول اليومين دول بعيد عننا وحتى عن الشغل، بالناس اللي موجودين معاك في الشركة.

اعترى الخجل وجه «عز» ونظر إلى «عبد الرزاق» مستغيثًا فبادر «عبد الرزاق» قائلًا:

- أنت عارف «عز» يا حاج ، طول عمره محترم ونيته خير.

قال الوالد:

- طيب يا ابني وأنا عندي مانع! أوعي تكون يا «عز» فاكر إني ممكن أعارض في جوازك من «زينب» عشان أهلها على قد حالهم، لا يا ابني أبدا، أنا عمري ما ببص للحاجات دي، وبعدين كل الناس اللي شغالين معاكم في الشركة بيقولوا عليها محترمة وعندها ثقافة ووعي،ومفيش عليها أي ملاحظات.

ظهرت الحيرة على وجه «عز»، فهو حتى الآن لا يعلم لماذا ترفض «زينب» أن يتقدم لخطبتها، ولكنه قال لوالده:

- كل شيء بأوانه يا حاج.

وبعدما نهض «سيد جلال» وترك والديه لرغبته في الراحة بعد يوم

العمل الشاق.

التفت «عبد الرزاق» لـ«عز» وقال:

- أنت عامل إيه مع «زينب»؟

- بحبها وبحبها جدًا كمان وكل يوم بنقرب من بعض أكثر، وأعتقد أن هي كمان عندها نفس الشعور،

ظهرت الدهشة على وجه «عبد الرزاق» وقال:

- طيب، يبقى فين المشكلة، معملتوش ليه أي خطوة رسمية في علاقتكم!؟

قال «عز» بِحيْرة:

- مش عارف، «زينب» دايمًا حاسة بالقلق، معرفش مني ولا من إيه!؟ وبحس دايمًا إن في حاجة هي مش عايزاني أعرفها، هي بقى لها تلت شهور بتشتغل في الشركة وبشوفها كل يوم وبنتكلم مع بعض لكن معرفش غير شوية تفاصيل بسيطة عن حياتها لما كانت صغيرة وحتى معرفش ليه هي عايشة مع صحبتها في بيت لوحدهم، وفين أمها وأبوها، ماتوا ولا مصيرهم إيه!؟ وكل أما أكلمها عنهم أحس بأنها خايفة ومش عايزة تتكلم في الموضوع ده، فبسكت وأسيبها براحتها.

- أيوة، لكن دي حاجة تقلق فعلًا، شوف يا «عز» أنت لازم تحسم الأمر ده معاها.

ثم أقبلت «بمبة» وهي تحمل بعض أكواب الشراب ووضعتها

أمامهم بسرعة وانصرفت دون أن تتكلم أو حتى تنظر في وجوههم، فابتسم «عز» وقال لـ «عبد الرزاق» بسخرية:

- أنت جيبها منين دي يا ابني، هي صحيح نشيطة وشالت البيت ومريحة والدتك على الآخر، بس مبتعرفش تتعامل مع البني أدمين خالص.

خفض «عبد الرزاق» صوته وقال:

- بص أنا هقولك حكايتها بصراحة، وقص عليه حكاية «بمبة».

وكان «عز» ينظر له بدهشة شديدة ثم قال له باستنكار بعد أن استمع منه إلى قصتها:

- طيب هي سرقت الست اللي كانت شغالة عندها وهنقول معلش، مكانتش لاقية تأكل ولادها، لكن تدخل البيت واحدة طول عمرها بتشتغل في شارع «كلوت بك»! بصراحة أنا كنت فاكرك أعقل من كده بكتير.

(9)

عاشت «ثريا» بضعة أشهر في رغد ونعيم لم تعهده أو حتى تجربه من قبل، فلم يكن ينقصها المال أو السلطة لفعل أي شيء أو شراء أي شيء، حتى الحرية التي تحصل عليها الآن أكثر كثيرًا مما كانت عليه حريتها أثناء تواجدها في شارع «كلوت بك»، فهي تذهب حيث تشاء ووقتما تشاء باستثناء الأيام القليلة والتي يقضيها «أدامز» معها.

وبعدما استقرت الحياة لـ«ثريا» وتعودت على النعمة، وكغريزة بشرية طبيعية بدأ القلق والطمع يسيطران عليها، القلق من اللحظة التي تعرف جيدًا أنها ستأتي أجلا أو عاجلا وذلك عندما يقرر «أدامز» الاستغناء عن خدماتها أو حتى عندما يرحل «أدامز» نفسه عن مصر، فيجب عليها الاستعداد لتلك الفترة بجني أكبر ثروة ممكنة تعينها على الاستمرار في نفس طبيعة الحياة التي تعودت عليها مع «أدامز»، والطمع في المزيد، المزيد من المال والرفاهية والسلطة فكانت تتجادل بل وصل الأمر بها لحد الشجار مع «عزت» عندما كانت تراجع معه حسابات أعمالهما، فبينما كانت تتطلع هي دائمًا للمزيد من الأعمال وتحاول دفعه للتوسع في نشاطات أخرى والدخول في أعمال أكبر مع الكامب كان هو قانع إلى حد كبير بما وصل إليه في أشهر معدودة ويخشى دائمًا من التوسع أو طلب المزيد من الأعمال خشية عدم قدرته على الوفاء بالتزاماته تجاه الكامب فيفقد حتى ما بين يديه، إلى أن أتى لها «عزت» يوما وهو يكاد يطير فرحا وأخبر «ثريا» بأنه وجد ما كانا يبحثان عنه، وجد الفرصة التي طالما انتظراها وأتت لهم هي طواعية، ولكنها تحتاج أن

يلعبا بمهارة وسوف يربحان منها ما قد ينقلهما إلى طبقة الأثرياء في ظرف أشهر قليلة، وهو يحتاج منها أن تفجر كامل طاقتها الأنثوية في وجه ومشاعر «أدامز» لتحصل منه على هذه الخطوة الأخيرة .

***

بدأت «سمية» خطواتها الفعلية في عالم السينما وقبل أن تكمل تصوير دورها في فيلمها الأول وقعت عقد تصوير ثلاثة أفلام أخرى كأدوار ثانية، وشعرت «سمية» أكثر بمدى تأثير «زينب» على مشوارها الفني وكانت ترغب بشدة في أن تتفرغ لها، ولكنها لمعرفتها الجيدة بأن «زينب» لا يمكن أن تترك العمل في الشركة مع «عز» كانت تكتفي منها بقراءة السيناريوهات وشرح الدور وإحساس المشاهد، عقب عودتها من العمل، وفي مقابل ذلك نزلت هي على رغبة «زينب» في ترك العمل بالتياترو والتفرغ للسينما.

وذلك أيضًا اقتناعا بما قالته لها «زينب» في أنها لا يصح أن تكون نجمة يشير لها الناس في الشوارع وتستمر في العمل في مثل هذه الأماكن الرديئة المشبوهة، لأن ذلك سوف يؤثر على أجرها وعلى تقدير المخرجين والمنتجين لها، وفي النهاية كان السبب الرئيسي في تركها العمل بالتياترو هو ضيق الوقت فلم تعد تجد الوقت الكافي للتنقل بين أماكن التصوير، فلم يعد يتبقى لها وقت للذهاب من الأساس إلى التياترو، إلى أن حصلت «سمية» على دور كبير في فيلم ضخم مع مخرج شهير وشعرت وقتها بضرورة وجود «زينب» معها في بعض أيام التصوير ولم تكتف بأنها استمرت معها لأكثر من أسبوعين في القراءة والمراجعة وشرح دورها وبعض الأدوار الأخرى

المرتبطة معها، وبعد جهد استطاعت إقناع «زينب» بأن تحصل على أجازة في بعض الأيام والذهاب معها إلى الاستوديو، وفي أحد أيام التصوير التي حضرتها «زينب» وبينما هي تجلس خلف المخرج كالعادة متأثرة ومنفعلة مع أداء «سمية» وكأنها مدرب يقف على الخطوط منفعلًا مع أداء لاعبيه في الملعب صاح المخرج قائلًا:

- ستووووب برافو يا أستاذة، اللي بعده.

ثم استدعى الريجيسير وطلب منه استدعاء الممثلة التي ستقوم بالمشهدين التاليين وعندما أخبره الريجيسير بأنها لم تحضر اليوم، انفعل المخرج عليه وقال بغضب:

- أنا الممثلة اللي تتأخر معي عن معادها، مش عايزها تشتغل معي تاني، دور لي على أي ممثلة تانية تعمل الدور.

نظر الريجيسير حوله بقلق وتوتر وقال بِحيرة:

- مفيش ممثلات فاضين دلوقتي، ممكن أشوف لحضرتك واحدة من المجاميع تيجي تمثل المشهدين دول.

انفعل المخرج وقال بغضب:

- مجاميع إيه يا غبي!؟ المشهدين دول بالذات عايز حد بيفهم ويقدر يقرأ السيناريو كويس عشان يعرف يعملهم، المشهدين دول من أهم المشاهد في الفيلم، ثم نظر حوله عدة مرات إلى أن استقر نظره على «زينب» وقال بحماس:

- أنت، وشك وسنك مناسبين جدًا للدور، وأنا عارف إنك قريتي

السيناريو كويس.

***

وقف «هجرس» بوجه الطفولي وعمامته وجلبابه الصعيدي المهترئ وهو يتحسس السكين الكبير الحاد الموجود تحت ملابسه والتي وضعه له ذووه وطلبوا منه الذهاب إلى القاهرة والانتقام لشرفه والتي مرغته أخته الكبرى في الوحل كما كانوا يقولون، فقد ظلت «بمبة» على تواصل مع أهلها في الصعيد لمدة عامين بعد خروجها من البيت للعمل كخادمة ولكن ومنذ أكثر من عشرة أعوام انقطعت أخبارها فلم تعد تتواصل مع أهلها أو ترسل لهم راتبها الذي كان يعين والدها في الإنفاق على باقي إخوتها الصغار، وقد أضناهم البحث عنها طوال هذه الفترة إلا أن التقى بها أحد أبناء بلدتها بالصدفة في أحد أسواق مدينة القاهرة دون أن تلتفت إليه أو تعرفه وقام بمراقبتها إلى أن عادت إلى منزلها وأخبر ذويها بأنها قد تزوجت وأنجبت ثلاثة أطفال ونتيجة سوء سلوكها هجرها زوجها وتركها تعيش وحيدة مع أطفالها، ومنذ أن كان صبيا صغيرا وهم يملأون صدره حقدا وضغينة تجاهها ويتوعدونها يوميًا منذ أن انقطع إمدادها المالي لهم وزاد هذا الحقد - وكأنهم كانوا يهتمون بذلك – كونها تزوجت بدون أخذ موافقتهم أو حد أعلمهم بنبأ زواجها، فأرسلوا أخاها الأصغر للانتقام لشرفهم المهدور.

عادت «بمبة» من عملها مبتسمة مبتهجة وهي محملة كالعادة بالكثير من الأكياس المملوءة بخيرات الله، فقد كانت زوجة «سيد جلال» تغدق عليها دائمًا - لمعرفتها بظروفها – بالكثير من الأطعمة

والفواكه والملابس والأموال لها ولأولادها، وشعرت لأول مرة في حياتها بالسعادة وبأن الدنيا قد أدارت لها وجهها الجميل، فهي تعيش الآن أفضل كثيرًا من حياتها مع زوجها الهارب أو حياتها في «كلوت بك»، وعندما شاهدها أخوها وهي تقترب من منزلها تحفز وانفعل ولكن طافت بذهنه بعض المشاعر المختلطة من الحنين والشوق والحقد مجتمعين، فأخذ يتذكر كلمات ذويه التي تشحنه وتحثه على الانتقام، وأنه لكي يثبت لهم أنه أصبح رجلا يعتمد عليه فلابد له من قتل أخته ليستطيعوا أن يرفعوا رؤوسهم أمام عائلات قريتهم، وتركها حتى دخلت إلى بيتها ثم طرق عليها الباب وعندما فتحت له ووضعت عينيه في عينيها ولم تتعرف عليه وسألته عمن يقصد، فزاد حنقه ووضع يده على السكين الموجود داخل ملابسه.

***

أشعلت خطة «عزت» قناديل الجشع في نفس «ثريا» فأضاءت لها درب مستقبل ثري آمن، وإن كانت هذه الخطة تحمل بعض المغامرة إلا أن ثقة «ثريا» في إمكانياتها الأنثوية جعلتها تثق في النجاح، فبعد أن أمر الملك «فاروق» بتجهيز الجيش المصري بكافة الأجهزة والأسلحة والمعدات اللازمة لشنّ الحرب والذهاب لتطهير الأراضي الفلسطينية من العصابات الصهيونية، بدأ تجار الحرب بالاتفاق مع قيادات الجيش الإنجليزي في تجميع أكبر قدر من بقايا ومخلفات الجيش الإنجليزي لتجهيز الجيش المصري بها، ولذلك قررت معسكرات الجيش الإنجليزي إقامة مزادات على كافة المستلزمات المهملة والتي تمتلئ بها مخازنهم، وبالطبع كانت هذه

الكميات ضخمة تحتاج إلى أموال طائلة ولذلك لا يشترك في مثل هذه المزادات إلا كبار الأثرياء من التجار، وكان «عزت» يعلم عن محتويات مخازن معسكري العباسية والإسكندرية أكثر من قادة هذين المعسكرين نفسهم، ولكنه لم يلتفت إلى محتويات أي من هذه المخازن من قبل لعدم قدرة شركتهما المادية على شراء أي من محتويات تلك المخازن، إلى أن تم تحديد موعد مزاد معسكر الإسكندرية وعرض المحتويات التي سيتم بيعها ووجد فيها «عزت» ما كان يبحث عنه، فكان ضمن هذه المحتويات عدد عشرة آلاف فردة حذاء جنود يمنى جلد إنجليزي دون وجود الفردة اليسرى من الحذاء، وكانت هذه الأحذية جديدة تمامًا لم يستخدمها أحد من قبل وقد وردت لمعسكر الإسكندرية من مصنع الأحذية الخاص بالجنود الموجود بالعاصمة الإنجليزية وذلك خلال الحرب العالمية الثانية، ولكن لسوء حظ المصنع وحسن حظ «عزت» تم قصف المصنع من قبل الألمان وانهار جزء كبير منه خلال الحرب ولذلك لم يقم بتصنيع وتوريد الفردة اليسرى من الحذاء، ولكن بعد نهاية الحرب تم تجديد المصنع وإعادته للعمل مرة أخرى، فقام بإكمال عمله وقام بتوريد الفردة اليسرى من الأحذية منذ عامين ولكنه ذهبت إلى مخازن معسكر العباسية والذي يقوده «أدامز»، والذي رفض بيعها منذ ذلك الحين حتى يرسل المصنع الفردة اليمنى وكان لا يعلم أنها موجودة بالفعل في معسكر الإسكندرية، ولذلك سيقوم «عزت» بالدخول في مزاد معسكر الإسكندرية وسيقاتل لشراء الفردة اليمنى من الأحذية وهو يعلم بالطبع بأن أسعارها ستكون زهيدة للغاية ولن يلتفت إليها كبار التجار- فمن منهم سيهتم بشراء عشرة آلاف فردة

حذاء مفردة بدون زوجها الآخر، وهنا يأتي الدور على «ثريا» في ممارسة ضغوطها الأنثوية على «أدامز» عندما يُعقد مزاد العباسية وتقوم بإقناعه بأن يقوم بعرض الفردة اليسرى من الأحذية في هذا المزاد مع باقي محتويات المخازن لأنها ستقوم هي و«عزت» بشرائها وستقوم ببيع جلودها لتاجر جلود لأنها لا يمكن أن يُباع حذاء فردة واحدة فقط، وفي هذه الحالة يمكنهما شراء الأحذية بسعر لا يتجاوز الخمسمائة جنيها، وبعد أن يتجمع لديهما زوج الأحذية كاملا يستطيعان بيع العشرة آلاف حذاء بمبلغ يزيد عن الثلاثين ألف جنيه.

***

حاولت «سمية» إقناع «زينب» بأن تصغي إلى ما يقوله المخرج وتقوم بتمثيل المشهدين المطلوبين وكانت «زينب» مبهورة بما يحدث في موقع التصوير وتميل إلى المشاركة في التمثيل بالفعل ولكن ما كان يقلقها هو ما يمكن أن يحدث بعد ذلك عندما يُعرض الفيلم فلربما شاهده «عز» أو حتى أحد من العاملين معهم بالشركة ويخبر «عز» بأنها كانت تمثل في السينما دون علمه، وفي النهاية حسمت أمرها وقررت أن تقوم بتصوير المشهدين وتخبر «عز» بعدها مباشرة بما قامت به، وبالفعل قام المخرج بعمل اختبار الكاميرا لـ«زينب» ونجحت في إقناعه بأدائها وحركتها وعندما شرح لها المخرج المشهد وهو عبارة عن اللقاء الأول بين الابنة والأب الذي هجرها منذ أن كانت طفلة، زاد حماس «زينب»، وعندما بدأ التصوير استحضرت حالها واستجمعت مرارة السنين وشقائها منذ أن رحلت بعيدًا عن أبويها وبمجرد أن رأت من يقوم بدور أبيها أمامها اقتربت

منه وقالت بأسى وانفعال وبعد أن ترقرقت الدموع في عينيها:

- أنت رحت فين وسبتني لوحدي!؟ أكيد أنت مش عارف النار اللي أنا وقعت فيها، لأنك لو كنت حسيت باللي أنا فيه كان زمانك بذلت عمرك كله عشان تلاقيني وتنقذني، أنت لو كنت قَطعت حتة من جسمك ورميتها بعيد كنت أكيد هتفضل فاكرها طول عمرك مع إنها لا بتحس ولا بتتألم، فما بالك بطفلة سبتها تتكوي بنار الناس والدنيا.

وفي تلك اللحظة وفي الجانب الآخر مال مساعد المخرج عليه وهو ينظر بحيرة في السيناريو أمامه ويقول بصوت منخفض، بأن ما تقوله «زينب» غير موجود أمامه بالسيناريو، لكن المخرج الذي كان ينظر بانبهار لـ«زينب» وهي تقوم بالمشهد أمره بأن يصمت ويتركها تقول ما تريد.

ونعود لـ«زينب» التي أكملت كلماتها وهي تقول: «الأب مش هو اللي يخلف ويجيب عيال من صلبه وخلاص، الأب بالنسبة لي هو الحارس الأمين اللي واقف على باب البيت بيحمي ولاده وأهله بروحه ويبقى عارف إنه لو غفل عنهم الناس هتستبيح بيته هتستبيح أهله وماله وعرضه، بعد ما سبتني دخلوا لي لحد سريري، نهشوني ونهشوا عرضي، كسروني وكسروا قلبي وروحي، وطوا رأسي اللي لحد دلوقتي مش قادرة ولا هقدر أرفعها وسط الناس بعد ما الماضي دنس لي الحاضر والمستقبل، أنا عارفة إنك أكيد تعبت واتألمت بعد ما ضعت منك، لكن برضوا مش ممكن تكون حسيت باللي أنا حسيت بيه، وعارفة إنها مش غلطتك لوحدك لكن أنت جيت بعد ما كل شيء انكسر ومش ممكن يتصلح، أنا هسمحك واغفرلك

لكن يا ترى إنك ممكن تقدر تسامحني وتغفرلي.

ثم سقطت «زينب» على ركبتيها وانفجرت في البكاء، فنهض المخرج من فوق كرسيه بحماس وفرحة وصفق لـ«زينب» بحرارة وتبعه الجميع حتى صك صوت التصفيق أذن «زينب» فانتبهت وعادت إلى أرض الواقع ونهضت من فوق الأرض وهي تمسح دموعها إلى أن اقترب منها المخرج وقال بحماس:

- أنت بطلة فيلمي الجاي.

***

أخرج «هجرس» السكين من طيات ملابسه وبكل كمية الحقد الموجود بداخله دفع «بمبة» للداخل ثم أغلق الباب بعنف ونظر لها وهي ذاهلة خائفة متسائلة وقال بعنف:

- أنت مش عارفاني، أنا أخوكي الصغير اللي أنت ربتيه وكنتي بتغير له هدومه، مش عارفاني طبعًا، لأني دلوقتي كبرت وبقيت راجل وجيت عشان أغسل عاري وعار أبويا وعار بلدنا كلها، ثم جذبها من يدها بعنف، وألقاها على الفراش الوحيد الموجود بالغرفة وألقى بجسده عليها محاولًا تثبيتها فوق الفراش ثم كال لها الطعنات في جميع أجزاء جسدها وعندما أغرقت الدماء الفراش وتتطايرت لتملئ ملابسه، زاد جنونه فأمسك برقبتها وقام بذبح عنقها ليتأكد من موتها ثم وقف وسط الدماء التي أغرقت الغرفة ووسط صراخ أطفالها الصغار وهو يصرخ بأعلى صوته:

- خلاص يا أبويا، ابنك بقى راجل وغسل عارك وعارنا كلنا.

هذا هو ما تخيله «هجرس» وكان يعتقد أنه سيقدر عليه، ولكن ما حدث بالفعل هو أنه وبمجرد أن شاهد عيني أخته «بمبة» استعاد على الفور الأيام الخوالي والتي كانت تقضيها معه «بمبة» وهي تطعمه وتبدل له ملابسه وترد له حقه ممن يتعدى عليه من أصحابه وأقرانه، أحس بكيف كانت «بمبة» تقوم له بدور الأم لانشغال الأم بباقي أخواته العشرة وبحالتها الصحية المتدنية، ولذلك فقد ترك السكين وأخرج يده خالية وقال لـ«بمبة» بحنين جارف:

- أنا «هجرس»، أخوكي يا «بمبة».

رقت عيني «بمبة» بحب وتمعّنت في وجه «هجرس» جيدًا وعلى غير عادتها انتابها شعور حنين ورقة بعد تأكدها من أنه أخوها بالفعل وفتحت له ذراعيها ليلقي بنفسه في أحضانها ببراءة واضحة، وقصت عليه «بمبة» قصتها باستثناء طبعًا الفترة التي عملت فيها في شارع «كلوت بك»، أخبرته بأنها تعمل الآن في بيت نائب في البرلمان ويستطيع أن يحميها ويحمي أولادها منهم، وأنها لم ترتكب أي خطأ تستحق عليه الموت كما يعتقدون، وأخبرها بأنه سيعود لهم في بلدتهم وسيقص عليهم حكايتها ويخبرهم بأنه قد سأل عنها وعرف سمعتها الطيبة، وأشار عليها بأنها لابد وأن تحاول بعد ذلك العودة إلى البلد مع أولادها ولو على سبيل الزيارة ليتأكدوا من صدق ما يقوله لهم، وبأنها لم تفعل ما يشينها أو يشينهم وبأنها لم تهرب ولكن ضيق الحال هو ما دفعها لعدم إرسال النقود لهم وأنها تزوجت حتى تجد من يستطيع الإنفاق عليه بدلا من أن تتجه لأي عمل خاطئ مشين.

(10)

نجح «عزت» في الحصول على ما يريد من مزاد معسكر الجيش الإنجليزي بالإسكندرية وقام بتسديد قيمة المزاد بالكامل من نقود «ثريا»، مما أوغر قلب «ثريا» عليه، فهي لن تقبل بأن تدفع هي الأموال ويقاسمها «عزت» في الأرباح وبخاصة وأن الأرباح ستكون بآلاف الجنيهات، فأخبرته بأنها لن تسدد قيمة مزاد معسكر العباسية ويجب عليه أن يسدده هو من أمواله وإلا لن يشاركها في الأرباح، فانفعل «عزت» عليها كونه لا يمتك أية أموال لأنه ينفق كل ما يتحصل عليه على نزواته وملذاته وقال بغضب:

- أنت بتزنّي على خراب عشك يا «ثريا»، أنت نسيتي إن أنا صاحب الخطة من الأول، ولولا دوراني بين المعسكرات وفهلوتي وعلاقتي مع طوب الأرض من الإنجليز وغيرهم مكناش عرفنا أصلا إن في حاجة زي دي موجودة في المخازن.

ضحكت «ثريا» ضحكة هازئة ساخرة وقالت:

- أما أنت ناصح أوي كده زي ما بتقول، جيت لي ليه!؟ ما كنت نفذت خطتك من غيري!؟ أنت عارف إن من غير اللي أنا عملته مع «أدامز» مكنش هيبقى في خطة من الأساس، وبكده نبقى خلصين يا سي «عزت»، وزي ما شاركتك في الخطة لازم تشاركني في الفلوس.

نظر لها «عزت» شذرا والشرر يتطاير من عينيه وقال:

- الحدوتة مش كده، أنت طمعتي يا «ثريا» وبعد ما شبعتي ومليتي

بطنك، دلوقتي جاية تعضي في اللي لمك من الشوارع.

- بفلوسي يا حبيبي، ولو عايز تشاركني يبقى تدفع زيي زيك.

- ماشي يا «ثريا» هانم، أنا هتصرف في الفلوس، لكن يكون في معلومك، دي آخر عملية نشتغلها مع بعض وبعد كده كل واحد يشيل شلته لوحده.

بعد خروج «عزت» من العوامة أصيبت «ثريا» بصدمة قوية كونها لم تكن تتوقع أن يرفض «عزت» عرضها ويحاول تسديد قيمة المزاد بل كانت تريده أن يخضع لها وتحصل هي على النصيب الأكبر من أرباح الصفقة، ولذلك كان عليها أن تعمل بكل ما تستطيع حتى تمنعه من الحصول على الأموال التي يمكنه بها مشاركتها، وأخذت تفكر في الطرق التي يمكن أن يحصل بها «عزت» على النقود في هذا الوقت الضيق فلم يكن يتبقى على المزاد إلا أيامًا معدودة، ووجدت أن أمامه طريقين لا ثالث لهما إما الاستدانة أو السرقة وقد استبعدت الاستدانة لأن المعروف عن «عزت» أنه لص وأفّاك ولا يؤتمن على شيء ولذلك لن يجد من يقرضه فلا يتبقى أمامه غير السرقة وتذكرت حين أخبرها «عزت» بعمليات الاختلاس والسرقة التي كان يقوم بها بمساعدة أمين مخازن الكامب في العباسية وتوقعت بأن تكون هذه هي أقرب الطرق التي يستطيع بها «عزت» الحصول على النقود في أقرب وقت، ونبتت الفكرة الشيطانية في رأسها، فقررت أن تشي بأمين المخازن وبـ«عزت» عند «أدامز» وبذلك تستطيع أن تزج بـ«عزت» إلى السجن وتتخلص منه تمامًا وتستحوذ وحدها على أرباح الصفقة، ولكن تبقى لها الشيء الأهم وهو كيفية التصرف

في الصفقة بعد الحصول عليها، فهي لا تعرف التجار أو السماسرة الذي كان «عزت» يتعامل معهم، ولكنها في النهاية حسمت أمرها في ضرورة التخلص من «عزت» أولا وبعد ذلك يمكنها أن تجد مائة طريقة تستطيع بها ترويج بضاعتها وبخاصة في وقت الحرب.

***

الأحاسيس والمشاعر أشياء نسبية، فإحساسك تجاه شخص أو مكان أو موقف يتوقف على ارتباط مشاعرك بشيء ما يعمق أو يقلل إحساسك به، فإحساسك خاص بك فلا تحاسب أي شخص على ما تشعر به أنت فلربما كان إحساسه وشعوره تجاه نفس الشخص أو المكان أو الموقف مختلفًا تمامًا عن شعورك وإحساسك، وذلك ينسحب بالتأكيد على الإحساس بالوحدة، فالشخص الذي يعتاد الحياة في مجتمع مزدحم تترابط فيه الناس بمصالح واحدة ومصير واحد دائمًا يشعر بالوحدة إذا انتقل للحياة بين عدد أقل من البشر أو وسط مجتمع أقل ترابطًا وتتداخلًا من المجتمع الذي اعتاد عليه، وهذا بالتحديد كان شعور «سمية» فهي الآن تشعر بوحدة قاتلة رغم أنها لا تزال تعيش مع «زينب» في بيت واحد ولكن انشغال «زينب» عنها بالعمل وبعلاقتها بـ»عز» والتي تجعلها في حالة صمت وتفكير لأوقات طويلة عمق شعور «سمية» بالوحدة، وعلى الرغم من انشغال «سمية» أيضًا بالعمل لساعات طويلة ولكنها تفتقد الصخب الذي كان يملأ حياتها دائمًا، وحتى بعد أن أصبحت أحد نجوم الصف الثاني في السينما وأصبح المنتجون وشركات الإنتاج يدعونها باستمرار في الحفلات والمناسبات الخاصة بهم، فكانت في أغلب الأحيان لا

تلبي تلك الدعوات وذلك لعدم قدرتها على الاندماج وسط هذه الفئة من المجتمع ربما لضحالة تفكيرها وانعدام وعيها وثقافتها وتعرضها للكثير من المواقف المحرجة، إلى أن نصحتها «زينب» بضرورة حضور تلك الحفلات لأنها تنمي علاقتها مع المخرجين والمنتجين ونجوم الصف الأول الذي يستطيعون فتح المجال لها للحصول على الكثير من الأدوار، فذهبت «سمية» إلى أحد تلك الحفلات في أحد المطاعم الشهيرة ووجدت الجميع يصطفون في حلقات وبالطبع صافحت الجميع ووقفت مع بعض تلك الحلقات وتبادلت بعض عبارات الترحيب والمزاح ثم انسحبت من بينهم بهدوء بعد أن تحول بهم الحديث إلى أشياء لا تفهمها ولا تحبها ولا تستطيع الاسترسال في الحديث معهم فيها، وعندما تركت الجميع ونظرت حولها فشاهدت «رشدي» المصور السينمائي الوحيد الذي يعمل مع المصورين الإيطاليين واليونانين الذي يقومون بتصوير غالبية الأفلام المصرية، كان «رشدي» يجلس وحيدًا بعيدًا عن الجميع، وكانت «سمية» ترتبط معه بعلاقة صداقة لم تصل بعد لممارسة الجنس، لأنه لم يطلب منها أو حتى يلمح لها بتطور علاقتهما بهذه الطريقة ولذلك كانت تثق فيه وتشعر بأنه في الكثير من الأوقات ينصحها فقط رغبة في نجاحها دون أي غرض آخر، فذهبت له «سمية» مبتسمة وقالت وهي تجلس على المقعد الموجود بجانبه:

- إزيك يا أستاذ «رشدي»، قاعد لوحدك ليه!؟

- كنت مستنيكي.

ظهرت الدهشة على وجه «سمية» وقالت:

- أنت كنت عارف إني جاية الحفلة!؟

- لأ، مكنتش عارف، لكن كنت حاسس إني هشوفك النهارده.

بدأت «سمية» تشك في نواياه، وبخاصة أنها لم تعتد من الرجال على مثل هذه العبارات الرقيقة إلا عندما يريدون شيئا تفهمه هي جيدًا، ولكن كونه لم يطلب منه شيئا من قبل جعلها تتريث في الحكم على ما يريد فقالت محاولة استكشاف غرضه الحقيقي:

- أنت عارف إني بعزك أد إيه يا «رشدي»، وأنا تحت أمرك في أي حاجة أنت عايزني فيها.

- أنا مش عايزك تبقى تحت أمري، أنا عايزك تبقى معايا.

لم تفهم «سمية» ما يقصده «رشدي» ولكنها حاولت التجاوب معه علّها تصل لما يريد فقالت:

- ما إحنا مع بعض أهو يا «رشدي»، ولا عايزني أبقى معاك في حتة تانية، لوحدينا يعني!؟

كون «رشدي» يعتبر من الفنانين الموهوبين فقد تعلم التصوير السينمائي في أوروبا حيث عاش هناك نصف عمره تقريبًا ويعيش الآن وحيدًا ولا يهتم بأي تقاليد أو عادات مصرية أو حتى أوروبية بل يهتم فقط برغباته ويؤمن بأن الدنيا لا تعطي الإنسان إلا ما يستطيع هو انتزاعه منها ويؤمن بأن العلاقات الإنسانية لا تحتاج إلى قيود وقواعد ولكنه تحتاج فقط إلى تفهم كل طرف لرغبات الطرف الآخر، ولذلك لم يرتبط بأية سيدة مصرية من قبل لعدم قدرته على التأقلم

مع العقليات المصرية، ولذلك وجد في «سمية» جميع المواصفات التي يريدها، فهي لن تلزمه ولن يلتزم هو معها بأي شيء.

فقال لـ «سمية» موضحا:

- شوفي يا «سمية»، أنت بصراحة عجباني من زمان وكان نفسي أفتح معاكي الموضوع ده لكن مكنش في فرصة ممكن نتكلم فيها لوحدينا بعيد عن الناس.

اعتدلت «سمية» في جلستها وقالت بدهشة:

- غريبة يعني، أنت عمرك ما قلت لي ولا حتى لمحت لي بحاجة زي كده.

- الموضوع مش زي ما أنت فاهمة يا «سمية»، أنا مش عايز علاقة عابرة، أنا عايز أتجوزك.

عقدت الدهشة لسان «سمية» فكيف يفكر في الزوج منها وهي متاحة له بدون زواج وظنت بأن هناك شيئًا خفيًا في الأمر وعندما وجدها «رشدي» تحاول الحديث ولكنها تتلعثم فلم يفهم منها شيئا فقال:

- بصي يا «سمية» أنا أعرف عنك حاجات كتير وأعرف علاقاتك كلها مع فنانين ومخرجين ومنتجين كتير لأن مفيش حاجة عندنا هنا في الوسط بتستخبي، لكن أنا مش عايز أتجوزك بالمعنى المصري اللي أنت فهمتيه، أنا عايز نعيش مع بعض، نساعد بعض في الحياة والشغل ونلبي رغبات بعض في كل حاجة، لكن من غير ورق ولا فرح

ولا حاجة من الحاجات المتخلفة اللي أنتوا بتعملوها هنا في مصر.

أصابت خيبة الأمل قلب «سمية» فقالت بأسىً:

- وده يبقى اسمه جواز إزاي يعني يا خويا!؟

- أنا قلت لك جواز عشان أقرب لك قصدي، وهو يعتبر جواز لكن بطريقة حديثة من غير التزامات ولا خيانة ولا أطفال يقلبوا حياتنا، ويخلونا نكره بعض.

دفعت الوحدة والخوف والانجذاب إلى تجربة جديدة وإحساس «سمية» بصعوبة عثورها على فرصة زواج طبيعية في الموافقة على عرض «رشدي» والانتقال للحياة معه في مسكنه.

***

لا يوجد في الحياة من يعرف كل شيء عن كل شيء، وحتى لا يوجد من يعرف كل شيء عن شيء ما، ولا يوجد من يعرف شيئًا عن كل شيء، ولكن يوجد من يعرف أكثر من غيره عن شيء ما، كذلك يوجد من يعرف بعض الأشياء عن الكثير من الأشياء وهذا هو تعريف المثقف الحقيقي، حتى الثقافة أيضًا مستويات ودرجات ولا يتساوى فيها كل المثقفين وتتوقف المعرفة على حسب البيئة الثقافية المتاحة وكثرة الاطلاع والمثابرة وبدرجة أكبر على حب المعرفة، وللأسف لا يلعب التعليم في بلادنا العربية دورًا كبيرًا في الارتقاء بالثقافة، فكثيرًا من حاملي الشهادات يتمتعون بقدر كبير من الجهل المعرفي يجعلهم يتساوون عقليًا وفكريًا مع الكثير من غير المتعلمين أو الجهلاء.

ولذلك رغم عدم التحاق «زينب» بالتعليم النظامي إلا أن كثرة القراءة وسعة الاطلاع ساعداها كثيرًا في عملها فقد أصبحت بالفعل تعرف بعض الأشياء عن الكثير من الأشياء، فخبرتها السابقة في القراءة في جميع المجالات واجتهادها في الاستزادة من العلم والمعرفة بعد عملها في شركات «سيد جلال» وإقامتها في بيت «محفوظ» سهل لها كثيرًا الحصول على ما تريد من كتب في الوقت الذي تريده وبأسهل الطرق الممكنة، فعندما يُعرض أمامها موضوع في مجال ما تجدها دائمًا تمتلك الخلفية الكافية لفهم طبيعة الموضوع وكيفية البحث فيه والوصول إلى خباياه ودقائقه بسهولة، مما جعلها كأرشيف حي للشركة ومصدر كبير متحرك للمعلومات يعود إليها معظم العاملين معها لمعرفة بعض المعلومات الفرعية عن الموضوعات التي يعملون عليها، مما شجع «عز» على اتخاذ الخطوة التي كان يرغبها من البداية في تقريب «زينب» منه، فبعد مرور ستة شهور فقط من عمل «زينب» في الشركة قرر «عز» نقلها إلى السكرتارية الخاصة به، فأصبحت تحضر اجتماعات مجلس الإدارة بل وأصبحت سكرتيرة معظم الجلسات، فهي التي تسجل تلك الجلسات وتقوم بإعادة تبيضها وكتابتها على الآلة الكاتبة والتي تعلمتها في أيام قليلة من السكرتيرات الموجودات معها في الشركة، وفي أحد تلك الجلسات، كان الحديث يدور حول صفقة التمور والتي تستوردها الشركة من المملكة العربية السعودية وتعيد تصديرها مرة أخرى لأوروبا الغربية، وكان الحديث يرتكز على الطريق الذي ستتخذه السفن لنقل البضاعة من السعودية إلى ميناء السويس ثم

شحنها إلى القاهرة وإعادة فرزها وتغليفها ثم نقلها إلى الإسكندرية وتحميلها على السفن لإعادة شحنها إلى أوروبا، مالت «زينب» على «عز» الذي يجلس على رأس مائدة الاجتماع والتي كانت تجلس بجانبه لطبيعة عملها وطلبت منه بصوت خفيض إن كان يسمح لها بالحديث وعندما سمح لها «عز» قالت:

- مع احترامي لآراء حضراتكم جميعًا، طبعًا أنا عارفة إنكم أكثر دراية وخبرة مني في الشغل، لكن أنا عندي رأي في موضوع النقل، إحنا في الشركة لسه بنتبع أسلوب قديم في النقل بيصرف فلوس كتير وبياخذ وقت طويل، إحنا دلوقتي في سنة 1948م والسعودية من عدة شهور فتحت خطوط طيران وأنشأت مطار في جدة، والسنة اللي فاتت مصر عملت مطار جديد في إسكندرية، وممكن دلوقتي يبقى في حركة نقل بضائع بين المطارين وإحنا عندنا في الشركة مصنع تعبئة وتغليف في إسكندرية، فممكن بدل ما نستخدم المركب نستخدم الطيران التجاري لنقل البضاعة بتاعتنا، يعني الطيارة تأخذ البضاعة من مطار جدة إلى مطار إسكندرية مباشرة ونعبيها ونغلفها في مصنعنا هناك ونشحنها من الميناء في إسكندرية على طول وبكده نوفر الوقت والجهد.

نظر لها «عز» بإعجاب شديد وتنوعت نظرات أعضاء مجلس الإدارة الآخرين ما بين الدهشة والانبهار والحيرة والحقد إلى أن قال أحدهم:

- لكن إحنا لسه مدرسناش التكلفة، لأن ممكن تكلفة النقل في الطيران وبخاصة إنه لسه وسيلة نقل جديدة، تكون أكبر بكثير من

تكلفة النقل بالمراكب.

قال «عز»:

- خلاص، يبقى إحنا ندرس موضوع التكلفة ده الأول وبأسرع وقت ممكن، وطالما «زينب» هي صاحبة الفكرة، أنا بقترح إن هي تتولى دراسة الموضوع ده مع إدارة النقل والحسابات في الشركة، وعندما انتهى الاجتماع وانتقل «عز» إلى مكتبه وبدأ الجميع في الانصراف نادى «عز» على «زينب» أن تنتظر لأنه يود مناقشة بعض الأمور معها، وبمجرد أن خرج الجميع وجلست «زينب» على المقعد المواجه للمكتب قال «عز» بحب وشوق كبير:

- وحشتيني أوي، بقى لنا يومين مش عارفين نقعد مع بعض.

ردت «زينب» بنفس الحنين والشوق:

- وأنت كمان يا حبيبي والله، لكن أنت شايف الشغل كتير إزاي، وأنت اليومين اللي فاتوا كنت دايمًا في اجتماعات ومعندكش وقت.

نظر لها «عز» نظرة ذات مغزى فهمتها «زينب» ولكنها حاولت تجاهلها فقال :

- وبعدين يا «زينب»!؟ يا ريت تقول لي أنت عايزاني أعمل إيه بالضبط وأنا أعمله!؟

- أنا مش عايزاك تعمل حاجة، أنا عايز أحبك وأفضل جنبك كده طول العمر.

- وعشان نفضل مع بعض على طول، مش لازم نأخذ خطوة رسمية

في علاقتنا، لعلمك الحاج قال لي إنه موافق على جوازنا، يعني الدنيا كلها موافقة وأنت اللي مش موافقة.

- مش موافقة إزاي!! أنا أتمنى الموضوع ده يتم النهارده قبل بكرة، لكن في حاجات كتير لازم أعملها قبل ما ده يحصل، ثم نهضت من جلستها واقتربت منه ومالت على المكتب ووضعت يدها على وجنته وقالت بحنان:

- يا حبيبي سبني براحتى وإن شاء الله كل حاجة هتم في وقتها، لكن أنا كنت عايزة أقول لك حاجة مهمة حصلت من فترة ونسيت أقولها لك.

التقط «عز» يدها من فوق وجنته وقبلها بحب وقال:

- خير يا حياتي.

- أنت عارف إن أنا كنت بروح الاستوديو في بعض الأيام مع «سمية»، وكان في مشهدين اتورطت فيهم والله، واضطرت إني أعملهم لأن الممثلة اللي كانت هتعملهم مجتش، وكل اللي في اللوكيشن صقف لي والمخرج قال لي أنت هتبقى بطلة فيلمي الجاي.

ظهرت المفاجأة على وجه «عز» ونهض من فوق مقعده بغضب وقال بانفعال:

- إزاي يعني يا «زينب» تعملي كده، بطلة إيه وأرف إيه اللي أنت بتفكري فيه، أنا غلطان إني وافقت إنك تروح الأماكن دي، وإياكي تروحي هناك تاني.

اعتدلت «زينب» في وقفتها وقالت بهدوء:

- اهدى بس يا حبيبي، أنا لو كنت أعرف إن الموضوع ده هيزعلك كده مكنتش عملته، وبعدين مين اللي قال لك إني فكرت أبقى بطلة أو غيره، أنا مش عايزة من الدنيا دي غير إني أبقى بطلة حياتك أنت بس وأنا مرحتش هناك بعد كده خالص، لكن قلت أعرفك عشان من ساعة ما عرفتك وأنا مبحبش أخبي عليك حاجة خالص.

بدأ الهدوء يزحف ببطء إلى ملامح «عز» وعاد للجلوس مرة أخرى على مقعده ودفعه الفضول لسؤال «زينب» عن ماهية هذا الدور الذي جعل جميع الموجودين يصفقوا لممثلة ناشئة تقف لأول مرة أمام الكاميرات، وعندما عرف أنه دور فتاة ضلت طريقها عن والدها والتقت به لأول مرة، نهش القلق قلب «عز» وأيقن بأن غالبًا أن هذا هو ما حدث مع «زينب»، وبدأ يخمن كيف عاشت فتاة صغيرة كل هذه السنوات بعيدًا عن أهلها، وكان أول ما جال بخاطره أنها ربما تربت في دار للأيتام وأن «سمية» كانت رفيقتها في تلك الدار، ولكنه لم يشأ أن يفتح معها هذا الأمر إذ ربما يكون قد أساء الظن بها، فيقوم بجرح مشاعرها فأراد أن ينتظر حتى يتضح له الأمر بصورة أكبر ويتأكد من استنتاجه وعندما عاد الهدوء إلى «عز» جلس على مقعده وقال:

- أنا مصدقك، وعارف إنك مش هتعملي حاجة تزعلني تاني، لكن سيبك من ده دلوقتي وقول لي أنت جبتي الفكرة العبقرية بتاعت النقل بالطيارات دي منين!؟ وعرفتي منين إنهم افتتحوا مطار جديد في جدة!؟

- أبدا، الاطلاع والمعرفة والمتابعة، موضوع مطار جدة ده كان موجود في خبرفي جريدة الأهرام من عدة شهور، وقريت شوية عن مميزات الطيران وإنه بيوفر وقت كتير جدًا في التنقل من بلد لبلد لنقل الناس والبضائع ومن هنا جت لي فكرة إننا نستخدم الطيارات بدل المراكب.

وعندما همَّ «عز» بالتحدث دخلت أحد أفراد السكرتيرة وأخبرته بأن مدام «ثريا» قد أتت في موعدها وهي تنتظر في الخارج فسمح لها بأن تُدخلها، وعندما دخلت «ثريا» ووقعت عينها على «زينب» أصابها الكثير من الدهشة والذهول الممزوجة بالفرحة وقالت بعشم كبير:

- مش معقول، «زنوبة» المتعلمة، أنت كنت وحشاني جدًا ونفسي أشوفك.

أصابت المفاجأة «زينب» برعب شديد حتى إن قلبها كاد أن يتوقف من التوتر والقلق ولكنها حاولت التماسك ونهضت من فوق مقعدها بسرعة وقالت بعصبية وارتباك:

- «زنوبة» مين يا هانم!؟ أنا اسمي «زينب»، وما اعتقدش إني قابلت حضرتك قبل كده، ثم استأذنت من «عز» بالانصراف وغادرت الحجرة مسرعة.

نظرت «ثريا» إلى «زينب» وهي تغادر الحجرة وقالت بصوت خفيض غريبة، يخلق من الشبه أربعين.

قبل ذلك بعدة أيام

أخبر «أدامز» «ثريا» بصدق حديثها التي أسرّت به إليه، فقد تم القبض على «عزت» وعلى أمين مخازن الكامب وهما يقومان بسرقة بعض الأسلحة والذخيرة والملابس العسكرية من المخازن وتم تحويل أمين المخازن لمحاكمة عسكرية أما «عزت» فتم تسليمه للبوليس المصري لتقديمه للمحاكمة أيضًا، فابتهجت «ثريا» وحزنت في نفس الوقت ابتهجت لأنها تخلصت من «عزت» ومن مشاركته لها في أرباح صفقة حياتها، وحزنت لأنها لم تعرف منه قبل أن يتم القبض عليه أسماء التجار الذي اتفق معهم لبيع الأحذية لهم، ولذلك قررت حضور مزاد الكامب بنفسها وهناك بالتأكيد ستجد عددًا كبيرًا من كبار التجار وتستطيع التعرف على بعضهم وتحاول بيع تلك الأحذية العسكرية لهم بعد رسو المزاد عليها، ولكن ما حدث بعد ذلك أصابها بالصدمة لأنها لم تجد من بين هؤلاء التجار من يهتم بشراء تلك الأحذية العسكرية، ومن اهتم منهم بشرائها عرض عليها ثمنًا بخسًا، وأقل كثيرًا مما كانت تتوقع أو تنتظر، إلى أن دلها أحد سماسرة المزادات على أن الشركة الوحيدة التي تقوم بتوريد هذه الأحذية العسكرية للجيش المصري هي شركات «سيد جلال»، وإذا أرادت بيعها فعليها التواصل مع تلك الشركة لأنها ستحتاج بالتأكيد لهذا العدد الكبير من الأحذية وبخاصة في مثل هذا التوقيت الذي يتم فيه إعداد الجيش لمعركة تحرير فلسطين، فقامت بالاتصال بالشركة وتم تحديد موعد لها مع الأستاذ «عز» مدير الشركة.

(11)

واحة وسط الصحراء حيث تمتزج جميع أشكال الأراضي والحيوات، فالواحة تمثل نسخة مصغرة من سطح الكرة الأرضية حيث تتواجد مساحة من الماء تحيط بها مساحة خضراء تحتنضها صحراء شاسعة يحدها هضاب وجبال، اصطحب «رشدي» «سمية» إلى هذه الواحة وبالطبع كانت بالنسبة لـ«سمية» مكانًا غريبًا لم تعتاده ولم تره حتى لم تكن تعتقد بتواجد مثل هذا المكان على سطح الأرض، وسارا متجاورين بل متلاصقين حيث وضع «رشدي» يده فوق كتفها وكأنه يحتضنها، وكانت «سمية» بدأت تشعر بالسعادة وهي بجانبه فلقد وجدت ولأول مرة من يهتم لأمرها، من تشعر معه بالحنان وبعض الحب، من يسأل عنها إذا بعدت عنه أو تأخرت في العودة إلى المنزل، من يسألها عن يومها، من يهتم بمشاعرها ويسألها إذا كانت سعيدة أم حزينة، من يخفف عنها إرهاق يومها، من تهتم هي لأمره من تحضير طعام وملابس وأشياء أخرى، من أعطى لها بعضًا من خبرته في الحياة وعالم السينما، ولذلك كانت مستعدة للذهاب معه إلى آخر نقطة في الكوكب ليسا عشقًا وهيامًا ولكن صحبة ورفقة، فقد بدد «رشدي» وحدتها فنسيت معه حياتها القديمة، وظلا سائرين حتى وصلا إلى عين الماء فخلعا أحذيتهما الخفيفة وجلسا أمام العين إلى أن قالت «سمية»:

- إيه يا خويا الأماكن الغريبة دي اللي أنت بتجبني فيها!؟

نظر «رشدي» لها وابتسم ابتسامة ساخرة خفيفة وقال:

- هي غريبة، بس جميلة يا «سمية»، ولا أنت إيه رأيك!؟

ردت «سمية» بشك وقالت وهي تحاول مجاملته:

- هي جميلة، لكن لو تُهنا وإحنا ماشيين في الصحراء دي ومعرفناش نوصل للعين ممكن نضيع خالص.

- متقلقيش يا ستي، أنا عارف الطريق هنا كويس، ريحي قلبك واستمتعي بالجمال اللي حواليكي.

- أنا جيت هنا عشان خاطرك أنت بس، لكن أنا مبتمتعش غير لما أشتغل ويبقى معايا فلوس كتير.

- يعني أنت عندك الفلوس أهم مني!؟

- أنا عندي الفلوس أهم حاجة في الدنيا، لكن أنت برضوا مهم عندي أوي، ما إحنا بنبقى مع بعض في الشغل برضوا، يعني ممكن نبقى إحنا التلاتة مع بعض، أنا وأنت والفلوس.

ضحك «رشدي» ملء شدقيه بصوت عالٍ وقال:

- أنت عارفة يا «سمية» إن صراحتك دي هي أكثر حاجة عجباني فيكي، بمناسبة الفلوس أنت عارفة أنا لو معايا كام ألف جنيه أو حتى لو لقيت منتج يقتنع بالسينما اللي في دماغي، أنا ممكن أعمل أفلام تكسر الدنيا.

نظرت له «سمية» وقالت بتعجب:

- أنت عايز تبقى مخرج يعني يا «رشدي»!؟ وأنت تعرف تخرج!؟

- يا بنتي ما أنا اتعلمت التصوير والإخراج في أوروبا، لكن أما رجعت مصر، ملقيتش فرصة في الإخراج فاشتغلت في التصوير.

- وأما تبقى مخرج، هتخدني أنا طبعًا أعمل دور البطولة.

- ولا يهمك، أنت هتبقى بطلة أول أفلامي، لكن تسمعي كلامي وتعملي كل اللي هقولك عليه من غير كلام.

شردت «سمية» قليلًا ونظرت حولها بتأمل وقالت:

- وأنا لو مسمعتش كلامك أنت يا «رشدي»، هسمع كلام مين!؟ على العموم إحنا ممكن نتصرف في موضوع الفلوس اللي أنت محتاجها دي، بس أوعى تتوهني وتضيعني معاك.

***

كانت المفاجأة لـ«عز» أكبر منها لـ«زينب»، فرغم إنكار «زينب» أنها تعرف «ثريا» إلا أن شدة الارتباك والخوف الذي ظهر على وجهها كانا يقولان كلمات أخرى عكس التي كان ينطقها لسانها، وكذلك الثقة والعشم الكبير التي تكلمت بهما «ثريا» يوضحان أنها كانت تعرف «زينب» معرفة وثيقة ومن الصعب أن يختلط عليها الأمر، وما زاد اليقين لدى «عز» وأكد شكوكه هو أن «ثريا» قد نادت «زينب» باسم «زنوبة» المتعلمة، وإن كانت قد أخطأت عندما قالت لها «زنوبة» ولكن لقب المتعلمة هذا هو ما لقبت به «زينب» نفسها في أول لقاء بينهما في مكتب والده، وظل «عز» شاردًا لعدة دقائق و«ثريا» تجلس أمامه، وعندما بدأ في الحديث معها لم يسألها عن سبب طلبها لمقابلته أو ما هو نوع العمل التي ترغب في التعاون به مع

الشركة ولكنه سألها عن «زينب» وعن مدى علاقتها بها، وعن المكان الذي تقابلا أو تعارفا فيه، وعندها أدركت «ثريا» مدى اهتمام «عز» بـ«زينب» وأيقنت بوجود علاقة خاصة بينهما، بل وتأكدت من حالة الحب الكبير الذي يكنه «عز» لـ«زينب» من طريقة سؤاله عنها ومن مدى قلقه وتوتره ولهفته على معرفة كل شيء عنها، وبخبرة الأنثى المدربة على اللعب بمشاعر الرجال بدأت «ثريا» في استغلال لهفة «عز» على أخبار «زينب» في صالحها، فقررت ألا تعطيه ردًا قاطعًا على أي تساؤل خاص بها، بل وتعمدت إثارة مشاعره واللعب بالألفاظ معه للوصول إلى هدفها وبيع بضاعتها والحصول منه على أكبر استفادة ممكنة، أو ظنت أنها تستطيع فعل ذلك.

فعندما سألها «عز» عن مدى تأكدها من أن «زينب» هي نفسها «زنوبة» التي كانت تعرفها قالت «ثريا»:

- هي فيها حاجات متغيرة، يعني ممكن تكون هي وممكن لأ.

وعندما أكمل «عز» بلهفة قائلًا:

- يعني أنت كنت تعرفي «زنوبة» دي من كام سنة؟ وعلاقتكم كان شكلها إيه!؟

- «زنوبة» دي كانت حبيبتي وكنا عشرة عمر، ثم فكرت في أنها لا يجب أن تذكر أنها كانت تعمل في شارع «كلوت بك»، ذلك حتى لا تسقط من عينيي «عز» أويتعامل معها بازدراء وربما يرفض التعامل معها نهائيًا، وكذلك حتى لا تؤذي «زنوبة» في حبها وعلاقتها به إذا كانت هي «زينب» فعلًا، فأكملت بارتباك محاولة ارتجال كذبة وقالت:

- «زنوبة» دي كانت جارتي في السكن واتربينا مع بعض من وإحنا صغيرين، وأنا أعرفها وأعرف أهلها كويس، لكن يمكن متكنش هي اللي كانت عند حضرتك هنا.

التقط «عز» كلمة أهلها من بين كلمات «ثريا» وقال بدهشة:

- أهلها!! أنت كنت تعرفي أهل «زينب»!؟

- أنا معرفش «زينب»، أنا أعرف «زنوبة»، وأيوة كنت أعرف أهلها.

- طيب تعرفي والد «زينب» ولا «زنوبة» دي كان اسمه إيه!؟

ارتبكت «ثريا» وترددت وتلعثمت فقالت بكلمات مبعثرة متقطعة:

- والدها... مش فاكرة اسمه إيه، إحنا كنا بنقول له يا ابا الحاج وخلاص.

- طيب أنت تعرفي واحدة اسمها «سمية»؟

عندما سمعت «ثريا» اسم «سمية» أيقنت بأن «زنوبة» هي «زينب» وكادت أن تندفع في الرد وتخبره بأنها تعرفها جيدًا ولكنها تراجعت وفكرت بأنها إذا قالت له بأنها تعرف «سمية» سيتأكد هو الآخر من أن «زنوبة» هي «زينب» وهي ما لا ترغبه ولا تريده، فصمتت بضع لحظات وقالت:

- لأ، معرفش حد اسمه «سمية».

أيقن «عز» وقتها بأن «ثريا» أيضًا لديها الكثير مما تخفيه، وهذا ما أيقظ نيران القلق داخل قلبه، فشعر بأن ما تخفيه هي و«زينب» ربما

يكون أكبر مما يظن ويتوقع وهو ما جعله يتنهد بضيق، ولكنه حاول خلع رداء المحب وارتدى رداء رجل الأعمال مرة أخرى رغم الغصة العالقة بحلقه من كذب «ثريا» وإخفائها للحقيقة عنه إلا أنه قال:

- الهانم ما قلتش هي كانت طالبة مقابلتي في إيه!؟

قصت عليه «ثريا» قصة العشرة آلاف زوج من الأحذية العسكرية التي اشترتهم من معسكرات الجيش الإنجليزي فقال لها «عز» باستنكار:

- إحنا الشركة عندنا فعلًا محتاجة النوع ده من الأحذية العسكرية، لكن إحنا مبنشتريش حاجة قديمة.

- لا يا بيه والله، الحاجة دي جديدة وبشوكها ومحدش استعملها قبل كده، هي كانت مركونة عندهم بس من كام سنة.

- خلاص يا هانم، متقلقيش، ياريت تقول لنا ممكن نعاين الشحنة دي امتى، ولو كانت مطابقة للمواصفات، هنقيمها وندفع لك فيها السعر اللي تستهله، إحنا مبنأخذش حق حد.

انفرجت أسارير «ثريا» وأرادت أن تستحث «عز» للإسراع في تنفيذ الصفقة فقالت بخبث:

- لو خلصت الموضوع ده بسرعة، أنا ممكن أجيب لك أرار موضوع «زنوبة» ده.

- لا يا هانم، متتعبيش نفسك، أنا خلاص عرفت كل اللي أنا كنت عايز أعرفه.

***

خرجت «زينب» من الشركة وكأنها خرجت من الدنيا فقد أظلم الكون في عينها، سارت في الشوارع على غير هدى، تركت قدمها تقودها إلى حيث تشاء، فلم تكن تفكر في مكان محدد أو حتى شخص محدد تستطيع اللجوء إليه، حتى «عم محفوظ» الشخص الوحيد الذي كان يعرف حكايتها كاملة لم تكن تجرؤ على اللجوء إليه لأنه نصحها من البداية بأن تخبر «عز» بحقيقتها بنفسها ولا تدع تلك الحقيقة تأتي له من شخص آخر، فكل شيء في الدنيا قابل للإصلاح أو البداية الجديدة إلا دنس الماضي، يمكن للمرء أن يحاول نسيانه أو حتى تناسيه ولكنه بالنسبة للآخرين يظل ملتصقًا بالحاضر يزاحمه دومًا وعندما يتغلب عليه يهشمه ويطفئ معه أنوار المستقبل، فعندما رأت «عز» رأت معه الحياة، رأت معه ضوءًا في نهاية النفق المظلم، وبعد ما حدث اليوم اختفى الضوء، اختفت الحياة، اختفت جدران النفق التي كانت تحميها فلم تعد تراها بل لم تعد ترى حتى موضع قدمها، فقد كانت تنوي مصارحة «عز» بحقيقتها في يوم ما، ولكنها لم تستطع، كانت نفسها لا تطاوعها، ليس خوفًا فقط من رد فعل «عز» ولكن كبرياؤها وكرامتها لم يكونا يطاوعها على قول تلك الحقيقة، كانت تضع نفسها في موضعه، فعلى الرغم من كونها سيدة ولكنها عندما كانت تسمع «سمية» وهي تحكي لها عن بعض المرات التي باعت فيه جسدها كانت تنفر وتشمئز منها، فماذا ستقول له!؟ وكيف تستطيع مواجهته أو حتى مجرد النظر في وجهه بعد أن يعلم حقيقتها، ورغم ما ستسوقه له من مبررات، وهي على حق

في جزء كبير منها، ولكنها كانت تتوقع أن هذا اليوم سيكون اليوم الأخير في علاقتهما وحتى إن لم يأت الهجر منه، فكان سيأتي منها، وأخذت تؤنب نفسها كثيرًا على ما فعلته مع «ثريا» أمام «عز»، فلماذا أنكرت نفسها منها!؟ فهو لا يعرف «ثريا» ولا يعرف أين كانت تعمل، والواضح أن أحوال «ثريا» قد تبدلت كثيرًا وأصبحت سيدة أعمال تملك الكثير من المال، فهي لا تعرف الآن ما الذي ستقوله «ثريا» لـ«عز» عنها، حتى وإن انطلت عليها الحيلة وظنت بأنها ليست «زنوبة» التي كانت تقصدها، لكن ما حدث أمام «عز» «سيدخل الريبة إلى قلبه، ومن الوارد أن يبحث خلف «ثريا» وبالتأكيد سيقوده بحثه لها أو إلى «سمية» على أقل تقدير، وحتى لو لم يبحث خلفها، فيجب عليها الآن وقبل الغد أن تخبره بالحقيقة، ولكن إذا عرف منها حقيقتها الآن فهو بالتأكيد سيظن أني أخبرته بها فقط نتيجة ما حدث مع «ثريا» وأنها خشيت أن ينكشف أمرها أو ظنت أن أمرها قد انكشف فعلًا، فقررت أن يأتي الاعتراف منها، وذلك استمرارًا في الزيف والخداع الذي يظن أنها مارسته عليه منذ بداية علاقتهما.

استبدت الحيرة بنفس «زينب» ولكنها وجدت في النهاية أنها لابد أن تخبره بالحقيقة وليكن ما يكون، ولكن أية حقيقة!؟ فقالت لنفسها: «سأخبره بالحقيقة كاملة منذ البداية، منذ آخر لحظة سعادة شعرت بها قبل أن أقابله، منذ كنت في السابعة من عمري ألهو أمام والدي الجالس على مقعد في محطة سكك حديد الإسكندرية، وجاء الطوفان البشري الذي خرج من المحطة بعد وصول القطار فجرفني بعيدًا عنه إلى أن وجدت نفسي خارج المحطة وعندما

استطعت العودة لم أجده في مكانه، إلى أن التقطني أحد القوادين من المحطة عندما رآني أبكي في أحد أركان المحطة لغياب والدي، وغرّر بي وخدعني وأخبرني أنه شاهد والدي يركب القطار المتجه إلى القاهرة وأخذني معه في القطار، وعندما توقف القطار ولم أجد والدي انهرت باكية، فأظهر لي القواد وجه الحقيقي الشرير، فنهرني وهددني بالذبح إذا لم أصمت، ففقدت قدرتي على النطق من شدة الخوف، وظللت صامتة إلى أن ألقاني في ذلك البيت اللعين القذر في شارع «كلوت بك»، ومع ذلك لم تستسلم فطرتي النقية لهذا العالم التعس الفاحش، بل فررت من البيت بعد شهر واحد من وجودي فيه بعد ما عجزت قدرتي على تحمل كل ما رأته عيني من فحش، ولكن للأسف لم أستطع الصمود وحدي في الشارع أكثر من عدة ساعات، فعندما أتى الليل ووجدت نفسي وحيدة ضائعة تائهة في شوارع المدينة الباردة التي لا تعرفني ولا أعرف أنا عنها شيئًا، وأنا الصغيرة التي لم تعتد إلا على الحب والرعاية، وتجمعت حولي القوارض والكلاب، وعندما استطعت الفرار منها، وجدت بعض السكارى الذين حاولوا الإمساك بي، لولا أن أنقذتني «سمية» التي خرجت للبحث عني من بين أيديهم بمعجزة، فعدت للبيت مرة أخرى كارهة ولكني مذعورة من تجربة الحياة بدون جدران، فلم تقوَ نفسي على تكرار التجربة مرة أخرى، وعندما وصلت إلى الرابعة عشرة من العمر وبدأوا يراودوني على جسدي، فرفضت بكل حسم وقوة، ولكن الذئاب الجائعة، حبسوني ومنعوا عني الطعام ولكني صمدت ولم أستسلم، إلى أن نهشوا عرضي وجسدي بالقوة، فاغتصبوني عنوة، ليس مرة واحدة أو شخصًا واحدًا بل عدة مرات وعدة أشخاص

مختلفة في المرة الواحدة، فلم تستطع نفسي الضعيفة الصغيرة المقاومة، فاستسلمت كارهة بنفس ذليلة، استسلمت جسدًا بلا روح، وعشت أيامًا مروعة بعد ذلك ما بين مراقبة في كل حركة وسكنة وإهانات بسبب وبدون سبب ومن الجميع بلا استثناء، لكن ما منعني من الهروب بعد ذلك هو رؤيتي كل يوم لهؤلاء النسوة المشوهات أو المقطعة أطرافهن واللاتي يعملن كخادمات أو كمتسولات في الشارع وذلك فقط لأنهن حاولن الهروب من قبل، أنا لا أعفي نفسي من العار أو أطلب منك أن تعتبرني بريئة وشريفة، ولكني كنت ومازلت إنسانة، بداخلي ما بداخل البشر من ضعف ولدي قدرة محدودة على التحمل، فوالله لو كنت استطعت التحمل أكثر من ذلك لكنت فعلت، لكني لم أستطع، أدرك جيدًا بأنك أيضًا بشر ولك قدرة محدودة على الغفران والتسامح، فأنا لا أطلب منك أن تغفر لي وتسامحني وتنسى الماضي، ولكن أطلب فقط أن ترحمني، ترحم نفسي الضعيفة التي لن تقوى على البعد عنك أو عن العمل، لا تسامحني ولكن ارحمني، تذكر أية لحظة جميلة كانت بيننا، تذكر أي عمل جيد استطعت القيام به، إن كان مازال في قلبك ذرة حب لي فلا تطردني من حياتك وتعيد روحي لشقائها وتعاستها»

وأبت السماء إلى أن تشارك «زينب» في توسّلاتها فأرسلت عليها الأمطار مدرارًا، فاعتبرتها «زينب» رسالة السماء لقلبها المتعب، فقد أرسل إليها الله مياه الأمطار لتغسلها وتطهرها من أدرانها، وسارت في مياه الأمطار دون أن تحتمي منها حتى وصلت إلى بيتها غارقة ترتعد، وبمجرد أن دخلت، وقبل أن تغير ملابسها أخرجت الورق

والأقلام وكتبت حكايتها واعترافها في خطاب لـ«عز» ووضعته بجوارها قبل أن تغطّ في سبات عميق.

استيقظت «زينب» من نومها مكدودة مرهقة، فهي لا تقوى حتى على رفع رأسها عن الوسادة، ولكن عندما تذكرت ما حدث بالأمس والخطاب التي خطته لـ«عز»، تحاملت على نفسها وقررت أن تذهب إلى الشركة بأية طريقة كانت لأنها ملّت من الخوف والترقب والحذر، فهي تؤمن بمقولة أن «الصدق منجٍ» ولكن ليس معنى أنه منجٍ أنه سيجعل الجميع يسامحونك أو يغفرون لك، لكن منجٍ أي إنه سيحدد لك طريق النجاة من مصائب الدهر، حتى وإن كان هذا الطريق مخالفًا للطريق الذي ترغبه أو بمعنى أدق الطريق الذي ترى أنت أنه هو الطريق الصحيح.

لا تعرف «زينب» كيف استطاعت الوصول لمقر الشركة، فهي لا تتذكر حتى طريقة وصولها، وارتمت على مكتبها بإرهاق واضح حتى إن بعض العاملين التفوا حولها للاطمئنان ومحاولة المساعدة وآخرين كانوا يستنكرون عليها الخروج من المنزل وهي في مثل هذه الحالة المرضية، وعندما أخبرتهم بأن هناك شيئًا هامًا جدًا يجب أن تخبر به أستاذ «عز» اليوم، ومعظمهم يعرفون بالطبع علاقتهما الخاصة، فقام مدير الشؤون القانونية بترك غرفته لها لتستطيع الاسترخاء على الأريكة الكبيرة الموجودة بها لحين وصول «عز»، وبعد عدة دقائق دق الهاتف الموجود بالحجرة وعندما أجابت «زينب» أخبرتها عاملة الهاتف بأن الآنسة «سمية» تريد مكالمتها وبعد تحويل الخط ردت «زينب» قائلة:

- أيوة يا «سمية»، إزيك.

جاءها الصوت من الجانب الآخر قائلًا:

- أنا مش «سمية»، يا «زنوبة»، أنا «ثريا»، بس قولت لهم كده عشان ميعرفوش إني بكلمك.

لم تستطع «زينب» الرد من المفاجأة ولأنها أخذت تفكر في كيفية الرد على «ثريا»، فهل تنكر نفسها منها مرة أخرى أم تعتذر لها على ما حدث بالأمس، وظلت لحظات صامتة إلى أن أكملت «ثريا»:

- يا حبيبتي أوعي تكون فكراني زعلانة منك، أنا لو كنت مكانك كنت هعمل كده برضوا، أنا امبارح سألت عليك أما خرجت وقالوا لي إنك مشيتي،على العموم أنا بتصل بك دلوقتي عشان أقول لك اطمني أنا مقلتش لـ«عز» بيه أي حاجة عنك امبارح.

وبمجرد أن أغلقت «ثريا» الهاتف انهارت «زينب» وسقطت على الأرض مغشيًا عليها، ظلت «زينب» على هذه الحالة عدة أيام ما بين اليقظة والحلم والنوم، كانت تستفيق لحظات محدودة ترى فيها الدنيا حولها فكانت في بعض الأوقات ترى «عم محفوظ» وفي البعض الآخر كانت ترى زوجته ولكن عندما استفاقت في إحدى المرات ورأت «عز» يجلس على مقعد بجوار سريرها استفزت الفرحة مشاعرها فحاولت جاهدة رفع رأسها عن الوسادة أو حتى التحدث إليه ولكن صوتها لم يخرج من حنجرتها، بل على العكس أجهدت المحاولة جسدها بشكل كبير فأُغشي عليها مرة أخرى وعندما استفاقت من جديد لم تجده بجوارها، وكانت جميع أحلامها

وتخاريفها ترتبط بـ»عز» وبالشركة حتى إنها كانت تستفيق في بعض الأوقات وهي تنطق باسم «عز» أو تنطق بعض كلمات الاستعطاف والحب، وبعد أن تحسنت حالتها بعض الشيء واستطاعت رفع رأسها والجلوس على فراشها وجدت «عم محفوظ» وزوجته يقفان أمامها ينظران لها بحنان وشفقة كبيرين فقالت بصوت واهن ضعيف:

- هو فيه إيه!؟ إيه اللي حصل!؟

ابتسم «محفوظ» بحنان وقال:

- حمد الله على السلامة يا «زينب»،

- الله يسلمك يا «عم محفوظ»، هو أنا بقالي أد إيه نايمة؟

- حوالي خمسة أيام.

قاطعته «زينب» بدهشة وفزع وقالت وهي تحاول القيام من فراشها:

- إزاي خمسة أيام، أنا في حاجات مهمة أوي لازم أعملها، أنا عايزة أروح الشركة دلوقتي.

- اقعدي بس أنت رايحة فين!؟ مفيش دلوقتي أهم من صحتك، أنت حتى لو عايزة تقومي دلوقتي مش هتقدري، أدامك على الأقل ثلاثة أيام كمان.

(12)

يعشق المصريون التسلط في أن يمارسوه أو يُمارس عليهم، فكلٌ يتسلط على من دونه ويخضع لتسلط من يعلوه، ويستمتعون في الحالتين، ولذلك فهم يرغبون دائمًا في التقرب من النظام والحكومة والتي كانوا يطلقون عليها فيما سبق كلمة السلطة، وهذه طبيعة الأسوياء منهم ولكن عندما يصل الأمر إلى التحكم في مزاج الناس وحياتهم وحتى شرفهم بمدى قرب أو بعد هذا الشخص عن السلطة فهذا ما لا يمكن أن يطلق عليه إلا سذاجة أو تملّق أو نفاق، وهذا ما حدث تمامًا مع «بمبة» وأهلها، فعندما قَصت «بمبة» حكايتها مع «هجرس» أخيها على «عبد الرزاق» وأخبرته بأنه نصحها بأن تقوم بزيارة لبلدتها في الصعيد حتى تطفئ غضب عائلتها وتوضح لهم ما حدث معها منذ انقطاع أخبارها عنهم، وتخبرهم بأنها قد وصلت لمكانة جيدة وتعمل الآن في بيت واحد من كبار رجال السلطة في مصر، ولولا سلوكها الجيد وكفاءتها وإخلاصها في العمل ما وصلت لتلك المكانة، ومع ذلك فهي تخشى غضب أهلها وأهل بلدتها، فليسوا جميعًا مثل أخيها الذي يحمل لها الكثير من الذكريات السعيدة والتي جعلته يتعاطف معها بمجرد أن رآها، فهناك بالتأكيد من يحمل لها الضغينة والحقد، وهناك من يوقدون نار الثأر والانتقام في قلوبهم، ويمكنهم أن يؤذوها أو يؤذوا أطفالها دون أن تأخذ الفرصة الكافية في الدفاع عن نفسها وشرح الأمر لهم، فقام «عبد الرزاق» بالاتصال بواحد من زملائه والذي يعمل في قسم الشرطة التابع لبلدتهم وطلب منه أن يستدعي والد «بمبة» وأخوتها الرجال وأعمامها

ويبلغهم رسالة من النائب «سيد جلال» مفاداها أن «بمبة» تعمل لديه ويهمه أمرها ويطلب منهم استقبالها بترحاب ويحذرهم من التعرض لها أو لأحد من أولادها بسوء عندما تزور البلدة أو حتى بعد ذلك أثناء عملها بالقاهرة.

فبعد أن عاد «هجرس» إلى بلدته دون أن يقتل «بمبة» وأخبرهم بما حدث وبمكانة «بمبة» وبحسن سمعتها، صدقه نفر قليل منهم ولكن أغلبهم اتهمه بالجبن والخسة وانعدام الشرف والنخوة بل وقالوا إنهم أخطأوا في إرسال طفل صغير مثله لا يعتمد عليه، ولكن بعد أن عادوا من قسم الشرطة انقلب رأيهم ومزاجهم رأسًا على عقب فاحتفوا بـ«هجرس» ووصفوه بالبطل الذي أنقذ أخته من القتل عقابًا على خطأ لم ترتكبه، وربما لم يكن بعضهم على قناعة بالأمر ولكنهم خضعوا للسلطة لأن كلام السلطة كلام مصدق لديهم، فحاولوا إقناع أنفسهم بأنهم هم المخطئون، وعندما وصلت «بمبة» إلى البلدة استقبلها الجميع بمنتهى الحفاوة والترحاب، فكلام السلطة جعلها هي ممثلة السلطة في البلدة الآن، فكانوا يصافحونها ويتقربون منها، وأخذوا يحثونها على أن تقص عليهم حياة رجل السلطة الذي تعمل في بيته ويتعجبون عندما يعلمون أنه رجل طيب ذو أخلاق جيدة يتعامل معها برفق ولين هو وأولاده وزوجته، فقد كانوا يظنون أو يرتسم في مخيلتهم رجل السلطة على أنه الباشا أو صاحب الوسية الذي يتعامل مع الجميع وبخاصة البسطاء منهم بصلف وعنف وغرور، ويأكل حقوق الناس عنوة متحصنًا بماله ونفوذه أو رتبته، وعاشت «بمبة» بضعة أيام في قريتها في موضع

صاحبة السلطة والنفوذ وقضت بعض لحظات تتمتع فيها بمكانة لم تحظ بمثلها من قبل، مما جعلها ترفع رأسها التي كانت دائمًا منحنية أمام الجميع، فعادت من سفرها وهي تدعو لـ«سيد جلال» وابنه «عبد الرزاق» بالستر في الدنيا والآخرة.

***

دخل «عبد الرزاق» على أخيه «عز» في غرفته في الصباح الباكر قبل ذهابه إلى العمل فوجده مستيقظًا على غير العادة، وقال :

- جبت لك كل حاجة يا سيدي عن اللي اسمها «ثريا» وعن شركتها.

ظهرت اللهفة على وجه «عز» ولكنه حاول إبداء عدم الاهتمام الزائد فقال:

- أنت لسه فاكر يا سيدي، أنا خلصت الصفقة معاها خلاص، بس قول اللي أنت تعرفه، يمكن نتعامل معها في حاجة تاني.

- من اللي عرفته عنها وعن شركتها، بنصحك أنك متتعاملش مع الست دي تاني.

ظهر الانزعاج على وجه «عز» وقال بلهفة لم يستطع إخفاءها:

- ليه يا ابني!؟ أنت عرفت عنها إيه؟

- عرفت عنها بلاوي، «ثريا» دي يا سيدي عايشة في الحرام مع كولونيل إنجليزي، ده حتى شريكها في الشركة محبوس دلوقتي في قضية سرقة، والداهية بقى إن في كلام كتير بيقول إنها كانت من بنات شارع «كلوت بك» قبل ما يقفلوه.

نزلت هذه المعلومة على «عز» كالصاعقة، شعر وكأن هناك سكينًا حادًا ينغرز في قلبه، وطافت في ذاكرته بعض الكلمات البذيئة التي كانت تنطق بها «زينب» بتلقائية وسط كلامها وكان يعزي ذلك ربما لتربيتها في بيئة شعبية محدودة الفكر والثقافة، وكذلك جرأتها معه في بعض المواقف الخاصة بينهما، والتي كان يظنها ناتجة عن حبها الشديد له وشدة تعلقها به، ورغبتها دائمًا في أن تكون قريبة منه ومن قلبه، وبعض المظاهر الخليعة التي كان يلاحظها على «سمية» صديقتها ولكنه لم يكن يجرؤ حتى على مجرد التفكير في أن تكون «زينب» الواعية المثقفة البريئة ربيبة شارع «كلوت بك»، ولكونه لم يكن يتمنى أن تكون هذه هي الحقيقة، فقد حاول تكذيب هذه المعلومة تحديدًا فقال:

- لا، مش معقول تكون كانت شغالة في «كلوت بك»، هي باين عليها ست بسيطة وتعليمها محدود لكن ميسورة الحال وعندها شركة كبيرة.

- على العموم أنا قلت لك اللي أعرفه.

وبعد أن غادر «عبد الرزاق»، أخذت الأفكار تتصارع في رأس «عز»، وأصبح شغله الشاغل الآن هو إيجاد طريقة يستطيع بها التأكد من حقيقة «زينب»، حتى واتته الفكرة التي ربما ستحسم له الموقف كله بشكل كامل، اتصل «عز» بالشركة وعندما علم بوجود «زينب»، أخبرهم بأنه مريض ولا يستطيع الحضور للشركة، ولكن هناك بعض المراسلات الهامة التي يرغب في إرسالها لعدد من الشركات اليوم،

ولذلك يريد أن تحضر «زينب» إليه في المنزل ليُملي عليها تلك الرسائل، ثم قام باستدعاء «بمبة» التي عادت بالأمس من بلدتها وقال لها:

- أنا عارف يا «بمبة» إنك كنت بتشتغلي في شارع «كلوت بك» قبل كده.

انزعجت «بمبة» بشدة وقاطعته وقالت بحدة:

- بس والله يا بيه أنا من ساعة ما سبت الشارع وأنا ماشية على العجين مبلغبطوش، وعمري ما عملت حاجة غلط.

- يا «بمبة»، متقلقيش، أنا عايز منك خدمة، ومفيش حد غيرك يقدر يعملها.

- أنا تحت أمرك يا بيه، أنا خدامتك.

- أنت أكيد يا «بمبة» تعرفي كل البنات اللي كانوا بيشتغلوا في شارع «كلوت بك».

- أيوة يا بيه، أمال إيه، وبالذات لو كانوا بيشتغلوا هناك من زمان.

- طيب يا «بمبة»، أنا في واحدة هتيجي هنا كمان شوية، وعايزك تشوفيها وتقول لي لو كانت بتشتغل معاكي في «كلوت بك» ولا لأ.

***

من الممتع تحقيق الأهداف وتزداد المتعة كلما ازداد الجهد والتخطيط والاجتهاد والتضحية التي بذلتها لتحقيق تلك الأهداف،

ويتعلق مؤشر المتعة والسعادة والفخر زيادة أو نقصانا على توقيت تحقيق الهدف، والطريقة التي حققته بها، فقيمة الهدف تكون في تحقيقه في توقيته المناسب وكذلك تحقيقه بطريقة عادلة مشروعة تجعلك فخورًا بنفسك وبهدفك الذي حققته، وإذا اتخذنا مثلا بلعبة كرة القدم، سنجدها هي اللعبة الشعبية الأولى في العالم رغم ندرة عدد الأهداف التي تحرز فيها مقارنة بالألعاب الجماعية الأخرى، لكن لحظة إحراز الهدف تكون أكثر إمتاعًا لأنه أتى بعد جهد وعمل وتخطيط أكثر، وكذلك توقيت إحراز الأهداف يكون أكثر إثارة وإمتاعًا عندما يكون هو الذي يحقق الهدف الأسمى من اللعبة وهو الانتصار في نهاية المباراة، وعندما تحرز هذا الهدف بطريقة عادلة ومشروعة تكون أكثر فخرًا وسعادة وتنال احترام منافسيك قبل مشجعيك، وتأكد بأنك إذا تعمدت إحراز أهدافك بطريقة غير مشروعة يمكنك أن تكسب المباراة لكنك أبدا لن تستطيع أن تكسب البطولة.

ومنذ أن وافق «رشدي» على إعطاء دور البطولة لـ«سمية» في أول فيلم من إخراجه، أصبح هدف «سمية» الأسمى هو تجميع المال اللازم لإنتاج هذا الفيلم الذي سيجعلها بطلة ونجمة كبيرة وتستطيع بعدها الحصول على أموال ضخمة من المنتجين الآخرين للعمل معهم في أفلامهم، فكانت ترى نفسها قد قامت ببطولة عدة أفلام وامتلأ حسابها بآلاف الجنيهات والتي يمكن أن تتحول إلى مئات الآلاف في بضعة أعوام، تستطيع بهم تأمين حياتها ومستقبلها، ولا تخشى بعدها العجز أو المرض أو غدر الدنيا، فعملت في عدة أفلام

في وقت واحد، فكانت تقوم بأداء أي دور يعرض عليها حتى لو كان مشهدًا واحدًا ولو كان صامتًا في أحد الأفلام، المهم أن تحصل منه على أجر يجعلها تقترب ولو شبرًا من هدفها، وعلى العكس كان «رشدي» يرفض العمل إلا مع المخرجين وفريق العمل الذي يرتاح معهم، وكانت كثيرًا ما تنتقده وتوبخه، لكنه لم يكن يفعل إلا ما يحلو له، دون أن يلقي أي بال إلى انتقادها وتوبيخها.

وبعد عدة أشهر من العمل المتواصل وجدت «سمية» أنها ستحتاج لعدة سنوات لتجميع المبلغ اللازم لإنتاج الفيلم المنشود، فجلست مع «رشدي» تتناقش معه فيما يجب عليهما فعله لتحقيق هدفهما فقال:

- اللي أنت بتعمليه ده يا «سمية» مش هيعمل حاجة، إنتي بتموتي نفسك في الشغل، تحرقي نفسك أدام الشاشة بالظهور في أعمال كتير ولو في أدوار صغيرة وبرضوا مش هنقدر نجمع المبلغ المطلوب غير بعد سنين، وممكن بعد كده كمان نلاقي الخام وأجور الممثلين زادت والفلوس اللي معانا متكفيش.

قالت «سمية» بانفعال وغضب:

- أمال عايزني أعمل إيه يعني!؟ ما أنت مش عايز تسمع كلامي وتساعدني.

- أنا بساعدك على قد ما أقدر، لأني معرفش أعمل زيك.

- طيب وإيه الحل دلوقتي!؟

- هو حل من اتنين، يا إما تسيبك من الموضوع ده خالص، يا إما

نشوف منتج نقدر نقنعه أن يدخل معانا شركة ويدفع المبلغ الباقي.

- مفيش منتج واحد هييجي يدفع الفلوس دي كلها، لكن أنا ممكن أشوف أكثر من منتج يكملوا لنا المبلغ اللي إحنا محتاجينه، بس أنت عارف أنا هخليهم يوافقوا يدخلوا معانا في الشركة إزاي!

- أنا عقلي كبير يا «سمية»، ومفيش في دماغي أفكارك المتخلفة دي، طالما هتقدري تقنعيهم، اعملي اللي أنت عايزاها، أنا معنديش مانع.

***

اطمأنت «زينب» على وجود الخطاب في حقيبتها قبل أن تركب سيارة الشركة التي خصصها لها «عز» لتقلّها إلى منزله، وكانت الأفكار تتصارع في رأسها تبحث عن مقصد «عز» الحقيقي من استدعائها لمنزله لأول مرة، والغريب أن هذا الاستدعاء يأتي في هذا التوقيت الذي لا تعرف فيه إلى أين وصلت علاقتهما، هل ما زالت في البداية أم وصلت إلى بداية النهاية، وانزعجت وأصابها القلق من مجرد التفكير في كون «عز» ربما يكون مريضًا بالفعل، وحمدت الله أنه طلبها هي لأنها تريد بالفعل الاطمئنان عليه، وربما يكون الشك والريبة قد ملأوا قلبه ويريد أن يجلس معها بعيدًا عن العمل حتى يسألها عن ما يجول بخاطره لتهدئة مخاوفه والتحقق من شكوكه، وجالت بخاطرها بعض الأفكار الأخرى السوداء والتي تحمل أنه ربما قد عرف حقيقتها، وقررأن ينال منها ما يريده أي رجل من المرأة التي يحبها قبل قطع علاقتهما، وظلت في أخذ ورد إلى

أن وصلت بها السيارة داخل حديقة سراي «سيد جلال»، وعندما هبطت ونظرت إلى السراي الصخمة من الخارج والحديقة الكبيرة الغناء التي تحيط بها مظاهر الثراء والفخامة والجمال المنتشرة في كل مكان، انقبض قلبها وشعرت بغصة في حلقها عندما وقفت بنفسها على مدى الفارق الشاسع بينهما، فأين تربى ونشأ «عز»!؟ وأين تربت ونشأت هي!؟

وفتحت لها الباب خادمة طاعنة في السن وسمحت لها بالدخول، ولكن وهي في طريقها إلى حجرة الاستقبال سمعت من ينادي عليها باسم «زنوبة» وعندما التفتت بدهشة ووجل شاهدت «بمبة» تقف في أحد الأركان القريبة من باب الدخول، فأصيبت بارتباك وقلق وحيرة وشعرت بأن القدر يجبرها على أن تتحرك في الاتجاه الصحيح في علاقتها بـ«عز»، فيجب أن يحصل «عز» على الحقيقة منها قبل أن يحصل عليها من زميلاتها واللاتي تجمعن بطريقة قدرية ليجعلاها تلقي بهذا الحمل الثقيل من فوق كتفها، فاقتربت من «بمبة» بعد أن تخلصت قليلًا من المفاجأة وقالت بهدوء وبصوت خفيض:

- إزيك يا «بمبة»، أنت بتعملي إيه هنا!؟

أمسكت «بمبة» يدها وكأنها تشد من أزْرها وقالت:

- مفيش وقت، زمان «أم إبراهيم» طلعت تبلغ «عز» بيه إنك وصلتي، «عز» بيه جايبك هنا النهارده مخصوص عشان أشوفك وأقول له إذا كنت من بنات شارع «كلوت بك» ولا لأ.

- وأنت هتقول له يا «بمبة»؟

- طبعًا، لأ، هقول له إني معرفكيش.

ظهرت الدهشة والحيرة على وجه «زينب» وقالت:

- وليه يا «بمبة» هتعملي كده!؟

- الستر يا «زنوبة»، أنا كنت بسمع الكلمة دي دايمًا ومكنتش فاهمة يعني إيه الستر، أنت عارفة لو كنتي جيتي هنا من أسبوع كنت هقول له على الحقيقة، لكن بعد ما سافرت البلد عندنا والناس شلتني فوق رأسها عشان في ناس ستروني عندهم، حلفت بعدها إني عمري ما هفضح حد تاني أبدًا مهما حصل.

وعندما سمعوا صوت أقدام تهبط السلم قالت «بمبة»:

- روحي أنت يا «زنوبة» استني «عز» بيه ومتقلقيش من حاجة.

نهضت «زينب» من جلستها لاستقبال «عز» عندما اقترب منها وقالت بحب وحنان وبصوت خفيض:

- ألف سلامة عليك يا حبيبي، بعد الشر عنك.

ظهرت نظرة حيرة وتوتر في عين «عز» ولم ينظر لـ«زينب» ولكنه قال:

- إزيك يا «زينب».

- «زينب»! أنت تعرف أنت بقى لك قد إيه مقلتليش يا «زينب» وإحنا لوحدينا، أنت مبتقليش يا «زينب» غير لما بتبقى زعلان مني.

قال «عز» بخبث وغضب:

- أمال عايزاني أقولك إيه!؟ أقول لك يا «زنوبة» مثلًا.

- عايزاك تقولي يا حبيبتي، يا حياتي، زي ما كنت بتقولي على طول، بس تعرف كويس اسم «زنوبة» ده، أنا زمان كانوا بيقول لي يا «زنوبة».

ثم نادى «عز» على «بمبة»، وراقب وجهها ووجه «زينب» وهما ينظران لبعضهما، وعندما بدا أنهما لم يتعارفا، بدت الدهشة على ملامحه، ورفضت «زينب» طلب أي شيء لتشربه وعندما انصرفت «بمبة»، قالت «زينب»:

- وأنت كنت عايزني عشان كده بس ولا في حاجة تانية!؟

لاحظت «زينب» نظرات الدهشة والتعجب التي ظهرت على وجه «عز» فجأة وهو ينظر لشيء ما خلفها، فالتفتت بسرعة لترى «بمبة» وهي تشير له بما معناه أنها لا تعرفها.

فقالت «زينب»:

- خلاص يا «عز» بيه، ممكن أمشي دلوقتي؟

اضطرب «عز» وأصابته الحيرة، فهو لم يفهم قصدها، ولم يعتقد أنها فهمت أنه أحضرها إلى المنزل فقط لكي تراها «بمبة»، وانزعج بشدة من كلمة «عز» بيه التي قالتها بسخرية ولكنه قال:

- أنت مستعجلة ليه؟ مش تعرفي أنا كنت عايزك في إيه! ولا زهقتي مني!؟

- زهقت منك! تصدق برضوا إني ممكن أزهق منك! أنت عارف إن أنا كل أملي في الدنيا إني أفضل جنبك، أنا حياتي بدأت يوم ما عرفتك، ومعرفش هقدر أكمل حياتي إزاي لو بعدت عنك، وعشان كده كنت مترددة إني أقول لك كل حاجة عني، والله أنا بنت ناس كويسين ومحترمين، لكن الدنيا مسبتنيش في حالي، كنت عايزة أتعلم وأدخل المدرسة وأدخل الجامعة، لكن ربنا هو اللي مكنش عايز، ومع كل الظلم والقسوة اللي شفتها من الدنيا قدرت أعلم نفسي وبقيت زي ما أنت شايفني دلوقتي، أنا عارفة إن في جزء من حياتي أنت متعرفش عنه حاجة، لأني من وقت ما عرفتك وأنا مكدبتش عليك في حاجة خالص، ومكنتش عايزة أكدب، وكنت أكيد هعترف لك بالحقيقة في يوم من الأيام، لحد ما قابلت «ثريا» عندك في المكتب، ومعرفش ليه أنكرت نفسي منها، وأول ما حسيت إني هبتدي أكدب عليك، قررت أعترف لك بكل حاجة.

انفعل «عز» وقال بغضب:

- لكن أنت خدعتيني، وصورتي نفسك على إنك ملاك، ولولا إنك خفتي إن حقيقتك تتكشف، مكنتيش جيتي وقلتي لي الكلام ده دلوقتي.

- لأ، أنا مخدعتكش، أنا مكنتش بتكلم عن فترة معينة في حياتي لأني إنسانة ليها حق تقلق وتخاف على حبها وعلى كرامتها، وبعدين أنا قابلتك مرة واحدة، وبعدها محاولتش أقابلك تاني، عشان كنت عارفة إن الموقف اللي إحنا فيه دلوقتي هيحصل، لكن أنت

اللي دورت على لحد ما لقتني، ولو كنت عايزة أخدعك فعلًا، كنت قبلت عرض الجواز اللي أنت عرضته علي مائة مرة وأنا كنت بأجل الموضوع لحد أما أقدر أقول لك الحقيقة كلها وبعد كده تبقى أنت تقرر لو كنت لسه عايز تتجوزني، واللي أنت شفته مني من ساعة ما اشتغلت معاك في الشركة، هي دي «زينب» الحقيقة، ولو أنت شايفني ملاك، يبقى كتر خيرك.

ظهر التوتر والارتباك على وجه «عز» وقال بدهشة:

- يعني أنت صحيح كنتي من بنات شارع «كلوت بك»!؟ وعندما لم ترد «زينب» بل نظرت إلى الأرض في خجل وانكسار أكمل «عز» بانفعال وغضب قائلًا:

- أنا لحد دلوقتي مش مصدق، كأني في كابوس وعايز أصحى منه، أنا معرفش إزاي واحدة بتتكلم بالعقل ده وعندها وعيك وثقافتك تكون اتربت في مكان زي ده!؟

وهنا اقتربت «بمبة» لأول مرة وقالت بحماس واستعطاف:

- أحلفك بالله يا بيه، متجيش عليها أوي، «زنوبة» أيوة عملت حاجات غلط لكن مكنش بخاطرها، بس طول عمرها قلبها ونفسها طاهرين وكلنا عارفين إن دعاها طول السنين اللي فاتت إن ربنا ينجدها ويخلصها من الذل اللي هي عيشة فيه هو اللي طربق شارع «كلوت بك» على اللي فيه.

رغم أن كلمات «بمبة» صادفت هوى في نفس «عز» الذي كان يحاول إيجاد أية ثغرة في نفسه يستطيع بها إيصال نبض قلبه إلى

عقله محاولا إثناءه عن التفكير باستمرار في البعد عن «زينب» التي يكن لها حبًا لم يكنه لأنثى من قبل، لكنه حاول مداراة حيرته وضعفه في الانفعال على «بمبة» قائلًا:

- حتى أنت كمان يا ست «بمبة» خدعتيني وقلت لي إنك متعرفهاش!

ردت «بمبة» بقلق وخوف وبصوت واهن:

- ربنا أمر بالستر يا بيه، هو ينفع كنت أفضح واحدة ربنا عايز يسترها.

- امشي من هنا يا «بمبة» دلوقتي، أنت حسابك معايا بعدين.

وعندما انصرفت «بمبة» قالت «زينب» والدموع في عينيها:

- و أنا يا حبيبي هتحسبني امتى!؟

وقعت كلمة يا حبيبي ودموع «زينب» في قلب «عز» وقع قطرات النار على سطح قطني هَشٍّ فاخترقته، فكلمة حبيبي هي أصدق وأفضل كلمة يتمنى أن يسمعها أي رجل من المرأة التي يحبها، بالطبع هناك الكثير من الكلمات الجميلة التي يتبادلها الأحبة مثل يا عمري يا حياتي أو يا روحي ولكن كل هذه الكلمات ممكن أن تقال كمجاملة ودون أن نقصد معناها، ولكن حبيبي لا تقال إلا لمن نكن له مشاعر حب صادقة ولذلك يبقى لكلمة حبيبي منزلة ومكانة عالية جدًا لا يشعر بها إلا من تُلقى عليه هذه الكلمة، فرغم كل شيء كانت «زينب» حب عمره، فهو لا يعرف كيف ومتي ولماذا أحبها كل هذا الحب؟

وكيف تعلق بها إلى الدرجة التي لا يطيق مجرد التفكير في أن يبعد عنها للحظات وليس للأبد، ويبقى أن كل ما يشعر به الآن هو أن كلامها قد وقر في قلبه فأحس به وصدقه، لم يصدق أنها بريئة ولا تتحمل وزرًا، ولكنه صدق أن الله قد أراد تطهيرها وإلا ما كان أحبها من النظرة الأولي، وربما صدقها لأنه يريد أن يصدقها، وتميل نفسه للسكينة والراحة في أحضان من تعلق بها قلبه، لا يريد أن يتحمل مرارة ولوعة الهجر وقسوة الفراق، وأحس بأنه وقع بين شقي رحى، شَق الهوى الذي يدفعه تجاه «زينب» وشَق التقاليد والأفكار المتوارثة التي تدفعه بعيدًا عنها، وكان كل ما يتمناه الآن هو أن يأخذ «زينب» بين أحضانه ويكفكف لها دموعها ولكنه تنهد تنهيدة حارة حملت كل ما في قلبه من نار الحيرة وقال:

- «زينب»، أنا بحبك أوي، أوي، أكتر مما تتخيلي، لكن الدنيا مش مشاعر بس، الدنيا فيها حاجات كتير منقدرش نتجاوزها ولا نعمل نفسنا مش واخدين بالنا منها، وأنا مش عايز أظلمك، لكن مقدرش أوعدك إن علاقتنا ممكن تستمر بعد كده.

غمرت الراحة المشوبة بالقلق قلب «زينب»، فقد أزاحت عن كاهلها حملًا أكبر مما يمكن أن يتحمله بشر، وكان رد فعل «عز» أفضل كثيرًا مما كانت تحلم، فأخرجت «زينب» الخطاب من حقيبتها وأعطته لـ«عز» وقالت:

- وأنا يا حبيبي، مكنتش ممكن أطمع في أكتر من كده، لكن الجواب ده فيه الحكاية من الأول، فيه حاجات أنا مقدرش أحكيها، اقرأها براحتك وبعد كده ممكن نتحاسب.

(13)

باعت «ثريا» الصفقة وانتعشت خزائنها بمبلغ خيالي لم تكن تحلم بالوصول إليه، فاستند ظهرها على جدار صلب من الأمان المادي، وأصبحت أكثر ثقة وجراءة في التعامل مع جميع من حولها، حتى مع «أدامز» والذي توترت علاقتها به في الفترة الأخيرة وبخاصة بعد علمه بالفخ الذي نصبته له «ثريا»، فقد وصلت أخبار الصفقة لرؤوسائه، وبالطبع أدركوا مدى تقصيره وتقصير العاملين معه في معسكر العباسية وكذلك قادة معسكر الإسكندرية، بل ووصل الأمر ببعضهم لاتهامه بالتواطؤ وربما التربّح على حساب جيش بلده، وهذه التهمة كانت من الممكن أن تحيله للمحاكمة العسكرية أو على أقل تقدير إلى التقاعد، فأصبح يتعامل مع «ثريا» بازدراء وقسوة، بل وأصبح يتعمد إهانتها وإذلالها، حتى إنه كان يأتي ببعض بني جنسه ويجبرها على تقديم خدماتها الجنسية لهم رغمًا عنها، فأصبحت «ثريا» أسيرة استعباده الجنسي لها، وقررت أن تهجره، ولكن عندما لمحت له فقط بذلك هاج وماج وهددها بأنها لن تخرج من هذه العوامة إلا على السجن أو جثة هامدة، وكانت تعرف جيدًا أنه يقدر أن يفعل بها ما يشاء دون خوف من مساءلة أو عقاب، فاضطرت خانعة الرضوخ إليه وإلى رغباته، ولكنها في نفس الوقت قررت الاستمتاع ولو قليلًا بأموالها التي جمعتها، فاشترت سيارة حديثة وكانت تخرج للسهر كل ليلة من الليالي التي لا يأتي فيها «أدامز»، فارتادت جميع الخانات والتياتروهات والمسارح، وتعددت علاقتها برجال كثر، بعضهم لم تكن حتى تطيل النظر إلى وجه بل

فقط تقيم معه العلاقة التي تريدها ثم ترحل في الصباح وتعود إلى عوامتها وكأن شيئا لم يكن، وكانت في بعض الأوقات القليلة تقيم تلك العلاقات داخل العوامة وتتعمد أن تقيمها على فراش «أدامز» ظنًا منها أنها بذلك تنتقم منه وتهينه كما يفعل هو بها دائمًا، وعندما كانت تمر في أحد الأيام بعد منتصف الليل بجوار أحد ثكنات الجيش الإنجليزي وهي في طريق العودة إلى العوامة، صك أذنها صوت انفجار كبير وشاهدت لهبًا ناريًا يتصاعد من ناحية المعسكر، أعقبه صوت طلقات نارية وصافرات إنذار، أتبعه هرج ومرج وخروج عدد من السيارات المحملة بالجنود الإنجليز المدججين بالسلاح من بوابة المعسكر، فانتابتها حالة من الهلع وقررت أن تبتعد عن الشوارع الرئيسية وتدخل في عدد من الشوارع الفرعية التي تعرفها جيدًا وتعرف طريقها فيها، وعندما دخلت أحد تلك الشوارع شاهدت على ضوء سيارتها أحد الشباب والذي يركض بعرج واضح على قدم واحدة، ودفعها فضولها إلى تتبعه حتى دخل أحد الأزقة المظلمة فأوقفت سيارتها بجوار الزقاق وأضاءت أنوار السيارة مما بعث ضوءًا ضعيفًا داخل الزقاق، وترجلت من سيارتها وبمجرد أن ظهرت في مقدمة الزقاق شاهدت هذا الشباب يشهر مسدسه في وجهها وهو يرقد على الأرض مستندًا بظهره إلى أحد الجدران والدماء الغزيرة تنزف من جرح قدمه فاقتربت منه وقالت بصوت خفيض:

- متخفش أنا مش هأذيك، دورية الإنجليز جاية ورايا، وأنا معايا عربية بره، يالا بسرعة قبل ما يمسكوك، وكان الشاب كالغريق الذي يتعلق بقشة، فاستسلم لها، واستند على كتفها إلى أن أجلسته في

سيارتها وانطلقت مبتعدة عن مكان الحادث، قادت «ثريا» سيارتها والشاب المصاب يرقد على المقعد الخلفي يئن من الألم، وعندما شعرت ببعدها عن المعسكر وزوال الخطر بدأت تفكر باندهاش فيما فعلت، فكيف انساقت إلى مثل هذا العمل الجنوني!؟ وما هذه الوطنية والشهامة المفاجئة والتي هبطت على رأسها من السماء!؟ وعندما نظرت للخلف وشاهدت الشاب وهو ينزف وخشيت أن يموت في سيارتها، أكلها الندم وفكرت في بعض لحظات أن تطلب منه النزول من السيارة، ولكن قلبها لم يطاوعها، فسألته إلى أين يريد أن يذهب وعندما أخبرها بأنه لا يعرف، لأن جميع الأماكن التي يستطيع الذهاب إليه ستكون مراقبة ومرصودة من قِبل الإنجليز، فرقَّ قلبها له، وأخذته معها إلى العوامة، وأرقدته على الفراش وقالت:

- أنت لو فضلت تنزف كده هتموت، أنا لازم أتصل بدكتور ييجي يعالجك.

قالب الشاب بقلق:

- لأ، أوعي تعملي كده.

ثم أعطاها رقم هاتف لأحد زملائه وطلب منها أن تتصل به وتعطي له عنوان العوامة وهو سوف يقوم بما يلزم، وبعد أقل من نصف ساعة حضر صديقه ومعه الطبيب والذي قام بإخراج الرصاصة من ساقه وتنظيف الجرح وأعطاه بعض المسكنات والتي جعلته غير قادر على الوقوف على قدمه، فاضطر للبقاء هذه الليلة في العوامة مع «ثريا»، والتي شددت على صديقه في ضرورة أن يأتي غدًا

لاصطحابه، لأنها لن تستطيع تحمل مسؤوليته بعد ذلك، وجلست «ثريا» تفكر فيما حدث، إلى أن أتتها فكرة شيطانية تستطيع من خلالها الاستفادة من كل ما حدث الليلة في القضاء على كل ما يهدد مستقبلها.

***

عادت «زينب» إلى منزلها وهي في حالة ارتباك وقلق، ففي اللحظة التي ألقت فيها ما فوق كاهلها، مادت الأرض تحت قدميها، تاهت وأختفت معالم الطريق أمامها، فهي لا تعرف ما الذي سيحدث بعد ذلك، وما هي خطواتها القادمة، ومازالت كلمة «عز» بأنه لا يستطيع أن يعدها باستمرار علاقتهما ترن في أذنها، فهي لا تعتبرها إنهاءً للعلاقة وكذلك لا يمكن أن تعتبرها استمرارًا فيها، وعندما فكرت فيمن يمكن أن تستفيد بنصائحه لم تجد سوى «عم محفوظ»، فذهبت إلى منزله واستقبلتها زوجته بترحاب، ولكن عندما نظرت في وجهها قالت بدهشة:

- مالك يا بنتي أنت كنت نازلة الصبح زي الفل، أنت شكلك دلوقتي زي ما تكوني راجعة من سفر طويل.

نظرت «زينب» لها نظرة إعجاب من فطنتها وقدرتها على التعبير بكلمات بسيطة عما حدث لها بالفعل فأجابت:

- فعلًا، والله يا أمي، أنا رجعة من غربة خمستاشر سنة.

لم تفهم السيدة قصدها ولذلك قالت:

- على العموم يا بنتي، حمد الله على السلامة، عمك «محفوظ» بيصلي وجاي لك على طول.

وعندما أتى «محفوظ» وقصت عليه «زينب» ما حدث، تنهد «محفوظ» بارتياح كبير وقال بسعادة:

- أنت تعرفي إن ده أجمل خبر سمعته النهارده، أنا أقدر أقول لك دلوقتي مبروك يا «زينب»، أنت كده خلاص خلصتي من لعنة «كلوت بك» للأبد، وفي الحالتين، لو كملتي مع «عز» يبقى حققتي كل اللي بتتمنيه ويبقى ده كرم وفضل كبير من ربنا، ولو مكملتيش معاه، يبقى ارمي كل اللي حصل زمان ورا ضهرك وشوفي حياتك مع حد تاني من غير ترقب وخوف وقلق، يعني من الآخر أنت كده خلاص حصلتي على فرصة تانية للحياة.

- لكن أنا مش عايزة حد تاني يا «عم محفوظ»، أنا لكمل حياتي مع «عز» ، لكملها لوحدي، وكفاية إنه هيفضل في قلبي.

شعر «محفوظ» بالحزن وأشفق على مشاعر «زينب» الخضراء البريئة لكنه قال:

- أنا حاسس بيكي يا «زينب» ومقدر مشاعرك، لكن يا بنتي الدنيا مبتتوقفش على حد، وإلا كلنا كنا موتنا لو أحبتنا فارقونا، أنت لسه صغيرة ولسه ياما هتشوفي من الدنيا.

ردت «زينب» بأسىً وبعد أن غلبتها دموعها:

- يعني أنت رأيك إن مفيش أمل أن «عز» يرجع لي تاني.

- يا بنتي أنا مقلتش كده، لكن لازم نعمل حساب كل الاحتمالات.

- طيب، أنت شايف إن كلام «عز» معناه إني ينفع أروح الشركة تاني ولا لأ!؟

- روحي شغلك عادي، وكأن مفيش أي حاجة حصلت، طالما ما قالش بصراحة إنك متجيش الشركة تاني.

دخلت «زينب» إلى حجرتها وجلست على فراشها وهي حائرة لا تدري ماذا تفعل، أتذهب إلى الشركة غدا أم لا!؟ وإذا ذهبت فكيف ستتعامل مع «عز» !؟ وكيف سيتعامل هو معها!؟ وهل إذا قرأ «عز» خطابها سوف يؤثر فيه ويجعله يتعاطف معها!؟ أم يكون على العكس من ذلك، فينفر منها ويزدريها عندما يقرأ ما تعرضت له من إهانة وإذلال وامتهان لكرامتها!؟ وكانت أسوأ كوابيسها تتمثل في أن يعاملها بقسوة أو يقوم بإهانتها أمام العاملين، ولكن ما كان يطمئنها قليلًا أنها كانت تظن أن مكانتها في قلبه مازالت باقية، وأن ظروف وضعه ووضع عائلته الاجتماعي هو ما يجعلانه يفكر ألف مرة قبل الارتباط بها وهي تمتلك مثل هذا الماضي المدنس، وفي النهاية استسلمت لنداء قلبها وتمسكت بقيود الأمل الأخيرة وقررت الذهاب غدا إلى الشركة وما يريده الله سيكون.

***

عندما أسس «آينشتاين» للنظرية النسبية عام 1905م ، فتغير مفهوم الزمن من كونه مطلقًا، إلى كونه نسبيًا وجعله بُعْدًا رابعًا يُدمج مع الأبعاد الثلاثة المكانية (الطول – العرض – الارتفاع) فيما

يعرف بالزمان، بعد أن كان يتم التعامل معهما كشيئين مختلفين، وبما أن الزمن يعتبر بُعداً رابعًا، فأصبح يمكننا أن نتحرك فيه كما نتحرك للأمام أو للخلف أو لأعلى ولأسفل في الأبعاد المكانية، فأصبح الجميع مهووسًا بنظرية السفر عبر الزمن، فالأغلبية ترغب في السفر للمستقبل لتعلم ما الذي سيحدث لها في المستقبل، ولكن بعض الرومانسيين الحالمين يرغبون دائمًا في السفر للماضي، لمجرد اعتقادهم بأن الماضي أفضل دائمًا من الحاضر، فمنهم من يرغب في العودة لعصر الهجرة النبوية أو إلى القدس في عصر ظهور المسيح أو إلى أحد عصور الأسر الفرعونية الثلاثين، ولم يكن «عز» يختلف عنهم في رغبته في العودة للماضي ولكنه كان يريد العودة إلى محطة سكك حديد الإسكندرية وفي الوقت التي كانت فيه «زينب» في السابعة من عمرها تقف هناك تبكي لاختفاء والدها، للبحث معها عنه وإنقاذها من مصيرها الأسود الذي كان بانتظارها، فعندما قرأ الخطاب الذي تركته «زينب» والمكون من عشر صفحات كبيرة، عرف قدر وأهمية الأسرة والأهل، قَدر فضل الله عليه كونه نشأ بين أبيه وأمه في منزل مستقر وحياة سهلة هانئة، فقد قرأ الخطاب بقلبه قبل عقله كونه يتعلق بمن تعلق بها فؤاده، ولذلك كانت الدموع تغلبه عندما كان يقرأ بعض فقرات الخطاب، عندما كان يشعر بمدى المعاناة والقسوة والذل الذي تعرضت له «زينب» وهي ماتزال طفلة صغيرة أو حتى وهي في مقتبل العمر ووقتها لم تجد من يرأف بها أو يحنو عليها، وقرأ الخطاب عدة مرات تقربًا ومواساة لـ«زينب» في أحزانها، وعندما كان يقرأ الخطاب للمرة الخامسة فوجئ بدخول أخيه «عبد الرزاق» بصحبة والده، فنهض من فوق فراشه بسرعة

وحاول مسح وجهه بيديه لإزالة أي أثر من دموع باقية، ولأن والده لم يكن يعتاد على دخول غرفته نظر «عز» بتساؤل لأخيه «عبد الرزاق» وعندما رأى والده تلك النظرة في عينيه بدأ هو الحديث قائلًا:

- أنا جيت أكلمك في أوضتك، عشان نبقى بنتكلم براحتنا بعيد عن والدتك، لأنها لو سمعت كلامنا ممكن تقع من طولها.

تحولت نظرات التساؤل إلى نظرات دهشة وحيرة، فقال «عبد الرزاق» محاولًا تبرئة نفسه من الأمر:

- «أم أبراهيم» قالت لوالدك إن «زينب» كانت هنا النهارده، وحكت له كل اللي قدرت تسمعه من كلامكوا، وبعدين والدك سأل «بمبة» وعرف منها كل حاجة، وأنا طبعًا أخذت نصيبي من التهزيق، وهو جاي يكمل معاك.

قال «سيد جلال»:

- أنت طبعًا يا «عز» كبرت على إني أعنفك أو أجبرك إنك تعمل حاجة غصب عنك، فعشان كده أنا جاي دلوقتي عشان أعرف منك أنت ناوي تعمل إيه مع «زينب»!؟

لم يجب «عز» وشرد طويلًا، فهو حتى الآن لا يعرف ما الذي سيفعله مع «زينب»، كل ما يعرفه أنه يعشقها ويعشق سيرتها، فهو يرغب الآن في الحديث عنها، ولم يفكر في أي شيء غير ذلك، مع علمه بأن والده قد أتى إليه الآن حتى يسمع منه أن علاقته بـ«زينب» قد انتهت، ولم يعد يفكر فيها، ولكن هذا غير صحيح، ولذلك لم

يرغب في الإجابة وقول ما بداخله، لأن عقله نفسه يرفضه، ويعرف أنه لو كان سمع ما يفكر فيه هو الآن من أي شخص آخر لظنه مجنونًا يهذي، فكيف يفكر إنسان في مكانته وتعليمه ووضعه المادي والاجتماعي في ربط نفسه بإحدى ربيبات شارع «كلوت بك»، ورغم ما عرفه عن الظروف القاسية التي دفعتها رغمًا عنها في هذا الطريق، إلا أن هذا لا يستطيع أن يمحو أو حتى يخفف ولو قليلًا من ماضيها الملوث وحياتها وتربيتها في وسط يملؤه العطن ويتشبع بالخسة والنذالة، وسط حقير، من الصعب أن تنمو فيه زهور تفوح بروائح عطرة، واحترم والده وأخوه صمته وشروده، وحاول «عبد الرزاق» التقاط الخطاب الموجود على الفراش ولكن «عز» اختطفه منه بغضب، وقال بحسم:

- ده بالذات محدش ينفع يقراه غيري، ثم أكمل موجهًا حديثه لوالده:

- مقدرش أقول لك يا حاج أنا ناوي على إيه بالضبط، لأني لسه معرفش، لكن اتأكد إني عمري ما هعمل حاجة من غير رضاك أنت أو أمي.

قال والده برضا:

- ربنا يكملك بعقلك يا «عز»، يا ابني أصل الجواز ده مش مجرد واحد وواحدة يقعدوا مع بعض في بيت واحد ويخلفوا عيال، الجواز ده يا ابني ارتباط عائلتين ومجتمعين كاملين، لأنهم مش هيبقوا عايشين لوحدهم في الدنيا، هيبقى في زيارات ومناسبات

ومشاكل، والحب لوحده مش هيقدر يصمد أدامها، وهيبقى في أولاد وهيبقى لهم أعمام وأخوال وحياة وسيرة، العيال هيعيشوا بيها وعليها وسط مجتمعهم، فمينفعش نورث العيال سيرة يخجلوا منها وتأثر في حياتهم ومستقبلهم، فلازم يبقى في تكافؤ نسبي بين الاتنين في المستوى التعليمي والاجتماعي والعقلي وكل حاجة.

ثم أكمل والده محاولًا التخفيف عنه:

- لكن برضوا إحنا مينفعش نظلم «زينب» ونسيبها تتبهدل، أنا هشوف لها شغل في شركة كبيرة وبمرتب كويس تقدر تعيش منه.

انزعج «عز» بشدة من كلام والده عن «زينب» فقال بدهشة:

- يعني أنت حضرتك عايزني أطرد «زينب» من الشركة!؟ لأ، أنا مينفعش أمشي «زينب» من الشركة من غير سبب كده، الناس هتقول عليها إيه!؟ وهتقول علي أنا كمان إيه!؟ إحنا نسيب الموضع شوية لحد أما نلاقي سبب معقول، وبعدين أن أصلا شايف إن الشغل ملوش دعوى بعلاقتنا الخاصة.

قال «عبد الرزاق» بدهشة وحيرة:

- الغريب يا «عز»، إنك كنت مستغرب إني جبت واحدة زي «بمبة» تشتغل عندنا في البيت عشان عرفت إنها كانت بتشتغل قبل كده في «كلوت بك»، ودلوقتي لما اتبدلت المواقف بقيت شايف حاجة عكس كده خالص.

ارتبك» «عز» قليلًا ولكنه قال:

- لأ، «زينب» حاجة و«بمبة» حاجة تانية خالص.

قال «عبد الرزاق»:

- في الحقيقة هو مفيش فرق بينهم، كل ما في الأمر، إن الإنسان مينفعش يحكم على تصرف إنسان تاني في أي موقف غير لما يحط نفسه مكانه أو لما يتحط هو نفسه في نفس الموقف.

ثم أكمل بسخرية:

- وبعدين أنت شايف يعني، إنك ممكن تقطع علاقتك بـ«زينب» وهي موجودة معاك في المكتب وبتشوفها وبتكلمها كل يوم عادي!؟

شعر «عز» ببعض الآلام في كتفه الأيسر وبأنه لا يستطيع التنفس بسهولة فأراد أن ينهي الموضوع بأية طريقة فقال:

- لو على كده، مفيش مشاكل، ممكن أنقلها في مكان تاني بعيد عني، لكن مينفعش أطردها من الشركة دلوقتي خالص.

***

استيقظ «شريف» من نومه وهو ينظر حوله بحذر، فقد كان ما مر به بالأمس من خطر وتوتر وقلق مازال ماثلًا أمام عينيه، وبذل جهدًا كبيرًا في الاعتدال جالسًا لشعوره بآلام شديدة في ساقه المصابة، وألقى نظرة فاحصة حوله على الفوضى الموجودة حوله في الحجرة فشاهد بعض الملابس النسائية ذات الألوان الفاقعة المزركشة معلقة على المشجب واتسعت عيناه دهشة وهو يرى بعض قمصان النوم وعددًا من ملابس النساء الداخلية ملقاة على أحد المقاعد بجوار

الفراش، فتذكر شكل وملابس السيدة التي أنقذته بسيارتها، وأيقن بأن انطباعه عنها كان صحيحًا، وبالتأكيد هي واحدة من فتيات الليل أو على أكثر تقدير هي راقصة تعمل في الملاهي الليلية وكانت عائدة من عملها عندما رأته بالأمس، ولم يكن يغير هذا الأمر في تقديره لها ولعملها الشجاع الجريء الوطني من شيء، فقد كان يؤمن بأنه مهما كان عمل المرء يبدو غير أخلاقي أو منافيًا لتقاليد وعادات المجتمع إلا أن الإحساس الوطني يظل عند الجميع موجودًا ويظهر عند الحاجة إليه، وعندها سمع صوت باب الحجرة يُفتح ووجد «ثريا» تدخل وهي تحمل طاولة صغيرة ممتلئة بأصناف شتى من الطعام وقالت وهي تضعها عند قدميه في الفراش:

- حمد الله على السلام يا جميل، إحنا بقينا عال العال أهوه.

نظر لها بامتنان وقال بخجل:

- أنا مش عارف أشكرك إزاي على كل اللي عملتيه معايا، ثم نظر إلى الطعام الموجود على الطاولة وأكمل:

- وإيه ده كله! أنا هاكل ده كله على الصبح كده!؟

- أيوة يا بطل، أنت لازم تعوض، دا أنت دمك اتصفى يا حبيبي امبارح، وأنا هقعد أأكلك بإيدي كمان.

انزعج «شريف» بشدة عندما جلست «ثريا» بجانبه وقال بسرعة:

- لأ يا هانم، ملوش لازمة، أنا هاكل لوحدي.

- مالك يا خويا، اتفزعت ليه كده!؟ ثم نهضت من جانبه وأزاحت

الملابس الموجودة على المقعد الجانبي وألقتها على الأرض وجلست مكانها ثم أكملت:

- الأكل قدامك، كل براحتك، لكن أنا في موضوع مهم كنت عايزاه أكلمك فيه.

- أنا فاهم والله يا هانم، «عادل» صاحبي زمانه جاي، وهمشي معاه من هنا على طول.

- لأ،لأ،لأ، سيبك من موضوع إنك تمشي من هنا ده خالص دلوقتي، أنت ممكن تفضل قاعد هنا حتى لو أسبوع بحاله، كل حاجة اتغيرت خلاص.

نظر لها بدهشة وقال بحيرة وهو يمد يده في طاولة الطعام لشعوره الشديد بالجوع:

- يعني أنت مش خايفة إن حد يعرف إني مستخبي عندك وييجوا يقبضوا علي وعليكي أنت كمان.

- ما هو ده يا خويا الموضوع اللي كنت عايزة أكلمك فيه، ما حدش ممكن يدور عليك هنا خالص، لأن العوامة دي بتاعت الكولونيل «أدامز» اللي ماسك الكامب بتاع العباسية.

انسحبت الدماء من وجه «شريف» ووقف الطعام في حلقه، فسعل بقوة وقال بفزع:

- يا نهار أسود، وأنت بقى مراته؟

- لا يا خويا، أنا حياله صاحبته، وكمان دي مبقتش عايزاها،

وعايزاك أنت وأصحابك تساعدوني في كده.

نظر لها بشك وحيرة وهو يفكر فيما يمكن أن تطلب منه هذه المرأة، لأنه لا يثق بها على الرغم من أنها أنقذت حياته من قبل فقال:

- نساعدك إزاي يعني!؟

- أنت وأصحابك عمالين تضربوا في عساكر الإنجليز اللي موجودين في مصر وتموتوهم، وفي الأول والآخر دول عساكر غلابة بيروحوا وييجي غيرهم كتير، لكن لو وقع في إيديكم كولونيل في الجيش الإنجليزي زي «أدامز»، شوف بقى ده هيعمل في الإنجليز إيه! أنا اتصلت النهارده بالكامب وعرفت أن «أدامز» مسافر بلده وراجع بعد أسبوعين، وفي الأسبوعين دول ممكن تجهزوا نفسكوا وأنا طبعًا هساعدكم بكل اللي هقدر عليه.

(14)

خُلق الاختلاف مع خَلق الناس فدائمًا ما يختلف الناس على الصواب والخطأ، ومقولة بأن هناك صوابًا مطلقًا لا يختلف عليه أحد أو خطأ مطلقًا لا يختلف عليه أحد هي مقولة خاطئة تمامًا، فحتى الله الخالق اختلف عليه الناس، ليس في كينونته وطبيعته فقط ولكن حتى في وجوده أو عدم وجوده، فالجهل أحد الأسباب الأساسية للخطأ، ولكن هناك من يخطئون وهم أكثر علماً ووعياً وثقافة، يخطئون عن علم وهم يعلمون أنهم يخطئون ولكنهم لا يستطيعون مقاومة أنفسهم، والأخطر من هؤلاء هم الذين يخطئون عن علم وهم لا يعلمون أنهم يخطئون ويظلون في خطأهم وغيِّهم وهم يحسبون أنفسهم أذكى من أن يكونوا على خطأ وما يفعلونه هو الصواب دون شك، وهناك النوع الأكثر انتشارًا بين الناس هو الذي يخطأ لأنه لا يعرف إلا الخطأ، لم يجد من يعلمه أو يربيه على معرفة الصواب من الخطأ، يخطأ أخطاء متوارثة عبر الأجيال، فلم يجد قدوة حسنة يستطيع أن يقتدي بها، كذلك لا يمتلك العلم والوعي الذي يجعله يستطيع أن يفرق به وحده ما بين الصواب والخطأ، وهذا النوع لا يتركه الله يُحاسب في الآخرة ولكن يحاسبه في الدنيا، فلا يموت إلا وقد أخذ جزاء ما فعل أو على الأقل يحدث له ما يمنعه بالقوة عن خطأه حتى يرتدع عما يفعل، فإن لم يرتدع أيضًا يحق عليه العذاب في الدنيا والآخرة.

و «سمية» كانت من هذا النوع الأخير، فجهلها لم يمنحها رفاهية التفكير فيما تفعل، فقد حُرمت من المال في صغرها وصورت لها

الأحداث والخطوب التي مرت بها بأن امتلاكها لقدر كبير من الأموال هو ما سيحميها من غدر الدنيا، فقد بذلت كل ما تستطيع خلال الأيام الماضية للحصول على الأموال اللازمة لإنتاج الفيلم الذي سيجعل منها بطلة سينمائية، كما صور لها «رشدي»، فقد ألقت بنفسها وببعض من بناتها اللاتي بدأن العمل معها في أحضان العديد من المنتجين حتى استطاعت تكوين شركة إنتاج صغيرة مشتركة بينها وبينهم، وكان أول ما فعله «رشدي» هو أنه اشترط أن يقوم بنفسه بكتابة قصة وسيناريو وحوار الفيلم المنتظر، بجانب أنه قام بشراء سيارة حديثة لتنقلاته وتنقلات بطلة الفيلم كما كان يقنع «سمية» استغلالا لسذاجتها، وأخذ «رشدي» يقرأ الفيلم لـ«سمية» ويشرح لها دورها، ولكنها لم تفهم منه شيئا حتى إنها لم تفهم دورها ولا كيف ستقوم بأداء الشخصية المكتوبة في الفيلم، ولكنها أقنعت نفسها بأن «رشدي» وهو الذي تعلم السينما في أوروبا، فهو بالتأكيد يفهم أكثر منها وبالتالي لم تتوقف كثيرًا عن فهمها من عدمه للسيناريو وكانت تنفذ كل ما يطلبه منها «رشدي» دون تفكير، حتى عندما بدأوا في التصوير كانت تخشى أن تسأل أيًا من العاملين معها في الفيلم عن ما يعجز عقلها عن فهمه، حتى لا تظهر أمامهم بمظهر الجاهلة التي أصبحت بطلة عليهم بأموالها، حتى استمعت في أحد الأيام الأخيرة من التصوير وهي تمر في الاستوديو إلى نقاش بعض العاملين والممثلين في عدد من المشاهد فقال أحدهم بدهشة وتعجب:

- إيه الكلام الفارغ اللي مكتوب في السيناريو ده!؟ أنا مش فاهم منه حاجة خالص.

ورد آخر بنفس اللهجة وقال:

- هو أنت كمان مش فاهم دورك؟ أنا كنت فاكر إن أنا الوحيد اللي مش فاهم.

وقال ثالث:

- يا عم هو إحنا لازم نفهم، إحنا بنيجي نعمل اللي بيقولوا لنا عليه ونقبض القرشين ونتكل على الله.

انقبض قلب «سمية» بشدة عندما سمعت حديثهم، وبخاصة أنهم قاموا فعلًا بتصوير أكثر من ثلاثة أرباع الفيلم، فتصاعدت الدماء إلى رأسها، وشعرت بأن حياتها تنهار وأموالها قد تبددت في الهواء، فذهبت إلى «رشدي» في غرفته، ودفعت الباب بقوة وقالت صارخة بغضب:

- هو ده يا «رشدي» الفيلم اللي أنت وعدتني أنه هيكسر الدنيا!؟ الناس كلهم بره قاعدين بيقولوا إنهم مش فاهمين حاجة من السيناريو، يعني كل اللي صورناه ضاع في الهوا.

قابلها «رشدي» بمنتهى البرود والترفع وقال بهدوء:

- وهو إيه اللي فهمهم في السيناريوهات والسينما، اهدي بس أنت يا «سمية»، السينما اللي أنا بعملها دي سينما جديدة الناس ممكن تفهمها بعد 100 سنة، واطمني مفيش حاجة راحت في الهواء، الفيلم ده هيكسر الدنيا وهيجيب إيرادات متعملتش قبل كده في السينما المصرية.

***

انقضت الأيام سريعة ومازال «عز» لم يستطع تنفيذ ما وعد به أباه وأخاه، ففي البداية حاول التعامل مع «زينب» بجدية وجفاء ولكنها صبرت عليه لأنها ترى أن من حقه التعامل معها كيف يشاء، وكانت ترى مجرد سماحه لها بالتواجد بجانبه بعد كل ما عرفه عن ماضيها هو كرم زائد منه كانت تتمناه ولكنها لم تكن تتوقعه، وقد قام «عز» بالفعل بكتابة قرار نقلها إلى إدارة الشحن عدة مرات وكان في كل مرة يجد المبرر لتأجيل القرار لحين انتهائها من بعض الأعمال الهامة التي لابد لها إنهائها قبل تنفيذ قرار النقل ولذلك لم يخبر أحدًا قط بهذا القرار، وكان يمزقه كل مرة وهو سعيد من داخله لرغبته الداخلية في استمرار وجودها بجانبه، إلى أن بدأت حرارة الحب والمشاعر في إذابة الجليد شيئا فشيئا بينهما، فبدآ يتبادلان نظرات الاشتياق والحنين وتتطورت إلى عبارات المدح والإشادة وكأنهما يبدأن علاقتهما من جديد، وكان كل ما يقض مضجعه هو سؤال أبيه وأخيه الدائم والملحّ وطلبهما منه أن يتحرك سريعًا في وعده لهما، لأنهما لن يسمحا له بالتمادي في علاقته بـ»زينب» أكثر من ذلك، وإن كان هو لا يهتم بمستقبله وحياته فليس لعائلته ذنب في تلويث سمعتها بدخول واحدة لها ماضي «زينب» فيها، إلى أن عاد ذات يوم فوجد أباه وأخاه جالسان ينتظرانه فأراد أن يتملص من الجلوس معهما بحجة تعبه وإرهاقه الشديد في العمل طوال اليوم، إلا أن أباه أصر على تواجده وأخبره بأنه قد اتفق مع شركة تعمل في المواد الغذائية على تعيين «زينب» كسكرتيرة لديهم، وعليها أن

تذهب من الغد لاستلام عملها هناك، وإن لم يخبرها هو بذلك سيقوم والده بالذهاب للشركة وإخبارها أمام العاملين بضرورة ترك العمل في شركتهم والانتقال إلى عملها الجديد.

أصيب «عز» بألم نفسي شديد نتيجة ضغط أبيه وكذلك ضغط عقله عليه وعلى قلبه، رغم أن حب «زينب» مازال ساكنًا في قلبه ويزداد يومًا بعد يوم إلا أن عقله أيضًا مازال يرفض ويقاوم نبضات قلبه، وصعد «عز» لغرفته وبدل ملابسه وهو في نفس التوتر والقلق والحيرة إلى أن ارتكن على الفراش فغلبه النوم ورأى فيما يرى النائم وكأنه خرج إلى البحر في سفينة ضخمة تسير بدون رُبان في بحر هائج مضطرب والرياح تعصف بجسده وتدفعه بعيدًا عن منتصف السفينة، فضاق صدره وانقطعت أنفاسه واشتد به الاضطراب والقلق ولكنه لم يصمد طويلًا فسقط في البحر وظل يصارع الأمواج في ظلمات بحر عميق وبمجرد أن استطاع رفع رأسه خارج الماء لالتقاط أنفاسه شاهد سمكة قرش مفترسة ضخمة على مقربة منه وأصبحت اختياراته محصورة في الطريقة التي يفضل الموت بها إما أن يترك جسده يغرق بهدوء أو يخرج رأسه فتفتك به السمكة المفترسة العملاقة، وعندما أوشك على الغرق وصل لأذنيه صوت يأتي من بعيد وكأنه يأتي من أعماق بئر سحيق صوت صرير احتكاك إطارات سيارة بالأرض مختلطًا بعدة أصوات زاعقة لاعنة ونظر حوله فلم يرى سوى مجموعة من الأضواء البراقة والتي تخفي له معالم الأشياء أكثر مما تظهرها، ولكنه انتفض عندما أحس بأن هناك شيئًا غامضًا يدفعه بقسوة فتحرك عدة خطوات للأمام ثم سقط مصطدمًا

بشيء صلب خشن كاد أن يحطم يده التي ارتكز عليها، وعندما أظلمت الدنيا حوله وضع يده على عينه ليتأكد من أنهما مفتوحتين ولكنه لم ير أو يسمع سوى دقات قلبه والتي كان صداها يرتفع عاليا كقرع الطبول حتى شعر وكأن قلبه يحاول الفرار من جسده لتحطيم أرضية الشارع الصلبة التي يرتكز عليها وكأنه يقول له: أنا الذي يرى، فليس بك حاجة لعينين، ولكن العجيب أنه لم يستطع أن يدله على نفسه فمن يكون ومن أين أتى وكيف وصل إلى هذا المكان، وعندما اشتد به الخوف بدأ عقله يعمل ببطء وكسل كمحرك السيارة الخرب القديم والذي يعمل ربما لآخر مرة وقال بحشرجة تخرج من جوف فارغ: لا تصدق قلبك فأنا من ملأته بكل ما يراه ويريد أن يريك إياه، فارتفعت صوت دقات قلبه معترضة حتى كاد أن يهشم ضلوعه وكأنه يقف متحديًا لعقله داخل حلبة ملاكمة كبيرة ولكن عقله أبى أن يترك جسده يهدأ فبدأ يبعث إشارات مضللة جعلت قلبه يضطرب بشدة ويكاد أن ينهار ويتوقف ورنت بداخله ضحكة عالية لم تظهر على شفتيه ولكنه أحس بها فقط داخل رأسه وأيقن أنه وحده هو من سيدفع ثمن هذا الصراع بينهما، فنهض واقفًا رغمًا عن الألم الذي يعتصر كل ذرة من كيانه وصرخ بكل ما تبقى لي من قوة علهما يتوقفان عما يفعلان ولكن على العكس تمامًا فقد اشتد الصراع بينهما وازداد ضراوة، فاستسلم للألم وألقى بنفسه على أرض الطريق وبدأت روحه تنسحب من جسده بهدوء وعندها فقط ظهر الخوف والذعر داخل نسيج قلبه وعقله وحاول باستماتة التمسك بقيود الأمل والحفاظ على روحه بداخل جسده ولكن رغبته العارمة في إنهاء الصراع هي من فتح الباب لروحه للخروج بسلام وعندما

شاهدا روحه تسبح في الأفق فوقهما انقبضا بخيبة أمل شديدة، وعندها أفاق «عز» من غفوته شهق بعنف وكأنه يسترد روحه التي خرجت فعلًا من جسده، وأيقن وقتها بأنه لا يستطيع تحمل الصراع بين قلبه وعقله ويجب عليه استرداد روحه، والتي وجد أنها معلقة بـ«زينب»، فقام بسرعة وارتدى ملابسه وذهب إلى الشركة، وعندما دخل وجد «زينب» جالسة على المكتب المجاور لمكتبه فتبادلا نظرات الشوق والحنين الجارف وقال لها بمنتهى الهدوء:

- أنا كنت عايزك في موضوع مهم يا آنسة «زينب»، تعالي ورايا على المكتب.

دخلت «زينب» بعد لحظات قليلة على «عز» فوجدته جالسًا على مكتبه باسترخاء وابتسامة عذبة تعلو شفتيه وهو ينظر إليها وقال لها مازحًا:

- أنا قولت أسألك أنت عايزة تتنقلي في أي إدارة، قبل ما أكتب قرار النقل.

تجمدت «زينب» للحظات وبهت وجهها وقالت بحدة:

- لأ، بدل ما حضرتك تكتب قرار نقل، اكتب لي قرار فصل وخلاص، أنا مش هقدر أبقى أنا وأنت في شركة واحدة وأبقى بعيدة عنك.

- ولا أنا والله يا «زينب»، أنا حاولت ومقدرتش.

ابتسمت «زينب» ابتسامة تحمل الكثير من السعادة المختلطة بالقلق والخوف والحيرة، ونظرت له بكل حب وقالت:

- أنا بقى يا حبيبي، محاولتش، ولا حتى كنت عايزة أفكر إني ممكن أبعد عنك.

- طيب اقعدي بقى يا سبب تعبي في الحياة، لأن في موضوع مهم فعلًا، أنا عايز أكلمك فيه.

ثم أكمل بجدية:

- إحنا مش ممكن نطلب من الناس إنهم يفهموا ويقدروا مشاعرنا، لأن مشاعرنا دي خاصة بينا إحنا بس وأنت عارفة طبعًا إن والدي و«عبد الرزاق» عرفوا كل حاجة، هم طبعًا لسه مش عايزين يقولوا لحد، لكن هييجي وقت وكل الناس هتعرف، وعشان كده أنا فكرت في إن إحنا عشان نفضل مع بعض لازم نتولد من جديد، ونعمل لنا حياة جيدة على الأقل في السنين الأولى من علاقتنا، ومينفعش نعمل كده طبعًا إلا في مكان تاني بعيد عن هنا، بلد تانية مفيهاش حد لا نعرفه ولا يعرفنا، أوروبا مثلًا، بس اعملي حسابك إننا هنبدأ من الصفر، يعني من غير شركات أو فلوس أو أي حاجة، يعني يدوب هنأجر شقة صغيرة على قدنا، وندور على أي شغل في أي حاجة، إيه رأيك!؟

امتلأت نفس «زينب» بالامتنان بعدما شعرت بمدى التضحية التي يبذلها «عز» للبقاء معها، فنهضت من جلسته واتجهت إلى «عز» وأمسكت يده وقبلتها بكل حب وقالت بحنان:

- أنت لسه بتسألني عن رأيي!؟ أنا يا حياتي حسمت أمري من ساعة ما قابلتك، أنا مش عايزة حاجة من الدنيا غير إني أبقى جنبك، في

مصر في أوروبا في أفريقيا، المهم نكون مع بعض، وبعدين أنا ولا عندي مال ولا أهل ولا حتى بيت في مصر مرتبطة بيه ومقدرش أبعد عنه، أنا قلقانة عليك أنت يا حبيبي، قلقانة إنك تندم، تتعب وتحس إني خليتك تهجر بيتك وأهلك، لكن حبي ليك مخليني مقدرش أقول حاجة غير إني عايز أبقى معاك حتى لو يوم واحد.

- وأنت فكراني مفكرتش في الحاجات دي كلها!؟ اللي إحنا هنعمله ده مش هيبقى طول العمر، هي فترة نبعد فيها عن الدنيا اللي تعرفنا ونعرفها، وبعد من نتجوز بكام سنة وحياتنا تستقر هنرجع وساعتها إن شاء الله هنلاقي حياة تانية غير اللي إحنا سبناها ورانا.

ثم قام باستدعاء أحد العاملين معه والمختص بالتعامل مع المصالح الحكومية وأمره بأن يتفرغ في الأيام القادمة للذهاب مع «زينب» لاستخراج بعض الأوراق الرسمية واستخراج جواز سفر لها.

***

مازالت الضغوط النفسية والسياسية تحيط بـ«سيد جلال» من جميع الاتجاهات، فقد أصيب بصدمة نفسية كبيرة نتيجة انكسار الجيش المصري في حرب فلسطين وانتهز خصومه السياسيون والتجاريون هذا الأمر ووجدوا أنها الفرصة المناسبة للطعن في ذمته وجدارته بمنصبه في مجلس النواب لأنه كان المورد الأساسي لكافة مستلزمات الجيش المصري، وبخاصة بعد انتشار أحاديث وربما وصلت إلى مرحلة التحقيقات الرسمية بأن أغلبية أسلحة الجيش كانت من مخلفات أسلحة الجيش الإنجليزي والتي كان

يستخدمها في الحرب العالمية الثانية، ولذلك فقد أصبحت غير صالحة للاستخدام أو تنفيذ أي مهام قتالية، ورغم أنه لا ناقة له ولا جمل في ذلك، لأنه لا يقوم بتوريد أسلحة إلى الجيش ولكن العاصفة التي طالت جميع الموردين، أصيب هو ببعض رياحها وأمطارها، ونتيجة لذلك تأثرت سمعته وحدث بعض الكساد لمعاملاته التجارية، واكتملت دائرة الألم والضغط عليه بموضوع «عز» و«زينب» فهو حتى الآن لم يستطع إقناع «عز» بالبعد عن «زينب»، وبينما كان يجلس في مكتبه يفكر في كيفية التعامل مع كل تلك الضغوط، دق جرس الهاتف، ووجد على الطرف الآخر المسؤول الذي يعمل مع «عز» في الشركة والذي أخبره بما يقوم به الآن من إنهاء أوراق واستخراج جواز سفر لـ«زينب» وطلب منه «عز» مراجعة شركات الطيران لحجز تذاكر طيران له ولـ«زينب» لأوروبا، وكانت تلك المعلومة هي ساعة الصفر المحددة لانفجار أسطوانة الغاز المشتعلة داخل جوف «سيد جلال»، فنهض مباشرة وبمنتهى الغضب وتوجه إلى الشركة لإيقاف «عز» عند حده ومنعه من تنفيذ ما يفكر فيه.

دخل «سيد جلال» إلى الشركة والشرر يتطاير من عينيه، لم يكلم أحدًا أو حتى يرد التحية لمن قاموا بإلقائها عليه، ونظر لـ«زينب» التي تجلس على المكتب المجاور لباب حجرة «عز» شذرا، ثم اقتحم الحجرة دون أن يقرع بابها، مما أجفل «عز» الذي نهض واقفًا ذعرًا واحترامًا لدخول والده والذي بادره قائلًا بغضب:

- إيه يا «عز» اللي أنت بتعمله ده!؟ ولم يترك له حتى فرصة للرد، وأكمل بسرعة قائلًا:

- أنت فاكر إنك لما تهاجر وتسيب أهلك وبلدك هو ده اللي ممكن ينضف سيرة الست اللي أنت عايز تتجوزها، يا ابني السيرة القذرة دي بتبقى زي الوشم عمرها ما بتطلع من جلد صاحبها ولا بعد ميت سنة.

عاود «عز» الدوار وضيق التنفس الذي كان يصاب بهم بين حين وآخر في الآونة الأخيرة ولكن الأزمة كانت أشد هذه المرة فأراد العودة للجلوس على مقعده حتى يستطيع التقاط أنفاسه ولكنه خشي غضب والده حتى لا يظن أنه لا يلقي بالًا لحديثه فتحامل على نفسه وقال بهدوء:

- طيب، اقعد بس يا حاج واهدأ وأنا هفهمك على كل حاجة.

اشتد غضب والده وارتفع صوته وقال بحسم:

- أنا مش ههدأ ولا أستريح إلا أما تخرج دلوقتي قدامي وتطرد الست اللي قاعدة بره دي من الشركة ومن حياتك وحياتنا.

زاد الدوار على «عز» ولم يستطع التقاط أنفاسه، حتى إنه لم يستطع العودة للجلوس في مقعده، فأظلمت الدنيا في وجه فجأة، وسقط على سطح مكتبه مغشيًا عليه.

أصيب «سيد جلال» بالهلع عندما رأى ابنه وهويسقط فصرخ بفزع:

- ععععععززززز.

وعندما استمعت «زينب» من الخارج لصوت الارتطام ومن ثم صرخة «سيد جلال»، لم تستطع التحكم في نفسها، واقتحمت

الحجرة، وعندما شاهدت «عز» ملقى على سطح مكتبه، سقطت هي الأخرى مغشيًا عليها.

(15)

السياسة فن الممكن، وجميع السياسيين الناجحين يتبعون المذهب الميكافيللي في الحياة، فالغاية عندهم دائمًا ما تبرر الوسيلة، أو على الأقل هذا هو ما تعلمه «شريف» وجماعته من السياسة، فقد استمع لحديث «ثريا» بأذن مفتوحة ووعي كامل، سمع منها تفاصيل كثيرة عن حياتها مع «أدامز» ووعى جيدًا أنها ترغب في استغلالهم ليس مساهمة منها في العمل الوطني كما كانت تدعي ولكنه فقط رغبة خفية في التخلص من استعباد وانتهاك «أدامز» لها ولحياتها، فقد كانت تتقبل الاستعباد وربما تستمتع به عندما كانت تقبض منه ثمن ذلك، عندما كانت تحتاج لمكان يأويها ولمصدر دخل تستطيع به الإنفاق على شهواتها وملذاتها وحياتها، ولكن الآن بعد أن أصبحت تملك ما تستطيع به الاستغناء عن كفالة «أدامز» لها، نفرت منه ومن قسوته وانتهاكه واستعباده، وأصبحت تريد التفرغ لملذاتها والتي غرقت فيها حتى أذنها، ولما كان لدى «شريف» وجماعته الكثير من الأعضاء المحبوسين احتياطيا تمهيدا لمحاكمتهم في قضايا تتعلق بمقاومة الاحتلال الإنجليزي، وآخرين معتقلين في معسكرات الجيش الإنجليزي، فقرروا مسايرة «ثريا» في رغبتها مع تعديل طفيف من جانبهم في الهدف من المهمة، لأنهم قرروا أن يختطفوا «أدامز» بدلا من أن يقوموا بقتله وذلك حتى يستطيعوا فيما بعد المساومة مع الإنجليز على حياته مقابل إطلاق سراح بعض المحبوسين والمعتقلين لديهم، ولذلك عقدا الكثير من الاجتماعات مع «ثريا» داخل العوامة وخارجها وقاما بدراسة الموقع جيدًا،

وكانت العقبة الوحيدة أمامهم هي كيفية خروجهم مع «أدامز» أو مع جثته من العوامة وهناك باستمرار حرس خاص ينتظر «أدامز» بالخارج داخل سيارة خاصة تأتي دائمًا بصحبته وتبقى لحين انصرافه معهم، ولذلك اتفقوا مع «ثريا» على ضرورة أن تعد لهم مخبئا داخل العوامة يكفي لعدد أربعة أشخاص، حتى يستطيعوا السيطرة على «أدامز» جيدًا إذا حاول مقاومتهم، وضرورة تواجدهم في هذا المخبأ قبل وصوله بعدة ساعات، وأخبرتهم «ثريا» بأن الموعد المناسب لهجومهم عليه هي أثناء ممارسته الجنس معها، وأنها ستبذل كل جهدها لإنهاك قواه وإثارة شغفه حتى يستغرق تمامًا ولا يستطيع الالتفات إلى أي شيء يحدث لحين الإطباق والسيطرة عليه بسهولة، وفي اللحظة الحاسمة سترفع صوتها صارخة وتقول «أدامز»، وستكون هذه هي كلمة السر المتفق عليها للحظة الهجوم، وفي الوقت التي حددته لهم «ثريا» أتى «شريف» و«عادل» ومعهم طبيب ولاعب رفع أثقال طويل قوي البنية، اختبأوا لحين وصول «أدامز» ودخوله معها إلى حجرتهم، وقام الطبيب بإعداد محقن طبي مملوء بسائل مخدر قوي، ولكنهم خدعوا «ثريا» وأخبروها بأن المحقن يحتوي على سم قاتل سيقضي عليه بهدوء دون أسلحة أو بقايا دماء يصعب التخلص منها.

وفي اللحظة الحاسمة دخلوا عليهما الحجرة وقام لاعب رفع الأثقال بوضع يده على فمه لكتم صوتها حتى لا يستطيع الصراخ وقام الطبيب بحقنه بالمخدر في ذراعه، ولم يتركوه إلا بعد أن سرى مفعول المخدر في جسده وخمدت حركته تمامًا، ثم قاموا بلفه عاريا

في غطاء الفراش وربطه جيدًا، ثم قاموا بحمله والاتجاه إلى النافذة المطلة على البحر بدلا من باب العوامة الخارجي، وكان هناك مركب خشبي صغير ينتظرهم أسفل النافذة، وقاموا بإلقاء جسد «أدامز» في المركب وقفزوا خلفه، إلا «شريف» الذي انتظر مع «ثريا» لتنفيذ الجزء الأخير من الخطة، فقام بإحداث بعض الكدمات والخدوش في ذراعي «ثريا» ورقبتها وضربها بقطعة خشبية على جانب رأسها، ثم قام بتقيدها في المقعد الموجود في صالة المدخل، وأخبرها بأن الحراس المرافقين لـ«أدامز» سوف يقومون بفك قيدها عندما يدخلون للسؤال عنه عندما يطول غيابه، ويجب عليها أن تخبرهم أن هناك من هجموا عليهما هي و«أدامز» وقاموا باختطافه والهروب به من نافذة العوامة، ثم قام باللحاق بـأصدقائه في المركب وقاموا بالإبحار بعيدًا عن العوامة دون أن يشعر بهم أحد.

***

«فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ» (الرعد 17)

الأمطار هي المصدر الوحيد للمياه العذبة على سطح الأرض، فالأنهار تتكون نتيجة تراكم مياه الأمطار وجريانها وانتقالها من مكان لآخر ومن بلد لآخر عبر سطح الكرة الأرضية، وتسقط الأمطار عادة على الهضاب والجبال ثم تنساب مع الجاذبية الأرضية إلى الوديان المنخفضة الموجودة بين المرتفعات، وعندما تصل المياه إلى الوديان ونتيجة اندفاعها واحتكاكها بسطح الأرض يتكون فوق سطحها شيء يشبه الرغوة أو ما يسمى بالزبد، الذي يحتوي

على كمية من الأملاح والكائنات الدقيقة وبعض الشوائب وعندما تنساب المياه داخل الوادي، يذهب هذا الزبد جفاء، أي يبتعد إلى جانبي الوادي ويضمحل ولا يتبقى له أدني أثر، أما المياه العذبة النقية فتروي المزروعات والحيوانات فتتكون منها الحقول والمزارع وينتفع بها كل أهل الأراضي المحيطة بهذه الأودية، فيجتمع في الزبد أخبث ما في الماء من أشياء تضر ولا تنفع.

فبعد أن أكتمل تصوير الفيلم وتم عرضه في دور العرض السينمائي، استمتعت «سمية» بضعة أيام بالزبد والذي يمثله مالها الذي جمعته بأساليبها القذرة، فكانت تتعامل مع الناس كبطلة، تذهب إلى العروض الخاصة للفيلم وتقوم بالتصوير أمام دور العرض بجوار إعلانات الدعاية الخاصة بالفيلم والتي تحمل صورها، ومع بعض الصحفيين والإذاعيين المهتمين بالسينما والذين كانوا يتوافدون أملًا في مشاهدة نوعية جديدة من الأفلام بمخرج جديد وبطلة جديدة ربما تكون إيذانًا بمولد سينما جديدة وجيل جديد من المبدعين، ولكن بعد عدة أيام انفض الناس من حول الفيلم وذهب الزبد جفاء، فأتت آراء جميع النقاد والمتابعين ساخطة ناقمة غير مستسيغة لهذه النوعية من الأفلام حتى وصل بالبعض إلى اعتبار أن هذه الأفلام يمكنها تخريب صناعة السينما وأصبحت دور العرض خالية تقريبًا من المشاهدين إلا من بعض نفر قليل يعدون على أصابع اليد الواحدة، فتم رفع الفيلم من معظم دور العرض السينمائي، وكانت «سمية» تتمسك بقيود الأمل فذهبت مع «رشدي» إلى الإسكندرية عندما أخبرها البعض أن هناك رواجًا للفيلم في بعض

دور العرض هناك، ولكن عندما وصلت وجدت أن حال دور العرض في الإسكندرية لا يختلف كثيرًا عن الحال في دور العرض بالقاهرة، فعادت «سمية» إلى القاهرة مع «رشدي» في سيارته وهي تندب وتولول وتخاطب نفسها بأسىً وحزن وهي تصفق يديها على فخذيها بحسرة قائلة:

- يا خراب بيتك يا «سمية»، شقى عمري كله ضاع، كل الإيرادات اللي جت من الفيلم متكفيش حتى الفلوس اللي أخذها الصحفيون عشان يكتبوا عن الفيلم.

كان «رشدي» يقود السيارة وهو ينظر لها بمنتهى الدهشة والبرود وقال بهدوء:

- يا ستي ولا يهمك، اللي راح راح، زي ما عملنا الفلوس دي نعمل غيرها.

استفزتها كلمات «رشدي» وبروده فقالت بغضب:

- وأنت عملت فلوس يا روح خالتك!؟ الفلوس اللي ضاعت دي أنا اللي عملتها، وعملتها بعد شقى وذل ومرمطة سنين طويلة، وأنت خدتها على الجاهز وضيعتها، أنا مش عارفة إزاي سمعت كلامك! وصدقتك! وأنا «سمية» اللي عمر ما حد ضحك علي في قرش أبيض.

- هو أنا ضحكت عليك يا مجنونة أنت! أنا قلت لك من الأول إن السينما بتاعتي الناس هتفهمها بس بعد ميت سنة مش دلوقتي.

- ميت إيه!؟ وأنت فاكرني هستنى عليك ولا مية ساعة تانية، أنت من بكره تنزل تبيع العربية اللي أنت راكبها وبتتمنظر بيها دي وتجيب لي تمنها، هي دي الحاجة الوحيدة اللي فضله لي دلوقتي.

نظر لها نظرة متعالية دهشة وقال بغضب:

- لأ، أنت اتجننت فعلًا، عربية إيه اللي عايزاني أبيعها، أنا خلاص مبقتش أقدر أستغنى عنها.

- لأ، هتستغنى عنها غصب عنك، هو أنت يعني طول عمرك كنت راكب عربية يا معفن!؟

نظر لها بازدراء وتعالٍ وقال:

- أنا غلطان فعلًا إني عرفت واحدة قذرة وجهلة ولِمامة زيك.

غلت الدماء في عروق «سمية» من أسلوبه المتعجرف، فخلعت حذاءها، وانهالت به على رأسه وهي تقول بِغلٍ:

- أنا بقى هوريك الجهل والقذارة اللي على أصولهم.

صرخ فيها «رشدي» برعب وفزع وهو يحاول حماية وجهه بيديه:

- إحنا على الطريق يا مجنونة، هتموتينا.

وعندما انتبهت «سمية» لما تفعل وتوقفت عن ضربه، وبمجرد أن أنزل يديه التي كان يحمي بها وجهه، شاهد سيارة نقل ثقيل تقترب منه في الاتجاه المقابل، فانحرف بحدة لتلافي اصطدامه بها، لكنه لم يستطع السيطرة على السيارة فاندفعت إلى الرمال المحيطة

بالطريق ثم انقلبت عدة مرات.

***

انتقلت «زينب» و«عز» على محفتين متجاورتين بسيارة إسعاف واحدة، وأفاقت «زينب» بعد دقائق قليلة من ركوبها السيارة، وكانت لاتزال في حالة تعب وإعياء ولكن عندما نظرت بجانبها وشاهدت المسعف وهو يحاول إفاقة «عز» دون جدوى، أصابها الاضطراب والجزع وبخاصة عندما أخبرها المسعف بأن تنفسه بطيء وهو لا يعرف بالتحديد ما الذي أصابه ويجعله في هذه الحالة، وهو يشك في أنه يعاني من مشاكل في القلب، فانقبض قلب «زينب» بشدة وكأن ما به انتقل إليها ولكنها حاولت التماسك والاعتدال للجلوس على المحفة ولكنها لم تستطع، فعادت للرقود بكمد وأطلقت العنان لدموعها لتعبر عما بداخلها من حزن، مدّت يديها من أسفل الغطاء وأمكست بيد «عز» بقوة وكأنها تستحثه أن ينهض لأجلها، فهي لن تستطيع الحياة بدونه.

وتم إدخال «عز» إلى غرفة العناية المركزة بمجرد وصولهم إلى المستشفى، فلم تستطع «زينب» الدخول معه، ولكن انتظرته بالخارج وهي تبكي، ووصل بعض العاملين في الشركة بصحبة «سيد جلال» والذي نظر لها بازدراء وغضب ولكنه تجاهلها بمجرد خروج الطبيب من حجرة العناية وسأله بلهفة عن حالة «عز» فانتحى به الطبيب جانبًا عندما علم أنه والده وقال له بأسىً:

- للأسف، الواضح إن الاستاذ «عز»، عنده مشاكل في القلب من

زمان.

كاد «سيد جلال» أن ينهار وشعر بالصدمة فقال بقلق وتوتر وحيرة:

- لكن، ده لسه شاب، مكملش تلاتين سنة.

- هي حالة نادرة، لكن ممكن يكون كان عنده عيوب خلقية مولود بيها ومبيظهرش أثارها إلا في سن معين وتحت ضغوط معينة.

واقتربت «زينب» منهما قليلًا لتسمع ما يقوله الطبيب ولتطمئن على «عز»، وعندما شاهدها «سيد جلال» تقترب، انفعل عليها بشدة وصرخ فيها قائلًا:

- أنت لسه موجودة هنا، إحنا من ساعة ما عرفناك مشفناش يوم كويس، يا ستي حلي عنا بقى وفارقينا.

شعرت «زينب» بالإحراج الشديدة أمام زملائها ولكنها التمست العذر لـ«سيد جلال»، ولأن كل ما كانت تهتم به الآن هو الاطمئنان على «عز» فقالت بخجل وهي تنظر للأرض:

- أنا عايزة أطمن على «عز» وهمشي على طول.

زاد انفعال «سيد جلال» وصرخ فيها بعنف قائلًا:

- وأنت تبقى له إيه!؟ عشان عايزة تتطمني عليه! مش كفاية إن أنت كنتي السبب في كل اللي حصل له.

شعر الطبيب بالإشفاق على «زينب»، ورغبة منه في تهدئة الموقف قال لـ«سيد» بهدوء:

- أنا قلت لجنابك إن المريض كان عنده مشاكل قديمة في القلب، ولسه هنعمل بعض الفحوصات والأشعة عشان نعرف سبب اللي حصل له وطريقة علاجه إن شاء الله.

كانت «زينب» تنظر لـ«سيد جلال» وهي تفكر في أنها حتى لو كانت لا تمثل لـ«عز» أو لأبيه أي شيء ولكن «عز» يمثل لها كل شيء، فهي ولدت من جديد يوم قابلته، وأصبح من وقتها كل أهلها وحياتها ومستقبلها.

فقالت له بحزن وأسى:

- أنا لو اتأكد إني لو بعدت عنه، ربنا هيشفيه، أنا مستعدة مورهوش وشي تاني.

رد «سيد جلال» بسرعة وكأنه وجد ضالته في كلماتها فقال:

- هو ده اللي إحنا عايزينه بالظبط، مش عايزين نشوف وشك ولا هنا ولا في الشركة مرة تانية.

لم تستطع «زينب» تحمل الإهانة أكثر من ذلك فجرجرت أذيال الخيبة وانصرفت، وكان كل ما يشغل بالها في هذه اللحظة هو الطريقة التي ستستطيع بها الاطمئنان على «عز»، فلقد تقطعت جميع الخيوط التي تربطها بـ«عز» وعائلته وشركته، ويبقى أقسى ما يمكن أن يواجه أي إنسان هو أن يبحث في لحظات الانكسار والحزن عمن يستطيع أن يلقي رأسه في صدره ويبكي فلا يجد، فكرت «زينب» كثيرًا ولكنها لم تجد من يمكنه مشاركتها تعاستها إلا «سمية»، فرغم تبلّد مشاعر «سمية» وقسوة قلبها إلا أنها الإنسانة

الوحيدة التي تستطيع «زينب» إلقاء همومها عليها، فتوجهت إلى حيث تسكن «سمية» مع «رشدي»، وأخذت تدق الباب ولم يجبها أحد وكأن الله قد كتب عليها أن تجترّ أحزانها وحيدة، ولم تنصرف إلا بعد أن خرج جيران «سمية» في المسكن المواجه وأخبروها بأن «سمية» و«رشدي» قد سافرا إلى الإسكندرية منذ الأمس ولم يعودا حتى الآن، ولأن المصائب لا تأتي فرادى، فبمجرد أن عادت «زينب» إلى مسكنها وقبل أن تصعد الدرج قابلها «محفوظ» وأخبرها بأن مستشفى الأميرة فوزية بالإسكندرية اتصلت بها عدة مرات على تليفون عم «عبده» البقال ويقولون بأن هناك مصابة في حادثة سيارة موجودة عندهم في المستشفى، وعندما بحثوا في حقيبة يدها لم يجدوا أي شيء يثبت شخصيتها، ولكنهم وجدوا ورقة وحيدة مكتوب بها اسم «زينب» ورقم التليفون، انزعجت «زينب» بشدة بعدما أيقنت بأن المصابة لابد وأن تكون «سمية»، فهي لا تعرف غيرها وتعرف كذلك أنها بالإسكندرية في هذا الوقت، فأبلغت «محفوظ» بذلك وقالت بأنها لابد وأن تسافر الآن إلى الإسكندرية، فرافقها «محفوظ» في سفرها لأنه لم يستطع تركها تسافر ليلا وحيدة إلى الإسكندرية، فذهبا إلى محطة باب الحديد والتي كانت شبه خالية تقريبًا إلا من بعض الباعة الجائلين الموزعين بأركان المحطة وكذلك بعض النفر القليل من المسافرين الذي كان أغلبهم يضع حقائبه أمامه ويستلقي باسترخاء على المقاعد الموجودة أمام أرصفة القطارات انتظارا لقدومها، وعندما ركبت «زينب» القطار دارت حياتها أمام عينها فتلك أول مرة تركب فيها القطار وعلى وجه الخصوص القطار المتجه إلى الإسكندرية، منذ أن تم اختطافها

واقتيادها عنوة إلى القاهرة، فظلت صامتة فترات طويلة تنظر بألم وحسرة للقطار ومن فيه، حتى خشي عليها «محفوظ» من التوتر والقلق فقال بحنان:

- يا بنتي ما تقلقيش إن شاء الله هنلاقيها كويسة وبخير.

نظرت له نظرة ذاهلة تائهة ولم ترد، فقد كانت مستغرقة في أفكارها ولا تريد العودة منها إلى أرض الواقع، ولكن إصرار «محفوظ» للتحدث معها جعلها تتحدث على مضض وقالت:

- أنا مش عارفة الدنيا بتعمل معايا كده ليه يا عم «محفوظ»!؟

- يا «زينب» قولي الحمد لله، إحنا أحسن من غيرنا كتير.

- الحمد لله، وأنا أقدر أقول غير كده، أكيد ربنا عايز يغفر لي ذنوبي عشان كده بيعقبني في الدنيا.

ثم نظرت إلى أعلى وأكملت تكلم ربها:

- يارب اغفر لي وارحمني وهوّن علي، ثم تساقطت دموعها.

فأراد «محفوظ» التخفيف عنها فأشار إلى بائع الكعك الذي يحمل صندوقه فوق كتفه ويسير به بين مقاعد القطار لعرض بضاعته واشترى منه كعكتين كبيرتين أخذ قضمة من إحداهما وأعطى الثانية لـ«زينب» وطلب منها أن تأكل ثم سألها عن «عز»، وعندما أخبرته بما حدث له وما فعله «سيد جلال» معها، انزعج بشدة وتمنى لـ«عز» الشفاء، وقال إن ما فعله «سيد جلال» كان متوقعًا ولا يجعلها تحزن، طالما أن «عز» مازال متمسكًا بها.

وعندما وصلا إلى مستشفى الأميرة فوزية بالحضرة، دخلت «زينب» مسرعة وسألت عن المصابين في الحادثة، وأبلغوها أنهم موجودون بالدور الثاني فصعدت السلم قفزًا يتبعها «محفوظ» بعناء شديد، وبمجرد أن خطت خطوتين بالدور الثاني شاهدت «سمية» ملقاة على محفة يسحبها الممرضين والطبيب إلى غرفة العمليات، فاقتربت منها وأمسكت بيدها وهي تنظر لوجهها المليء بالجروح والكدمات وقالت بحنان:

- متقلقيش يا «سمية»، إن شاء الله هتقومي بالسلامة.

أخذت «سمية» أنفاسها بصعوبة وردت بمشقة قائلة:

- أنا تعبانة أوي يا «زينب»، وحاسة إن كل جسمي اتكسر، ابقى ادعي لي يا «زينب» إن ربنا يغفر لي، عشان حاسة إني مش هخرج من أوضة العمليات على رجلي.

حاولت «زينب» أن تمنع دموعها حتى لا تقلق «سمية» فقالت:

- ما تقوليش كده يا «سمية»، إن شاء الله هترجعي أحسن من الأول.

وعندما وصلت المحفة لحجرة العمليات منعوا «زينب» من الدخول وانتحى بها الطبيب جانبًا وسألها عن علاقتها بـ«سمية» فأخبرته بتلقائية بأنها أختها، فقال الطبيب بأسىً:

- الهانم مصابة بجروح عميقة في وشها ورأسها، لكن الإصابة الأكبر إنها عندها كسر في الحوض، وإحنا هنحاول نعالجها، ونعمل لها

عملية لإعادة تثبيت الحوض في مكانه.

ونظر «محفوظ» حوله ثم قال بدهشة:

- هي كانت لوحدها في الحادثة ولا إيه!؟ أنا مش شايف حد من المصابين يعني!!

قال الطبيب بحزن مصطنع:

- هي فعلًا المصابة الوحيدة في الحادث، لأن الشخص اللي كان معاها في العربية، للأسف توفي من شوية، قبل ما يدخل غرفة العمليات، البقية في حياتكم.

وعندما لم ير الطبيب أي رد فعل منهما على وفاة هذا الشخص، اعتقد بأنهم لا يعرفون من كان معها فتوجه بحديثه لـ«زينب» وقال:

- المهم دلوقتي، إن حد يدفع جزء تحت حساب العلاج والعمليات في خزنة المستشفى.

وعندما سأله «محفوظ» عن التكلفة التقريبية للعلاج، أخبره الطبيب بأنها لن تقل عن ستمائة جنيه، فأسقط في يد «محفوظ» و«زينب»، فأين لهما بهذا المبلغ الكبير.

ولكن «زينب» أخبرت «محفوظ» بأن يتركها ويسافر هو إلى القاهرة لأنها ستبيت مع «سمية» هذه الليلة في المستشفى، وفي الغد ستتصرف في موضوع تكاليف العلاج.

(16)

عندما يقترب الإنسان من خطأ ما للمرة الأولى فإن الله يضع أمامه العديد من العراقيل والعقبات حتى لا يقع في هذا الخطأ، وعندما يصر الإنسان ويحاول تجاوز كل تلك العراقيل والعقبات بكل ما أوتي من قوة، يتركه الله ليقع في الخطأ، ليندم ويستغفر، وعندما يعود الإنسان لنفس الخطأ مرة أخرى تكون العقبات والعراقيل أقل وأسهل، وفي المرة الثالثة تزال تلك العقبات والعراقيل تمامًا، وعندما يعتاد الإنسان على الخطأ يُسهل الله له الطريق إلى الخطأ بل ويقربه منه، طالما هو يحب الوقوع فيه، إلى أن تأتي اللحظة التي يصفعه فيها الله صفعة مدوية تزلزل كيانه ليبعد عن هذا الخطأ تمامًا ولا يعود له مرة أخرى، وإذا لم يفق وعاد للخطأ مرة أخرى تتجدد الدائرة، ولو تجاوز الإنسان كل تلك المراحل وأصر بل وأصبح مدمنًا للخطأ والخطيئة، فيمهله الله لعله يعود، وإن لم يعد بعد ذلك يمد له الله في الأسباب ليتمادى أكثر ويتوغل في خطيئته بل ويزيد له في صحته وقوته وماله حتى يظن أن لن يقدر الله عليه، ثم يؤخذ أخذ عزيز مقتدر ليعود إلى الله راغمًا مجبرًا ولكن للأسف تكون هذه العودة في الآخرة وليس في الحياة الدنيا، ولقد تمادت «ثريا» في غيِّها، فبعد أن منحها الله المال والأمان والسكن، تآمرت للتخلص من أصدقاء وأحباء الأمس، فأودت بـ«عزت» إلى السجن، وحرضت وساعدت على قتل «أدامز» كما كانت تعتقد، وبعد أن ظنت أنها قد تخلصت من الجميع، انطلقت للانغماس أكثر وأكثر في شهواتها وجنونها وشبقها الدائم الذي لا ينتهي، وعادت في تلك الليلة إلى العوامة وهي تترنح

من السُكر، مستندة على كتف أحد الشباب والذي التقطته من الملهى لتقضي ليلتها معه، عندما دخلت إلى العوامة لمحت في الظلام خيال شخص يتحرك بالداخل، فانتبهت قليلًا واعتدلت واقفة وظنته لصًا، إلى أن أضيئت الأنوار فجأة فرأت «أدامز» واقفا أمامها، وعندما رأى الشاب المصاحب لها «أدامز» أصيب بالهلع والخوف وتركها تسقط أرضًا وفر هو هاربًا، وأصيبت «ثريا» بالهلع والخوف أيضًا وأخذت تمسح عينيها بهستيريا وهي تنظر لـ«أدامز»، وعندما تأكدت من وجوده، ظنته شبحًا حضر للانتقام منها، فأخذت تصرخ بجنون وحاولت النهوض من جلستها على الأرض ولكن قدمها لم تستطع حملها، وكان الشرر يتطاير من عينيي «أدامز» وهو ينظر إليها بحقد ومقت شديد وقال بغضب:

- أنت كنتي فكراني ميت دلوقتي طبعًا يا «ثريا» !؟ بعد ما بعتيني للإرهابين المخربين أصحابك، دارت الدنيا بـ«ثريا» وشعرت بالتشوش والارتباك فهل هو شبح بالفعل، أم رجل استطاع مقاومة الموت وقهره ليعود للانتقام منها وعندما رأت نظرات الكراهية التي تنطلق من عينيه، فنطقت بأول ما ورد على ذهنها وبكل ما تستطيع تصنعه من رجاء واستنكار:

- أنا يا أخويا أقدر أعمل معاك كده! ده أنا مليش غيرك في الدنيا وكنت مستعدة أفديك بروحي، وبعدين أنا ولية عبيطة وغلبانة ومبفهمش في أي حاجة، اللي قال لك كده أكيد كان بيكدب عليك.

قضى «أدامز» شهرين في الأسر قاسى فيهما الأمرّين من إذلال وإهانة له ولبني جنسه جميعًا، وعرف خلالهما من خاطفيه خطة

اختطافه كاملة ومن الذي خطط وحرض وشارك فيها، وحتى عندما استطاعت السلطات الإنجليزية فكّ أسره راغمة مجبرة مقابل الإفراج عن عدد كبير من المصريين المعتقلين في السجون المصرية ومعسكرات الجيش الإنجليزي، نال المزيد من السخرية والإهانة من قادته في مصر وإنجلترا، حتى إنهم طالبوه بالاستقالة والعودة مباشرة إلى وطنه، مما دعا «أدامز» للرد بسخرية على «ثريا» قائلًا:

- واضح إنك فعلًا ملكيش غيري، عشان كده كل يوم كنت بتروحي تشربي وتسكري وتجيب الرعاع أصحابك تنامي معاهم في بيتي! أنت متعرفيش أنت عملتي فيا إيه!؟ أنت ضيعتيني وضيعتي اسمي وسمعتي في الجيش وفي البلد كلها، ثم أخرج «أدامز» مسدسه من الجراب المعلق على كتفه وقبل أن يتفوه بأية كلمة، زحفت «ثريا» وتعلقت بقدمه بفزع وقالت بتوسل واستعطاف:

- سامحني وارحمني يا «أدامز»، وأنا هفضل عايشة خدامة تحت رجليك طول العمر.

ركلها «أدامز» بقدمه في صدرها فسقطت على ظهرها وقال وهو يوجه مسدسه إلى صدرها:

- أنا سعيد إن آخر حاجة هعملها في مصر إني آخد حقي منك، وابعتك للجحيم اللي تستهليه، وسمعا صوت خشخشة أقدام تسير على الممشى الخشبي الخارجي للعوامة، فشعرت «ثريا» بأن مازال في العمر بقية وأن هناك من سيأتي لإنقاذها، أما «أدامز» فكان الاطمئنان يسيطر عليه وكأنه كان على موعد مع القادم، وبالفعل

عندما دخل «عزت» إلى العوامة، انفرجت أسارير «ثريا» ولكن عندما رأته ينظر لـ«أدامز» بهدوء وثقة، خاب ظنها ولكنها حاولت معه قائلة:

- الحقني يا «عزت»، قول للكولونيل إني مليش دعوة بكل اللي حصله.

ابتسم «عزت» بخبث وقال بسخرية:

- وطبعًا ملكيش دعوة بكل اللي حصلي أنا كمان!؟

كان «عزت» قد خرج من السجن منذ عدة أيام والتقى بـ«أدامز» الذي أخبره بأن «ثريا» هي من قامت بالوشاية به لكي تستحوذ على نصيبه في الشركة، واتفق معه على الانتقام منها، ووعد «أدامز» بمنحه مبلغًا كبيرًا من المال يستطيع أن يبدأ به حياته إذا خلصه منها، ولكنه أتى فقط لكي يرى الفزع والرعب في عينيها في لحظاتها الأخيرة لكي يشمت ويتشفى فيها قبل موتها.

ثم وجه «عزت» حديثه لـ«أدامز» قائلًا:

- بلاش توسخ إيدك بدمها أنت يا كولونيل، أنا محضر لها موته هتعجبك أوي.

ثم حملا «ثريا» معًا من على الأرض وهي تصرخ وتولول وتحاول التخلص من قبضتيهما دون جدوى، إلى أن استطاعا ووضعها على المقعد الخشبي الموجود بجوار باب الدخول وقاما بتقيدها بإحكام وقال «عزت» لـ«أدامز»:

- اتكل على الله أنت يا كولونيل، استناني بره، وأنا هخلص معاها

وهحصلك.

ثم ذهب «عزت» إلى مطبخ العوامة وأحضر وعاء الكيروسين الذي يُستخدم في مَلء لمبات وموقد الكيروسين، وقام بسكبه على ملابس «ثريا» وحول المقعد المقيدة فيه، والتي صرخت بكل ما أوتيت من قوة، أخذت تستعطف «عزت» وتسترحمه وتستحلفه بالقرابة والأيام الجميلة التي قضياها معاً، ولكن نظرات الاستهزاء والسخرية التي كان ينظر بها «عزت» إليها جعلها تفكر بسرعة في الطريقة الوحيدة التي يفهمها «عزت»، فقالت بلهفة:

- الفلوس يا «عزت»، أنا معايا فلوس كتير، خدها كلها، مش عايزاها، لكن ارحمني وسبني أعيش، مسّت هذه الكلمة شغاف قلب «عزت» فهي اللغة الوحيدة التي يفهمها ويقدرها ويحبها، فتوقف عما يفعله ونظر إلى «ثريا» بشك وقال:

- والفلوس دي موجودة هنا ولا فين!؟

شعرت «ثريا» بقرب النجاة وكانت كالغريق الذي يتعلق بقشة، فقالت بلهفة:

- أيوة موجودة هنا، تحت أرضية أوضة النوم الخشب اللي تحت السرير.

دخل «عزت» إلى غرفة النوم وخلع الأرضية الخشبية الموجودة أسفل الفراش فوجد مبلغًا كبيرًا من المال، فوضعه داخل حقيبة يد كبيرة ووضعها على كتفه، ثم خرج إلى «ثريا» وقال:

- أنا كده، خدت نص حقي منك، ناقص حق السجن والبهدلة، وده ممكن أفكر أسامح فيه، لكن...

انطفأت الفرحة التي ظهرت على وجه «ثريا» فجأة بعدما سمعت كلمة ولكن وقالت بخوف وقلق:

- ولكن إيه بس يا «عزت»، ما أنت خدت كل اللي حيلتي.

وجه «عزت» نظره بعيدًا عنها وقال محذرًا:

- على العموم، أنا هسيبك دلوقتي، لكن لو شفت منك أي حركة ندالة بعد كده، هرجع لك تاني.

وعندما مر «عزت» بجانبها في طريقه نحو باب الخروج قالت «ثريا» بقلق:

- طيب، مش هتفكني قبل ما تمشي!؟

لم يرد «عزت» عليها ولكن نظر لها باستهزاء وسخرية، وكان كل ما يفكر فيه الآن هو المبلغ الذي وعده به «أدامز» عندما يتخلص منها، وبمجرد وصوله إلى باب العوامة الخارجي، أشعل عود الثقاب، وألقاه على الكيروسين الموجود على الأرض فاشتعلت النيران فيه وامتدت حتى وصلت إلى المقعد الذي تجلس عليه «ثريا»، ثم أغلق الباب خلفه ببرود، وكان آخر ما سمعه هو صرخة «ثريا» وقولها وسط صراخها:

- أه يا ندل يا ابن الكلب.

ووقف «عزت» مع «أدامز» في الناحية الأخرى من الشارع في

مواجهة العوامة والتي ساعدت سرعة الرياح وكون الهيكل الأساسي للعوامة مصنوع من الخشب في سرعة اشتعال النيران فيها، حتى تحولت لكتلة من اللهب في أقل من خمس دقائق.

***

جلست «زينب» على الأريكة بجوار فراش «سمية»، التي خرجت من غرفة العمليات من دقائق معدودة وكانت لا تزال تحت تأثير المخدر، وأخذت تنظر إليها بقلق وتوتر ورهبة من الضمادات البيضاء التي كانت تحيط بوجهها، ومادة الجبس الصلبة التي كانت تغطي نصفها السفلي بالكامل، إلى أن جاء الطبيب وطمأنها على أن حالتها الآن مستقرة، ويمكن أن تخرج من المستشفى بعد سبعة أيام على أقصى تقدير، ولكنها ستخرج على كرسي متحرك وسيلازمها ما تبقى لها من العمر، حتى بعد إزالة مادة الجبس عن نصفها السفلي، وأول ما جال بخاطر «زينب» وهي تنظر لـ«سمية» التي أصبحت عاجزة مشوهة الوجه، أنها ظلت تجري وراء جمع الأموال الحرام، حتى وصلت إلى أنها لن تستطيع الجري أو حتى الوقوف على قدميها مرة أخرى، فلن تستطيع جمْع شيء بعد الآن سواء حلالًا كان أو حرامًا، ولكن ما كان يقضّ مضجعها الآن هو كيفية حصولها على تكاليف علاج «سمية»، فيجب أن تسدد غدًا أو بعد غد على أكثر تقدير دفعة تحت حساب المستشفى، وهي لا تمتلك أي شيء من حطام الدنيا، فـ«سمية» ليس لديها أقارب يمكنها أن تطلب منهم أو حتى تقترض منهم أية أموال، وحتى «رشدي» صديقها الوحيد توفي من جراء الحادث، وهي لا تعرف غير «سمية» وعم «محفوظ» وهي لا تعتقد

أنه يمتلك هذه المبالغ، وحتى إن كان يمتلكها، فهي لا تستطيع أن تطلب منه تسديد تكاليف علاج «سمية»، وهي حتى لا تعرف كيف يمكنها رد تلك المبالغ له، وتذكرت «عز» فانفطر قلبها عليه، وقالت في نفسها: «يا للوعة قلبي عليك يا حبيبي وعلى فراقك وأنت تحتاجني بجوارك» فقد كان هو الشخص الوحيد الذي يستطيع حل هذه المشكلة لها الآن، وعندما بدأت «سمية» في تحريك رأسها نهضت «زينب» من جلستها مسرعة واقتربت منها وأمسكت يدها وقالت بسعادة:

- حمد الله على السلامة يا حبيبتي.

فتحت «سمية» عينها بصعوبة ونظرت إليها نظرة غائمة وقالت بضعف وشك:

- أنت «زينب» صح؟

اطمأنت «زينب» على وعي «سمية» ووضعت يدها الأخرى على رأسها بحنان وقالت:

- أيوة يا حبيبتي «زينب»، أنت كنتي فاكرة إني ممكن أسيبك لوحدك!؟

حاولت «سمية» الاعتدال على جانبها ولكن قدميها المعلقتين أعاقتها فالتفتت برأسها إلى «زينب» وقالت:

- أنا مكنتش شايفكي كويس في الأول، لكن عارفة إن مفيش حد غيرك هيقف جنبي، حتى المنيل اللي اسمه «رشدي».

وعندما تذكرت «رشدي» توقفت فجأة ثم أكملت بلهفة:

- صحيح، هو «رشدي» حصل له إيه!؟ ده كان معايا في العربية، ولا تلاقيه نفد منها ابن الجنية!؟

ارتبكت «زينب» قليلًا، فلم تكن تعرف ما هو التصرف الصحيح في حالة «سمية»، فلو كانت تحب «رشدي» فسوف يؤثر عليها خبر وفاته تأثيرًا نفسيًا كبيرًا مما قد يؤدي لتدهور حالتها الجسدية، فآثرت التهرب من الإجابة فقالت:

- مش عارفة يا «سمية»، أما ييجي الدكتور نسأله.

وأخبرت «سمية» «زينب» عن ما فعله معها «رشدي» وعن الفيلم الفاشل الذي أضاع فيه أموالها وأصبحت الآن لا تملك من حطام الدنيا شيئًا، ثم تحسست الضمادات التي تغطي وجهها ورأسها ونظرت بحسرة إلى قدميها المعلقتين وفاضت عينيها بالدموع وقالت بألم وحسرة:

- شايفة اللي جرى لي يا «زينب»، أنا كده حياتي كلها ضاعت، ولا هقدر أكمل في السينما ولا حتى أقدر أرجع للشغل بتاع «كلوت بك».

ربّتت «زينب» على رأس «سمية» بحنان وقالت:

- إن شاء الله ربنا هيشفيكي، وتقومي بخير، بس أوعي ترجعي لشغل «كلوت بك» تاني.

وكانت كلمة السينما التي قالتها «سمية» هي الشيء الوحيد الذي لم تلتفت إليه «زينب» من قبل، فتذكرت على الفور المخرج الذي

قال لها بأنها ستكون بطلة فيلمه القادم، ورأت أن هذه هي فرصتها الوحيدة للحصول على الأموال اللازمة لتسديد تكلفة علاج «سمية»، فاستأذنت من «سمية» في صباح اليوم التالي وأخبرتها بأنها ستسافر إلى القاهرة وستعود لها في المساء.

بمجرد وصولها إلى القاهرة اتجهت مباشرة إلى استوديو الأهرام وسألت عن المخرج «حسن شاهين» وعندما علمت بأنه يقوم بتصوير أحد الأفلام في الاستوديو، دخلت إليه مباشرة وهي متوجسة ألا يتذكرها أو لا يتذكر الكلمات التي قالها لها من قبل، ولكن لم يكن أمامها خيار آخر، ولحسن الحظ تذكرها «حسن شاهين» جيدًا وعاتبها على أنها لم تأت إليه من قبل، لأنه كان قد جهز لها سيناريو فيلم خاص بها وكان يتمنى أن تقوم ببطولاته ولكن تأخرها عليه جعله يأتي ببطلة أخرى، وعندما قصت عليه ما حدث لـ«سمية»، وأنها تحتاج للعمل معه الآن في أي فيلم للحصول على الأموال اللازمة لعلاجها، أخبرها بأن لديه دورًا ثانيًا في فيلم كبير وسيتم تصويره في الإسكندرية، وهو ما توافق مع رغبات «زينب» تمامًا لتكون بجوار «سمية»، وعندما سألته عن الأجر، أخبرها بأنه نظرًا لظروفها فإنه يستطيع أن يقنع الشركة المنتجة أن تمنحها خمسمائة جنيه، ولكنها قالت بحسم أقرب للرجاء:

- لأ، أنا عايزة ستميت جنيه، وعايزه منهم متين جنيه النهارده، وأنا مستعدة أمضي على العقد دلوقتي.

هز «حسن» رأسه بشك ولكنه قال:

- عشان ظروف «سمية»، أنا هحاول مع المنتج.

ثم أخبرها أن تنتظره حتى ينتهي من تصوير بعض المشاهد ثم يذهب معها إلى شركة الإنتاج، وبذل «حسن» مجهودًا كبيرًا حتى أقنع شركة الإنتاج بأن تمنح «زينب» المبلغ الذي تحتاج إليه، وأعطى لها السيناريو ووضح لها دورها فيه، وأخبرها بأن تستعد للتصوير خلال يومين.

أخذت «زينب» منه السيناريو ومقدم التعاقد التي طلبته وشكرته بحرارة على وقوفه معها، وأعطت له اسم المستشفى ورقم هاتفها وأخبرته بأن يتصل بها عند وصوله للإسكندرية، ليخبرها بمكان وموعد التصوير.

(17)

مرت الأيام سريعًا على «عز» وهو ما زال يعاني من مضاعفات الإصابة بالذبحة الصدرية وبخاصة بعد أن أثبتت الإشاعات أنه كان يعاني من تضخم في عضلة القلب منذ فترة طويلة، ومكث طوال هذه الفترة يتنقل بين غرف العناية المركزة في عدد من المستشفيات المتخصصة في العناية بمرضى القلب، وكان دائمًا ما يسأل عن «زينب» في اللحظات القليلة التي كان يسترد فيها وعيه ويستطيع التحدث لأخيه «عبد الرزاق»، وعندما بدأت حالته في الاستقرار بعض الشيء ورأى الأطباء بأنه يستطيع العودة لمنزله مع توافر العناية الطبية الخاصة، استبشر ذووه خيرًا، وكان كل ما يخشاه والده هو أن يظل قلب ولده معلقًا بـ»زينب»، والتي لا يستسيغ حتى الآن علاقته بها، فعلى الرغم من نصيحة الأطباء لهم بأن يحاولوا إرضاءه وعدم تعريضه لأي ضغوط وبخاصة العاطفية منها، إلا أن «سيد جلال» كان على استعداد أن يفعل أي شيء يجعله هادئًا وراضيًا إلا موافقته على علاقته بـ «زينب».

استرخى «عز» على فراشه بعد أن تناول دواءه المسائي وانصراف الممرضة التي كلفها الأطباء بالعناية به في المنزل وكان أخوه «عبد الرزاق» يجلس بجانبه ليطمئن عليه بعد أن عاد من عمله فسأله «عز» عن أخبار العمل وعن الفترة التي يستطيع بعدها العودة لشركته، فطمأنه «عبد الرزاق» على العمل وأكمل قائلًا:

- أهم حاجة تأخد بالك من نفسك وتسمع كلام الدكاترة وإن شاء

الله هترجع شغلك قريب.

صمت «عز» قليلًا وتنهد وكأنه كان يهيئ نفسه لسماع إجابة لن ترضيه على سؤاله التالي، فقال:

- هي «زينب» لسه معرفتش إني خرجت من المستشفى!؟

بحث «عبد الرزاق» في رأسه عن إجابة وعندما وجد أنه لا يستطع أن يخبر «عز» بحقيقة ما حدث، قال بتردد:

- معرفش يا «عز»، لكن أكيد لسه معرفتش.

تقمص «عز» دور المحقق وقال بدهشة:

- معرفتش إزاي يا «عبد الرزاق»!؟ ده كل اللي في الشركة بعتوا لي ورد بمناسبة خروجي من المستشفى، ده غير اللي اتصلوا بيا في التليفون!

كان كلام الأطباء يدور في ذهن «عبد الرزاق» منبهًا ومحذرًا من قول ما قد يتسبب في التأثير سلبيًا على نفسية أخيه، ولكن في الوقت نفسه وجد أن عدم الإجابة قد يحمل ما هو أسوأ من ذلك، فيمكن أن تذهب به الأفكار بعيدًا فقال بهدوء:

- ما «زينب» مش في الشركة يا «عز»، هي بصراحة سابت الشركة من زمان.

التقط «عز» أنفاسه بصعوبة وقال بأسىً:

- هي اللي سابت الشركة ولا والدك اللي طردها؟

لم يجد «عبد الرزاق» ما يقوله ولكنه شعر بالتعاطف مع أخيه فقال:

- خليكي أنت بس يا «عز» في صحتك دلوقتي، واللي أنت عايزه أنا هعملهولك، ولو عايز «زينب» تيجي لحد عندك هنا، أنا هخلي والدك نفسه هو اللي يجبها لك.

ترك «عبد الرزاق» أخاه وهبط إلى الدور الأرضي وهو عازم على أن يُحدث والده في علاقة «عز» بـ«زينب» ويحاول إقناعه بأن مصلحة «عز» في وجود «زينب» بجانبه على الأقل حتى يجتاز هذه المحنة المرضية، فوجد والده يجلس وحيدًا ويبدو الحزن واضحًا في ملامحه فاقترب منه ووضع يده على كتفه، فنظر إليه والده والذي كانت أثار الدموع ماتزال موجودة في عينيه، فتألم «عبد الرزاق» من أجله كثيرًا، فعندما ترى هذه الشخصية القوية الجريئة والتي يخشاها الجميع في لحظات ضعفها وهي تبكي، فلا تملك إلا أن تحاول أن تمد لها يد العون وتحاول انتشالها على قدر الإمكان من دوامة الحزن، لتراها كما تعودت عليها دائمًا قوية مهابة، فجلس بجانبه وهو لا يدري هل يواسيه أم يتكلم معه في ما أتى من أجله فقال:

- صل على النبي كده يا حاج، إن شاء الله «عز» هيبقى كويس وزي الفل.

نظر إليه والده بشك، فهو يعلم جيدًا بأن مرض القلب مرض لا يُرجى شفاؤه، وكل ما يستطيعون فعله هو الحفاظ على حياة

المريض لأطول فترة ممكنة وتأخير نهايته المحتومة، فقال بأسىً:

- إن شاء الله، أنا لو خيروني بين كل اللي عندي وبين ضافر واحد فيكم، كنت اخترتكم أنتوا.

- وعشان كده يا حاج أنا جاي أتكلم معاك، أنا عارف إن موضوع «زينب» ده موضوع منتهي بالنسبة لك وبالنسبة لينا كلنا، لكن زي ما الدكاترة قالوا لنا إن حالة «عز» النفسية أهم حاجة في علاجه، وأنا شايف أن طول ما «زينب» بعيد عنه، عُمر ما حالته النفسية هتتحسن، وبعدين هو مش هيتجوزها يعني، إحنا نتفق معاها إنها تيجي تبقى جنبه لحد ما يشد حاله، وبعدين نشوف هي عايزه إيه ولا عايزة كام وندهولها.

شرد «سيد جلال» يفكر وتنهد بآلام وقال بخضوع:

- لكن تفتكر بعد كل اللي عملته فيها، ممكن توافق إنها تيجي وتسمع كلامنا وتنفذ كل اللي نقول لها عليه!؟

ابتسم «عبد الرزاق» بسعادة عندما شعر بأن قلب والده بدأ يلين وقال:

- من اللي كان «عز» بيحكيه عنها، وأما قابلتها مرتين تلاتة في الشركة، كان شكلها هي كمان بتحب «عز» ، فلو كانت فعلًا بتحبه مش هتتأخر عن إنها تعمل أي حاجة عشانه.

***

عادت «زينب» إلى المنزل وقلبها يرقص من الفرح والسعادة

والبشر يتلألأن بوضوح في عينيها واقتربت من «سمية» التي تجلس على كرسيها المتحرك وقبلتها بحنان، فنظرت لها الأخيرة بدهشة، لأنها عادت بوجه مغاير تمامًا للوجه التي تركتها به في الصباح فقالت وهي تنظر لها بتعجب:

- إن شاء الله دايمًا، مالك يا «زينب»، أنت جالك فيلم جديد ولا إيه!؟

نظرت لها «زينب» باستنكار وقالت:

- فيلم إيه!؟ وأنا من امتى الحاجات دي بتفرحني كده!؟ أنا جالي تلغراف من مصر.

- وفي إيه بقى التلغراف ده عشان يفرحك كده!؟

تنهدت «زينب» وقالت بوله وحب:

- «عز» يا «سمية»، الحمد لله خرج من المستشفى من أسبوع، كان بقى له تلات شهور يا حبيبي بيتنقل بين المستشفيات والدكاترة.

- ومين اللي بعت لك التلغراف ده!؟

- فاكرة صاحبتي اللي كنت قولت لك عليها، اللي كانت بتشتغل معانا في الشركة، أما رحت مصر آخر مرة، إديتها عنوان مكتب التلغراف اللي في إسكندرية وقلت لها، ابقى ابعت لي لو حصل أي حاجة مهمة في موضوع «عز».

وكانت «زينب» قد أدت دورها في الفيلم ونالت إشادة كبيرة من الصحفيين والنقاد والجمهور، حتى إن شركة الإنتاج قد قامت

بمنحها مائة جنيه زائدة عن المبلغ المتفق عليه في العقد، فقامت بدفع تكاليف علاج «سمية» وتبقى معها مائة جنيه، فاستأجرت شقة صغيرة في العصافرة بالإسكندرية أمام المعهد الديني مباشرة، وقررت هي و«سمية» البقاء في الإسكندرية وعدم العودة للقاهرة، وذلك حنينًا من «زينب» لمسقط رأسها وكذلك الفرار من كافة الذكريات والأحداث السيئة التي رافقت «زينب» و«سمية» طوال حياتهم في القاهرة، وكأن العودة إلى الإسكندرية قد أعادت ضبط بوصلة حياة «زينب» إلى اتجاهها الصحيح، فتهافت عليها المنتجون والمخرجون وانهالت عليها عروض البطولة في عدة أفلام، فقامت بتوقيع فيلمين في وقت واحد، أحدهما بطولة مشتركة مع المخرج «حسن شاهين» ووصل أجرها فيه إلى ثلاثة آلاف جنيه، والآخر بطولة مطلقة مع شركة إنتاج جديد بأجر خمسة آلاف جنيه، وكانت تعمل في الفيلمين بالتوازي، حتى إنها أحضرت خادمة للعمل في البيت وللعناية بـ«سمية» وبخاصة وأنها أصبحت تقضي معظم أوقاتها خارج المنزل، ما بين التصوير والتنقل والسفر في أماكن مختلفة، وبين اللقاءات مع النقاد والصحفيين والحفلات التي كانت تقيمها شركات الإنتاج لتقديم نجمتهم الجديدة، وكان كل هذا المجهود يستنزف طاقة «زينب» حتى إنها في بعض الأيام كانت تسافر إلى القاهرة وتعود في نفس اليوم، حتى لا تترك «سمية» وحدها، وعندما كانت تراها «سمية» تفعل ذلك من أجلها كانت تبكي بحزن وأسى على حالها وعلى ما تفعله «زينب» من أجلها، وكان رد «زينب» الدائم عليها، بأنها هي السبب الرئيسي لكل ما حققته وتحققه من نجاحات، فلولا حاجتها للأموال لتسديد تكاليف

علاجها، ما كانت فكرت ولا أقدمت على العمل في السينما، ولذلك فلـ«سمية» نصيب يماثل نصيبها في كل ما تتحصل عليه، وفي أحد أيام الأجازة القليلة التي كانت تقتنصها «زينب» من براثن العمل وبينما هي تجلس في الشرفة بجوار «سمية» تستنشق هواء الصباح العليل، فنظرت إلى أحد الشيوخ الذي يقترب من بوابة المعهد الديني والطلاب يلتفون حوله ويستقبلونه بالحفاوة والترحيب وهو يحدثهم بمنتهى الرفق واللين فالتفتت لـ«سمية» وقالت بدهشة وشك:

- أنت تعرفي الشيخ اللي واقف مع الطلبة تحت ده اسمه إيه!؟

نظرت «سمية» إلى ناحية بوابة المعهد ثم قالت:

- أيوة، طبعًا، ده الشيخ «الشعراوي»، وكيل المعهد، أنا عارفة شيوخ المعهد كلهم، ما أنا طول النهار قاعدة في الفراندة هنا، مفيش ورايا حاجة غير إني أتفرج على اللي داخل واللي خارج من المعهد، ده أنا حتى أعرف أسامي شوية طلبة.

شردت «زينب» تفكر قليلًا، ثم ابتسمت بسعادة واستأذنت من «سمية»، وأخبرتها أنها ستذهب لمقابلة الشيخ «الشعراوي» وستعود لها سريعًا.

وعندما دخلت إلى المعهد أخبرت أحد العاملين في السكرتيرة أنها ترغب في مقابلة الشيخ «الشعراوي» لأمر هام، وأنها جاءت إليه من طرف «عز سيد جلال»، فسمح لها الشيخ بمقابلته على الفور، وعندما دخلت «زينب» غرفة الشيخ وشاهدته وهو جالس يرتدي الكاكولا

والعمة الأزهرية شعرت بالمهابة والوقار، فارتبكت ونسيت الكلمات التي كانت قد أعدتها، والأسئلة التي كانت تنوي سؤاله فيها، وأحس «الشعراوي» بقلقها وتوترها وتلعثمها فقال بهدوء:

- اقعدي يا بنتي استريحي، وطمنيني على أخبار «عز» دلوقتي.

نظرت له بخجل وقالت:

- أنا بصراحة جاية لك يا مولانا عشان أنت اللي تطمني عليه.

تفحص الشيخ وجهها بهدوء ورويّة وتذكر بأنه شاهدها من قبل، وتذكر حكايتها مع «عز» والتي قصها عليه «سيد جلال» فقال:

- أنت «زينب»، مظبوط!؟

ابتسمت «زينب» بخجل من فطنة الشيخ، ثم ظهر القلق على مَحياها بعدما أدركت بأنه يمكن أن يكون قد عرف كل شيء عنها، فخشيت أن تتبدل طريقة معاملته لها فقالت:

- أيوة يا شيخنا، أنا «زينب»، اللي الدنيا ظلمتها ومفيش حد وقف جنبها، حتى لما حاولت ترفع رأسها عشان تخرج من المستنقع، الناس كانت عايزة تدوس على دماغها عشان تفضل غرقانة بدل ما يمد لها أيديهم ويساعدوها إنها تخرج وتعيش حياتها على السطح زيهم.

شعر «الشعراوي» بأن لديها بعض الحق فيما تقول، وشعر بالمرارة التي تملأ حلقها من تعامل الناس مع وضعها ولذلك حاول أن يُشعرها بالأمان فقال بهدوء:

- يا بنتي ربنا بيقول «ولا يظلم ربك أحدًا»، وفي آيه تاني

بيقول»وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» وكل واحد في الدنيا بيأخذ حقه والأربعة وعشرين قيراط اللي كتبهم له ربنا كاملين.

نظرت له «زينب» وقالت بشك:

- والله أنا عارفة يا شيخنا، لكن مش فاهمة، يعني واحدة زيي اتظلمت كتير ولسه بتتظلم لحد دلوقتي، وبلاش أنا، واحدة زي «سمية» صحبتي اللي فلوسها كلها ضاعت، ومش بس كده دي كمان عملت حادثة شوهت وشّها، وخلتها قاعدة على كرسي متحرك بقية عمرها، ولولا وجودي جنبها كان زمانها مرمية في الشارع ومش لاقية حتى اللقمة تاكلها.

ابتسم «الشعراوي» وقال:

- ومين اللي قالك إن اللي حصل لصحبتك ده كان شر، أكيد ده كان خير، يمكن هي كانت ماشية في طريق غلط، وعشان كده ربنا ابتلاها عشان يبعدها عنه، فيسامحها ويغفر لها وسخر لها واحدة زيك تتولاها وتقوم على رعايتها، هو كل ده مش خير، وأنت ربنا أداكي علم وموهبة، أداكي واحدة زي «سمية» صحبتك بتتكفلي بيها وترعيها عشان تخدي ثوابها طول ما هي عايشة، هو كل ده مش خير وفضل من ربنا.

- الحمد لله، كل ده فضل ونعمة من ربنا، لكن ليه يا مولانا، الناس بمتعرفش تسامح وتغفر، إذا كان ربنا نفسه بيسامح ويغفر!؟

- عشان الناس مش ربنا يا «زينب»، ربنا قسم الرحمة مائة جزء، واحتفظ عنده بتسعة وتسعين جزء، وأرسل جزء واحد منها فقط

للدنيا عشان الناس كلها تتراحم بيها فيما بينهم، وبعدين ربنا بيقول في كتابه العزيز: «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» يعني ربنا يقدر يطلع على قلوب الناس ويعرف القلب الطيب الصالح من القلب الماجن الفاسق، ويعرف مين اللي التوبة بتاعته نصوحة وصحيحة وقلبه مطمئن بيها، ومين اللي قلبه لسه متعلق بالرذيلة وممكن يرجع لها في أي وقت، لكن الناس متقدرش تعرف كده.

- يعني معنى كده إن الناس مش ممكن تغفر أو تسامح!؟

- لأ يا بنتي، ممكن طبعًا الناس تغفر وتسامح، لكن ده مبيجيش غير بالوسائل الحسية، يعني بالتجربة والعشرة والمواقف والوقت، ولما مواقف الإنسان بتأكد أنه اتغير فعلًا، الناس بتغفر وتسامح.

- طيب، أنا عايزة أطلب من فضيلتك طلب، لو ممكن تساعدني فيه، أنا قلبي بيتقطع وأنا بعيد عن «عز»، أنا فعلًا مش قادرة أستغنى عنه، أنا والله دلوقتي بشتغل ومعايا فلوس كتير ولسه إن شاء الله هيجيلي فلوس أكتر، يعني أنا مش عايزة منه حاجة، أنا عايزة بس أبقى جنبه، أشوفه، أكلمه، أسمعه وهو بيكلمني، أقف جنبه وهو مريض ومحتاج لي.

صمت «الشعراوي» فهو لا يريد أن يكون قاسيًا عليها ولكنه لا يوافق أيضًا على ما تقوله، فقال:

- يا بنتي الحب ده حاجة جميلة، ولو الناس كلهم بيحبوا بعض الدنيا هتتغير وهتبقى أحسن كتير، لكن الحب ده لازم يكون له إطار شرعي يرضي ربنا، يعني اللي أعرفه، إنه لو عايزك، يبقى يتجوزك

على سنة الله ورسوله، لكن أي علاقة تانية خارج إطار الزواج، أنا معرفهاش ومش ممكن أساعد عليها.

شعرت «زينب» بالإحراج وبضآلتها وضحالة علمها في الدين، فأرادت طرح بعض الأسئلة التي تدور دائمًا في رأسها ولا تستطيع أن تجد لها إجابة شافية فقالت:

- أنا سمعت يا مولانا إن في شيوخ بيقولوا إن كتابة القصص والروايات حرام، هي الكتابة فعلًا حرام!؟

نظر لها «الشعراوي» بتعجب وقال باستنكار:

- لو حد قال كده فعلًا، يبقى جاهل، ومعندوش علم، ده تلت القرآن عبارة عن قصص قرآني، يعني أي كتابة بتحمل العظة والعبرة وتتجنب الفاحش من القول فهي حلال، يمكن كمان مطلوبة وأثارها بتبقى أقوى من قول افعل ولا تفعل بدون إعمال العقل.

وشاهدت «زينب» الشيخ وهو ينظر في ساعة يده، فشعرت بأنها قد أطالت عليه فقالت بخجل:

- سؤال أخير بس يا مولانا وهمشي على طول، هو التمثيل في السينما يعني، حلال ولا حرام؟

نظر له الشيخ بشيء من الريبة اعتقادًا بأنها ربما لن تفهم ما سيقول ولكنه حاول تبسيط الأمور لها فقال:

- مفيش حاجة يا بنتي نقدر نقول عليها حلال ولا حرام في المطلق كده، التمثيل مثل غيره، حلاله حلال وحرامه حرام.

يعني مثلا حتى لو في شيخ بيشتغل في جامع، مش ممكن نقول إن شغله ده حلال في المطلق، لأنه ممكن يكون معندوش علم ومش عايز يتعلم وآراؤه تحمل الكثير من الضلال للناس بدلًا من هدايتهم، فيبقى شغله حرام مش حلال، وهو اللي حرمه على نفسه.

(18)

لم تتحسن حالة «عز» عن ما كانت عليه منذ خروجه من المستشفى، وكان أكثر ما يخشاه والده هو أن تحدث له انتكاسة يمكنها أن تقضي عليه هذه المرة كما أخبرهم الأطباء، وانحصر أملهم الوحيد الآن في إحداث حالة من الانتعاش لروحه ونفسيته، وكانت «زينب» هي ملاذهم الوحيد، فبحثوا عنها في كل مكان ولكن باءت محاولتهم جميعها بالفشل، فقد ذهبوا إلى مسكن «محفوظ» وسألوه عنها ولكنه أخبرهم بأنها تركت مسكنها منذ ما يزيد على أربعة أشهر وهو لا يعلم أين ذهبت، وسألوا صاحب المكتبة التي كانت تعمل بها وبالطبع لم يكن يعلم عنها شيئا، وسألوا بعض المقربات منها ممن يعملون معهم في الشركة، وكانت إحداهن تعرف أنها موجودة في الإسكندرية ولكنها خشيت أن تخبرهم عن علاقتها بها، لأنها لم تكن تعرف سبب بحثهم عنها، ولكنها أرسلت لها تلغرافًا عاجلًا أخبرتها فيه أنهم يبحثون عنها.

وإلى أن حدث ذات يوم، عندما كان «عبد الرزاق» يطالع الصحف فشاهد صورة كبيرة لـ«زينب» في صفحة الفن ومكتوب تحتها ببنط عريض» «زينب شاهين نجمة المستقبل» فشك «عبد الرزاق» في الصورة وما أكد شكه اسم «زينب» المكتوب تحتها، فذهب إلى والده وعرض عليه الصورة ولكن والده قال:

- هي شبهها فعلًا، لكن مش معقول في ظرف تلت أربع شهور تقدر توصل لده كله.

وفي هذه الأثناء ردت «زينب» على صديقتها في الشركة بتلغراف مماثل وأخبرتها فيه بأنها يمكنها أن تخبرهم بعنوانها في الإسكندرية، ولكن صديقتها خشيت أن تخبرهم ولكن هذه المرة لم تكن تخش على «زينب» ولكن خشيت على نفسها وعلى عملها بالشركة، فآثرت الصمت، إلى أن انقلبت الأمور رأسًا على عقب عندما عادت الأزمة لقلب «عز»، ونصح الأطباء والده بضرورة سفره للخارج علهم يستطيعون هناك إنقاذه، فقام «سيد جلال» بالحجز على وجه السرعة في مستشفى «رويال برومبتون» بلندن وهي أشهر وأقدم مستشفى تعمل في علاج أمراض القلب والرئة في المملكة المتحدة، وقبل بضعة ساعات من السفر وبعدما عرفت صديقة «زينب» في الشركة بأن وجودها ربما يكون هو الأمل الأخير في إنقاذ «عز»، ذهبت وأخبرت «عبد الرزاق» بمكان «زينب» وأخبرته بأنها هي «زينب شاهين» الممثلة الواعدة التي يتحدث عنها الجميع الآن، وأخبر «عبد الرزاق» والده بذلك واقترح عليه أن يسافر مع «عز» ويذهب هو لـ«زينب» ويخبرها بحالة «عز» الحرجة ويحاول إقناعها بترك عملها والسفر معه إلى لندن، ولكن والده قال:

- مينفعش حد يروح لـ«زينب» غيري، هي لو بتحب «عز» بجد مش هيفرق معاها أي حاجة وهتيجي معايا على طول، وفي الحالة دي لازم تحس إننا بنقدرها وعشان كده روحت لها بنفسي، لكن لو مكنش يبقى لازم أعتذر لها واستسمحها وأحاول أديها اللي هي عايزاه عشان توافق تسافر معايا لندن وتسيب شغلها في مصر.

عادت «زينب» في المساء مرهقة ومكدودة وبمجرد أن فتحت

باب المنزل، وجدت «سمية» تنتظرها بجواره ودعتها للاقتراب منها وهمست لها قائلة:

- «سيد بيه جلال»، منتظرك جوه من أربع ساعات.

لم تصدق «زينب» ما سمعته، واعتقدت أنها لم تسمع «سمية» جيدًا، فرغم علمها بأنهم كانوا يبحثون عنها، إلا أنها ظنت أنهم ربما سيرسلون لها أحد السائقين لإحضارها إليهم، ولكن أن يأتي «سيد جلال» بنفسه إلى منزلها، فهذا ما لم يكن يراودها حتى في أحلامها، فنظرت لـ«سمية» بشك وقالت:

- أنت متأكدة يا «سمية» إنه «سيد جلال» بنفسه!

- أيوة يا بنتي هو بنفسه اللي رحنا له مكتبه زمان، وهو نفسه قالي إنه اسمه «سيد جلال».

رغم سعادة «زينب» باهتمام «سيد جلال» وحضوره بنفسه ليقابلها، إلا أنها عندما دخلت إليه وشاهدت الحزن والأسى الذي يملأ وجه، انقبض قلبها وشعرت بأن هناك أمرًا جللًا قد حدث، فاقتربت منه وحتى دون أن تلقي عليه التحية، قالت بخوف وقلق:

- أخبار «عز» إيه دلوقتي يا «سيد بيه»!؟

بدأ الحزن بوضوح في وجه «سيد» وتنهد بألم ولم يرد، فسقط قلب «زينب» بين قدميها وأكملت بانفعال:

- أنت مبتردش عليا ليه!؟ كلمني، رد عليا، قول لي أي حاجة تطمني، أنا مقدرش أستحمل القلق ده وأنا بعيد عنه.

اغرورقت عينا «سيد جلال» بالدموع ولكنه حاول التماسك وقال:

- ما هو ده اللي أنا جيلك عشانه يا «زينب»، «عز» تعبان أوي يا بنتي وهو عايزك تبقى جنبه في الوقت ده.

انفجرت الدموع من أعين «زينب» وأمسكت بكف «سيد جلال» وقالت بلهفة وهي تجذبه:

- طيب، يلا بينا نروح له دلوقتي، إحنا مستنيين إيه!؟

قبض «سيد جلال» على يد «زينب» بحنان عندما شاهد لهفتها على «عز» وقال:

- «عز» زمانه وصل لندن دلوقتي مع أخوه «عبد الرزاق»، وإحنا إن شاء الله نخلص لك أوراقك ونسافر سوا على طول.

نظرت «زينب» حولها بذهول وكأنها كانت تبحث عن شيء وهي تنظر للاشيء ثم قالت من وراء دموعها:

- يا حبيبي يا «عز» ، زي ما يكون كان حاسس باللي هيحصله، هو كان جهز لي كل ورقي من زمان، وجواز سفري معايا جوه.

ابتسم «سيد جلال» لأول مرة وقال:

- طيب، كويس يا بنتي، هاتي جواز سفرك وأنا أجيب لك التأشيرة بكرة، ونسافر على طول،

ثم أكمل بخجل:

- لكن أنا كنت خايف بس أعطلك عن شغلك.

تنفست «زينب» بصعوبة محاولة إيقاف سيل دموعها وقالت بحزن واستنكار:

- شغل، شغل إيه!؟ ده «عز» يا «سيد بيه»، أنا مستعدة أضحي بعمري كله عشان لحظة أقضيها جنبه.

بدأ «عز» يفيق رويدًا رويدًا من غيبوبته، وبدأ يشعر بمن حوله، وعندما شاهد «عبد الرزاق» يقف بجوار فراشه وحيدًا، وعلم أنه الآن في المستشفى في لندن نظر إلى أخيه بدهشة وسأله بضعف عن والده فقال «عبد الرزاق»:

- حمد الله على السلامة يا «عز»، متقلقش على والدك، إن شاء الله هيكون هنا بكرة بالليل، ومش هيكون لوحده.

لم يفطن «عز» لتلميح أخيه وظن أنه يقصد أن والدته سوف تحضر مع أبيه، ولكنه لم يستطع الاستفاضة في الحديث لإحساسه بالوهن والخمول وعدم القدرة على الحديث طويلًا، فاكتفى بنظرة تساؤل مبهمة، ولكن تحذير الأطباء لأخيه بألا يلقي إليه بالأخبار المفاجأة سواء كانت حزينة أم سعيدة بطريقة مباشرة ولكن يجب التمهيد له بها بهدوء، جعلت أخاه يكتفي بما قاله له على الأقل هذه الليلة، وفي صباح اليوم التالي جلس «عبد الرزاق» بجوار فراش أخيه وهو يساعده في تناول بعض العصائر، وقال بهدوء:

- شد حيلك بقى يا «عز»، إحنا مش عايزينك تخضنا عليك كده تاني.

نظر له «عز» وقال بوهن:

- وأنا والله يا «عبده «عايز أبقى كويس ومحدش يتعب معايا تاني، لكن أعمل إيه!؟ ده أمر ربنا.

حاول «عبد الرزاق» التمهيد له قبل وصول «زينب» فقال:

- طيب، اوعدني إنك تحاول تقاوم المرض ومتستسلمش، وأنا أوعدك أني أحقق لك أي أمنية تطلبها مني دلوقتي.

قال «عز» بشك:

- يعني ممكن تحقق لي أي حاجة، أي حاجة؟

رد «عبد الرزاق» بحماس:

- أيوة، أي حاجة، حتى لو عايز «زينب» تيجي لحد عندك هنا في لندن، هجيبهالك.

أثلجت المفاجأة صدر «عز» بمجرد ذكر اسم «زينب» وقال بقلق:

- طيب ووالدك هتعمل معاه إيه!؟ وهتقول له إزاي!؟

قال «عبد الرزاق» بحنان وعطف:

- يا «عز» والدك بيحبك أوي، وممكن يعمل أي حاجة عشان يشوفك سعيد وبخير.

ثم أكمل:

- أنت فاكر أما قولت لك امبارح إن والدك مش هييجي لوحده بكرة، كان قصدي هيجيب معاه مين!؟

ظهرت السعادة الممزوجة بالدهشة على وجه «عز» وقال بريبة وحذر:

- لأ، مش معقول، قصدك...

وقاطعه «عبد الرزاق» قبل أن يكمل حديثه قائلًا:

- أيوة، قصدي كده، والدك راح بنفسه لـ«زينب» وهيجبها وهو جاي، وعشان كده مجاش معانا.

وفي المساء دخل «سيد جلال» على «عز» في غرفته، وترك «زينب» بالخارج لتقليل آثار المفاجأة على «عز»، واقترب من «عز» والذي أمسك بيد والده وقبلها بامتنان، ولم تستطع «زينب» الانتظار طويلًا بالخارج، وبمجرد أن دخلت وشاهدت «عز» راقدًا على فراشه، انكبت على يده قبّلتها بحنان وبلّلت يده بدموعها، فيما وضع «عز» يده على رأسها وربّت عليها بحب وحنان وطلب منها أن ترفع رأسها لاشتياقه النظر إلى وجهها، ورفعت «زينب» وجهها وهي تمسح دموعها بيدها وقالت:

- بعد الشر عليك يا حبيبي، إن شاء الله أنا بدالك.

اندفعت الدماء إلى وجه «عز» وأضاء وجه بعد اصفرار وذبول واكتئاب، ولكنه لم يستطع الرد والبوح بمشاعره لـ«زينب» خجلًا وحياءً من وجود والده والذي ما أن شاهد دماء الحياة تسري في وجه ابنه مع قدوم «زينب»، حتى خرج من الغرفة وتركهما وحيدين.

وبمجرد خروج والده اعتدل «عز» قليلًا في فراشه ونظر إلى وجه

«زينب» بحب وقال بِولهٍ:

- وحشتيني أوي يا «زينب»، الحياة من غيرك وحشة أوي وملهاش طعم.

أمسكت «زينب» يده بحنان وقالت:

- أنت وحشتني أكثر يا حبيبي، لكني بعدت عنك غصب عني، وكنت دايمًا بتابع أخبارك وبطمن عليك من بعيد.

وسألها «عز» عما فعلت في الفترة بعد أن افترقا، وقصت عليه ما حدث لـ«سمية» وعن عملها في السينما، فتغير وجهه قليلًا، ولكنه أعطى لها بعض العذر لأنها اضطرت لذلك لإنقاذ صديقتها، فقال بغضب:

- وناوية تعملي إيه!؟ هتكملي في السينما!؟

شعرت «زينب» بالغضب الذي اعترى وجه «عز» فقالت بحب:

- أنا ناوية يا حبيبي أكمل معاك أنت، واللي أنت عايزه أنا هعمله.

شعر «عز» بالسعادة من إجابتها فوضع يده على وجنتها ونظر في عينيها وقال:

- أنا أول مرة أحس بمعنى كلمة (مقدرش أعيش من غيرك) لأني فعلًا مقدرتش أعيش من غيرك.

وتحسنت حالة «عز» كثيرًا بعد حضور «زينب» فلم يمر يومان إلا واستطاع الوقوف على قدميه، بل وقضاء بعد الأوقات داخل الشرفة

مع «زينب»، وتفاءل والده وأخوه كثيرًا بحالته، بل وبإمكانية شفائه، وبعد أن أجريت كافة الفحوص والأشعة والتحاليل الخاصة بـ«عز»، قام الأطباء باستدعاء «سيد جلال» و«عبد الرزاق» وأخبروهم بأن حالته للأسف في مراحلها الأخيرة، وأن تضخم القلب وصل عنده لمرحلة حرجة ولم يعد القلب بقادر على ضخ الكمية الكافية من الدماء اللازمة لكي تعمل باقي أعضاء جسده بكفاءة، وأن هذه هي أيام «عز» الأخيرة في الحياة، لأن من في مثل حالته كان لابد أن يبدأ العلاج منذ ما يزيد عن العشرة أعوام، لكنهم للأسف جاءوا متأخرين كثيرًا، ومن المستحسن ألا يخبروا «عز» الآن بحقيقة حالته، لكن يجب عليهم مساعدته على تحقيق كل ما يتمناه ويرغبه في نهاية حياته، فربما تساعد سعادته بتحقيق أمانيه في إطالة مدة بقائه في الحياة لعدة أيام أو أسابيع إضافية.

وخرج «سيد جلال» من عند الأطباء منهارًا لا يستطيع الوقوف على قدميه، فاستند على كتف ابنه وأجهش في البكاء، فأجلسه ابنه على أقرب مقعد موجود بممر المستشفى وجلس بجواره، ولم تكن حالة «عبد الرزاق» بأفضل من حالة أبيه، لكنه كان أكثر تماسكًا أو حاول أن يبدو أكثر تماسكًا، وأخذ يربّت على كتف والده ويواسيه وأخبره بأن كلام الأطباء ليس كلامًا نهائيًا، وأن الأعمار بيد الله وحده وإن كان هو نفسه غير مقتنع بتلك الكلمات ولكنه كان يحاول تهدئة والده بأية طريقة، وبعد أن استطاع «سيد جلال» التماسك قليلًا، طلب من ابنه عدم تضيع الوقت، فيجب عليهما الذهاب ليقضيا مع «عز» أكبر وقت ممكن، وعندما دخلا إلى «عز» في غرفته وجدا

«زينب» قد حضرت من فندق إقامتها منذ الصباح الباكر وتجلس مع «عز» لتناول طعام الإفطار في الشرفة وبمجرد أن رآهما «عز» ابتسم وقال:

- الدكاترة مقالوش أنا ممكن أخرج من المستشفى دي امتى!؟

تنهد والده بألم وتماسك حتى لا تتساقط دموعه مرة أخرى وقال بهدوء:

- لسه يا «عز»، أما يطمنوا عليك خالص، هتخرج إن شاء الله.

قال «عز»:

- أنا كنت عايز أطلب منك طلب، ثم نظر إلى «زينب» وأكمل:

- أنا كنت عايز أتجوز «زينب».

شعر «سيد جلال» بالصدمة من طلب «عز» المفاجئ فلم يستطيع الرد، وعندما شعر «عبد الرزاق» بذلك قال:

- وإيه المانع يا «عز»، إن شاء الله أول ما نرجع مصر تتجوزوا على طول.

رد «عز» بحسم وكأنه كان يشعر بحالته:

- لأ، أنا عاوز أتجوز «زينب» النهارده.

شعرت «زينب» بتردد «سيد جلال» و«عبد الرزاق» وعدم قدرتهم على معارضة «عز» لخوفهم على حياته فقالت محاولة رفع الحرج عنهما:

- مفهاش حاجة يعني يا «عز» لما نستنى لحد أما نرجع مصر.

نظر لها «عز» بغضب وقال:

- لو أنت مش عايزة، يبقى خلاص بلاش نتجوز.

خشيت عليه «زينب» فقالت بسرعة:

- مش عاوزه إزاي!؟ خلاص يا حبيبي اعمل اللي أنت عايزه.

وقال «عبد الرزاق»:

- لكن هتتجوزوا إزاي هنا!؟

قال «عز»:

- أنا بقى لي يومين بفكر في الموضوع ده، وسألت الناس هنا وقالوا لي إن إحنا ممكن نكتب العقد ونوثقه في السفارة المصرية بلندن.

وعندما شاهد «سيد جلال» إصرار «عز» بل وتخطيطه للموضوع لم يجد أمامه إلا الإذعان لما يريده ابنه فقال:

- خلاص يا ابني، طالما أنت مستعجل، لكن إحنا لازم نأخذ العروسة معانا، عشان نشتري لها شوية حاجات قبل العقد.

اصطحب «سيد جلال» «زينب» خارج الغرفة، وأخبرها بأن لا مانع لديه في أن تتزوج من ابنه ولكنها يجب أن تعلم أولا ما أخبرهم به الأطباء عن حالة «عز» ولها أن تقرر هي ما تريده بعد ذلك، وعندما أخبرها بحالة «عز»، جن جنون «زينب» وكادت أن تصرخ في وجهه،

ولكنها تماسكت حتى لا يسمعها أحد وبخاصة «عز»، ولكنها قالت بانفعال شديد:

- لأ، مش ممكن، أنت لو مش عايزني أتجوز «عز»، أنا ممكن أحاول معاه إنه يأجل الجواز لحد أما يبقى كويس ويسترد صحته، لكن متقولش عليه كده، «عز» مش ممكن يروح مني بعد كله ده، زي ما هو مقدرش يعيش من غيري أنا كمان مش هقدر أعيش من غيره، قول لي إنك بتكدب علي وأنا همشي من هنا ومش هوريكم وشي تاني، لكن متقولش على «عز» كده، متقولش كده، وانهارت باكية ولم يستطع «سيد جلال» التحمل أكثر من ذلك فانهار في البكاء هو الآخر، وعندما شاهدت «زينب» دموعه، أيقنت بأن ما يقوله هو الحقيقة، فنظرت إلى السماء بعد أن انفطر قلبها وقالت بحسرة وألم:

- يارب، لو أنت عايز تعاقبني، طيب خدني أنا، «عز» ماله بس يتعاقب ليه بسببي!؟

قال «سيد جلال» من وراء دموعه:

- يا بنتي وحدي الله، لو ربنا بيعاقب حد يبقى بيعاقبني أنا.

ثم حاول التماسك قليلًا وأكمل:

- المهم أنت ناوية تعملي إيه!؟

تساقطت دموع «زينب» ولكنها قالت باستنكار:

- أنت لسه بتسألني!! أنا مش ممكن أسيب «عز» ولا دقيقة واحدة بعد كده.

- يعني موافقة تتجوزيه.

- أيوة طبعًا، موافقة، والنهارده قبل بكرة، شوف إيه الإجراءات ونعملها دلوقتي على طول.

وتزوجت «زينب» «عز» في النهاية مع مباركة بل وسعادة «سيد جلال» و«عبد الرزاق»، وقامت «زينب» بإحضار كافة أمتعتها من الفندق وأقامت بصفة دائمة مع «عز» كمرافقة في غرفته بالمستشفى، وقضى «عز» بضعة أيام من أجمل أيام عمره فقد انتعش قلبه حبًا وحنانًا وعشقًا وقربًا فيمن أحب ورغب، حتى إن حالته تحسنت كثيرًا وأصبح أكثر حيوية ونشاطًا، حتى إن «زينب» ووالده وأخاه ظنوا بأن الأطباء ربما يكونوا قد أخطأوا التشخيص، وحاولوا التعلق بأمانيهم وأمالهم بأن تكون هذه هي المعجزة التي ربما ستعيد «عز» للحياة، وتعرفت «زينب» على بعض عادات «عز» الخفية والتي كانت تجهلها، فكانت تجلس بجانبه طوال الليل تقرأ له بعض القرآن بالإضافة إلى بعض الروايات والأشعار إلى أن يستغرق في النوم، لأنه كان يكره السكون والظلام فلا ينام إلا وأنوار غرفته مضاءة، وعلى صوت المذياع أو الفونغراف، ولعدم توفر تلك الأشياء في غرفة المستشفى فكانت «زينب» تؤدي له دورهما، وعندما شعر «عز» بقدرته على السير والحركة وزادت رغبته في الحياة، طلب من «زينب» أن تحقق له أمنيته بأن يصطحبها ويخرجا متشابكين الأيدي للتجول وزيارة بعض معالم لندن، وعندما عرضت «زينب» الأمر على الأطباء، لم تجد منهم ممانعة كبيرة ولكنهم أرهقوها بسيل من التحذيرات والتعليمات وشرحوا لها كيفية التعامل مع «عز» في

اللحظات الحرجة، وطلبوا منها ألا يبتعدوا كثيرًا عن المستشفى، فسمحوا لهما بالتجول في المنطقة الموجودة حول المستشفى فقط، نزل «عز» وهو يتأبط ذراع «زينب» وينظر لها بسعادة وهما يعبران الطريق في شارع «سيدني» ليسيرا بجوار كنيسة «سانت ليك الإنجيلية» المواجهة للمستشفى، و«زينب» تمسك بذراع «عز» وتنظر له بحب، ونظر لها «عز» وابتسم وقال وهما يكملان طريقهما في اتجاه حديقة «سانت ليك» الواسعة:

- أنت تعرفي إني من يوم ما عرفتك وحبيتك، وكانت أمنية حياتي إني بعد ما أتجوزك، أخدك ونسافر أوروبا ونمشي في الشوارع مع بعض زي ما إحنا ماشين دلوقتي كده.

مالت «زينب» على «عز» وارتكنت برأسها على ذراعه التي تتعلق به وقالت بحب:

- ربنا يديك طولت العمر يا حبيبي وتحقق كل أمانيك.

نظر لها «عز» وابتسم ابتسامة متعبة تحمل القليل من السخرية والكثير من اليأس وقال:

- أنت فاكرة يا «زينب» إني مش عارف إني ممكن أموت في أي لحظة، وإن أيامي في الحياة معدودة.

نظرت له «زينب» مصدومة خائفة قلقة ولم تستطيع الرد.

فأكمل «عز»:

- أنا عرفت حالتي حتى قبل ما أنتوا تعرفوا، الدكاترة كانوا على

طول بيتكلموا مع بعض وأنا بعمل الأشعة والتحاليل، وكانوا فاكرين إني مبفهمش إنجليزي، ومش هفهم هم بيقولوا إيه، وعشان كده أنا صممت أتجوزك في أسرع وقت، لأني مينفعش أسيبك في الدنيا لوحدك تاني، لازم أموت وأنت بتحملي اسمي عشان تبقي واحدة من العيلة.

أزعجت كلمة الموت «زينب» كثيرًا فقالت وهي تضع يدها على فم «عز» برفق:

- أوعي تقول كلمة الموت دي تاني.

وبدأت نوبة سعال خفيفة تصيب «عز» وأحست «زينب» بثقل يده المستندة عليها، فانتابها الذعر، وكانوا وقتها قد وصلوا على مشارف حديقة «سانت ليك»، فطلبت من «عز» أن يجلس على المقعد الخشبي الموجود أمام الحديقة، فجلس «عز» وهو يحاول التقاط أنفاسه المتقطعة، وجلست «زينب» بجواره وألقت برأسها فوق صدره فسمعت دقات قلبه تتسارع بشكل كبير وحينها طلب منها «عز» أن ترفع رأسها وقال بصعوبة:

- ارفعي راسك يا «زينب»، أنا عايز وشك يبقى آخر حاجة أشوفها قبل ما أموت.

رفعت «زينب» رأسها وقالت بذعر:

- لأ يا حبيبي متقولش كده، أنت لو جرى لك حاجة أنا هموت.

تنفس «عز» بصعوبة وقال:

- لأ لازم تعيشي يا «زينب»، أنا مش هسيب ذكرى في الحياة غيرك، أنا عايزك تعيشي عشان تحكي للناس عن حبّنا، عن إننا مكناش عايزين حاجة من الدنيا غير إننا نبقى مع بعض.

وعندما رأت «زينب» «عز» غير قادر على الحركة أو الكلام، تركته وجرت مسرعة وعبرت الشارع واتجهت إلى المستشفى، وأحضرت العاملين بالمحفة المتحركة واصطحبوا «عز» عليها، وتم إدخال «عز» مباشرة إلى غرفة العناية المركزة ووقفوا جميعًا في الخارج يدعون ويرتلون بعض آيات القرآن، إلى أن خرج الطبيب وأخبرهم بأنهم بذلوا كل ما يستطيعون ولكنهم لم يستطيعوا إنقاذ حياته، فانهار «سيد جلال» و«عبد الرزاق» على أقرب مقعد وهو يجهشون في البكاء.

أما «زينب» فلم تستطع الحركة من مكانها، ولا حتى تحريك أي جزء من جسدها، أرادت أن تصرخ، أرادت أن تبكي ولكنها لم تستطع، كانت لا تستطيع تصديق ما يحدث، تشعر كأنها بين اليقظة والنوم وكأنه كابوس يضغط على عقلها وترغب أن تستفيق منه سريعًا، حتى عندما بدأ الجميع في الانصراف، ظلت واقفة صامدة علّها تفيق، وعندما كان يخاطبها أحدهم كانت بالكاد تستطيع الالتفات إليه، وكانت ترغب في الرد ولكن صوتها لم يطاوعها، فاعتقدوا أنها قد فقدت النطق من الصدمة، وظلت على هذا الحال لا تنطق ولا تتكلم حتى وهم عائدون في الطائرة سمعت «سيد جلال» يحدث «عبد الرزاق» ويخبره بأنهم لابد وأن يعرضوها على أحد الأطباء بمجرد عودتهم إلى مصر، فكانت تتعجب وتقول:» لماذا لا يصدق

الناس أن هناك بعض الأوقات تمر على الإنسان يشعر فيها بأن مجرد تحريك شفتيه أصبح عبئًا كبيرًا على نفسه».

وظلت «زينب» صامتة يظهر على وجهها الأسى والحزن العميق ولكنها لا تنطق ولا تتكلم حتى عندما وصلوا إلى مدفن عائلة «سيد جلال»، وبينما الجميع يبكي وينتحب ويتردد صوت قراءة القرآن بين النحيب ظلت «زينب» صامتة إلى أن انتهوا من الدفن وعندما هم الجميع بالانصراف، نطقت لأول مرة منذ وفاة «عز» وقالت بحسم:

- أنا مش همشي من هنا، أنا هفضل قاعدة مع «عز».

نظر لها الجميع بدهشة وحيرة كبيرة وظنوا أن مسًّا من الجنون قد أصابها، وحاولوا معها كثيرًا إلا أنها أصرت على عدم المغادرة والبقاء بالمقابر.

وعندما لم يستطيعوا إجبارها على الرحيل، طلب «سيد جلال» من «بمبة» أن تبقى معها، وقال لـ«عبد الرزاق»:

- تبعت حالًا تجيب عمال ينظفوا الحوش والأوض بتاعته، وتجيب فرش ومستلزمات معيشة كاملة وترتبوها في الأوض، مش معقول مرات أخوك هتقعد في الحوش وهو على حاله كده.

وعندما انصرف الجميع وأرخى الليل سدوله على المقابر وبدأت «بمبة» في إعداد الفراش للنوم، فوجئت بـ«زينب» تمسك بمصباح الكيروسين وبالمصحف في يدها وتتجه للخارج، وعندما سألتها «بمبة» بدهشة إلى أين هي ذاهبة، قالت «زينب» بألم:

- رايحة أقعد مع «عز»، أصله يا حبيبي مبيحبش ينام في الضلمة، ولازم أقرأ له حاجة لحد ما ينام،

وعندما همت «بمبة» بالذهاب معها رفضت «زينب» بشدة وقالت:

- نامي أنت يا «بمبة»، أنا عايزة نبقى أنا و«عز» لوحدينا.

وظلت «زينب» على هذا الحال عدة أسابيع وهي رافضة تمامًا ترك المقابر وتذهب كل ليلة بجوار مرقد «عز» تقرأ له على ضوء مصباح الكيروسين، ولم يستطيع أحد إقناعها بترك المقابر، فاشترى «سيد جلال» منزلًا كبيرًا مواجهًا للمقابر في الناحية الأخرى من الشارع، وقام بتجهيزه لها، وأقنعها بالانتقال لاستكمال حياتها فيه، فانتقلت إليه على مضض، وظل قلبها وعقلها وروحها معلقًا بمرقد حبيب عمرها، الذي رحل ولن يعود.

وبعد مرور عشرين عامًا.

في صباح يوم عيد الفطر المبارك جلست «زينب» في نافذة فيلتها الكبيرة المطلة من بعيد على المقابر وهي تستمع لتكبيرات العيد وترددها مع جميع المصلين المحتشدين في ساحات الجوامع، وهي تنظر إلى حيث يرقد «عز»، وتلقي عليه التحية وتترحم عليه، وتخبره بأنها تنتظر يوم لقائه، فهي تتمسك بالحياة، من أجله، ولأنه طلب منها أن تعيش لتذكره ويتذكره الناس بها، وكانت «بمبة» و«سمية» تجلسان خلفها وهما يتحدثان عنها وكانت «سمية» تقول بحسرة:

- من عشرين سنة وهي قاعدة نفس قعدتها دي، ولا رضيت تتجوز ولا ترجع للتمثيل ولا تعيش حياتها.

قالت «بمبة»:

- معلش اعذريها، «عز بيه» الله يرحمه كان طيب وحنين وابن أصول ويستاهل.

ابتسمت «سمية» وقالت:

- ما أنا عارفة إنه يستاهل، وهي كمان تستاهل، هو في واحدة كانت ممكن تعمل معانا اللي «زينب» عملته!؟ ما هي طول عمرها، طيبة وغلبانة، أنت فاكرة يا بت الكتب والتصاوير والجرايد اللي كنا بنسرقها من وراها ونروح نبيعها من غير ما تأخذ بالها!

ابتسمت «زينب» عندما سمعت «سمية» واستدارت بسرعة وقالت:

- بقى أنتوا اللي كنتوا بتسرقوا الكتب بتاعتي زمان، وأنا اللي كنت بقول الكتب كانت بتروح فين!!

وبعد انتهاء صلاة العيد، وكعادة كل عيد منذ وفاة «عز»، أقبل «سيد جلال» وزوجته بصحبة «عبد الرزاق» وزوجته وأولاده لقضاء أول أيام العيد مع «زينب» في بيت أخيهم أو كما كانت تطلق عليه «زينب» دائمًا، «بيت عز».

تمّ بحمدالله